اقرأ
مفيد فوزى
كندا
حلم المهاجرين



تصدر فى أول كل شهر

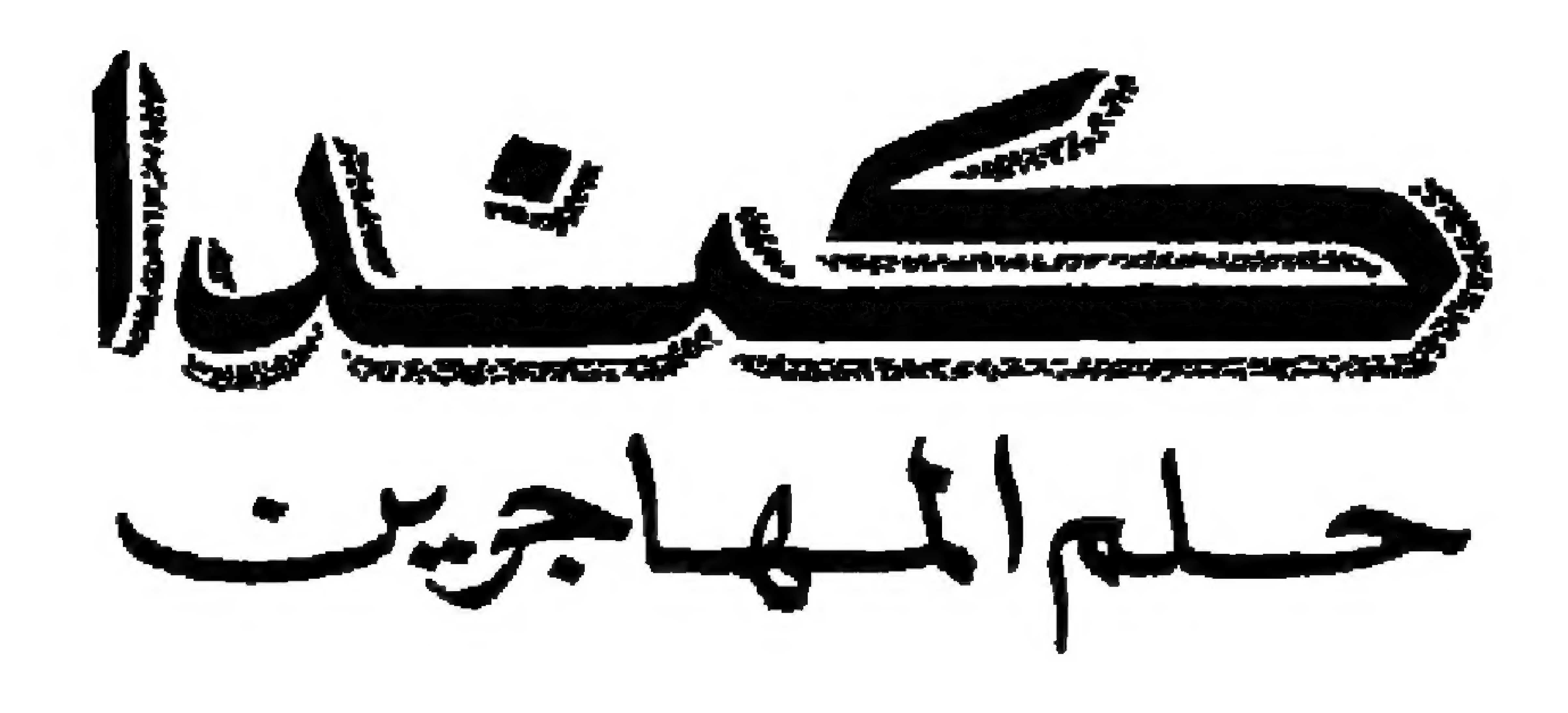
رئيس التحرير: السيد أبو النجا



دار المعارف بمصر

خذ المعارف من دار المعارف

مفيد فوزى



اقرأ ٣٧٠

دار المعارف بمصر

اقرأ ٣٧٠ - أغسطس سنة ١٩٧٣

الإهداء

إلى أسرة مصرية هاجر ابنها إلى كندا ليحقق ذاته ، وتعيش الأسرة على رسائله القليلة .

وربما إلى شاب يحلم بالنجاح والثراء وغزو هذه الأرض يوماً ما .

أو إلى قارئ تهفو روحه لرؤية هذا الجزء من العالم ذات يوم !

الناشر : دار المعارف بمصر - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

كلمة

ليست عندى مقدمات طويلة أو تفصيلات عريضة تسبق رحلتى !

ما عندى هو « معايشة » بلد جديد ، بعيد ، أضيف إلى جواز سفرى ، وقضيت بين أرجائه الفسيحة شهرين ، كان نهارى أطول بكثير ن ليلى !

ومعايشة بلد جديد ، كالتعرف إلى صديق جديد ؛ كلما اقتربت منه وزاد توغلك فيه ، عرفته بشكل أعمق !

وهأنذا أضع محاولتى أمامكم بشكل عصرى مباشر يجعلنى أجتر متعة السفر مرة أخرى . ذلك أنى مؤمن بحكمة تقول : « أنا أسافر ، إذاً أنا موجود » !

الفصل الأول

كندا حلم المهاجرين

« اتجه شمالا أيها الشاب

بدلا من : اتجه غرباً ! »

لماذا كندا بالذات ؟

لقد كنت أبدى دهشتى حينما أرى العشرات والمئات من الشباب والأسر المصرية تحج أكثر أيام الأسبوع إلى السفارة الكندية فى القاهرة . وكنت أقابل الكثير من الأصدقاء فى مصلحة « الجوازات والجنسية » وهم يقومون بإجراءات الهجرة إلى كندا . . وكان يدهشنى فعلا هذا السيل الجارف من الرغبات فى الهجرة إلى هذه البلاد . وربما استطعت أن أعرف السر حين وطئت قدماى أرض كندا . . إن كندا من عمالقة دول العالم من حيث المساحة . لو جمعنا مساحات مصر والسودان وليبيا وتونس والجزائر والمغرب ، فإننا لا نصل إلى مساحة كندا . وإذا أضفنا أسبانيا وفرنسا نكاد نقترب من مساحة كندا ، ولا يضارع كندا فى المساحة سوى الاتحاد السوفيتى والصين . . فالاتحاد السوفيتى يضم ٢٤٠ مليوناً ، والولايات المتحدة تضم حوالى ٢٠٠ مليون ، والصين يعيش فيها ٨٠٠ مليون

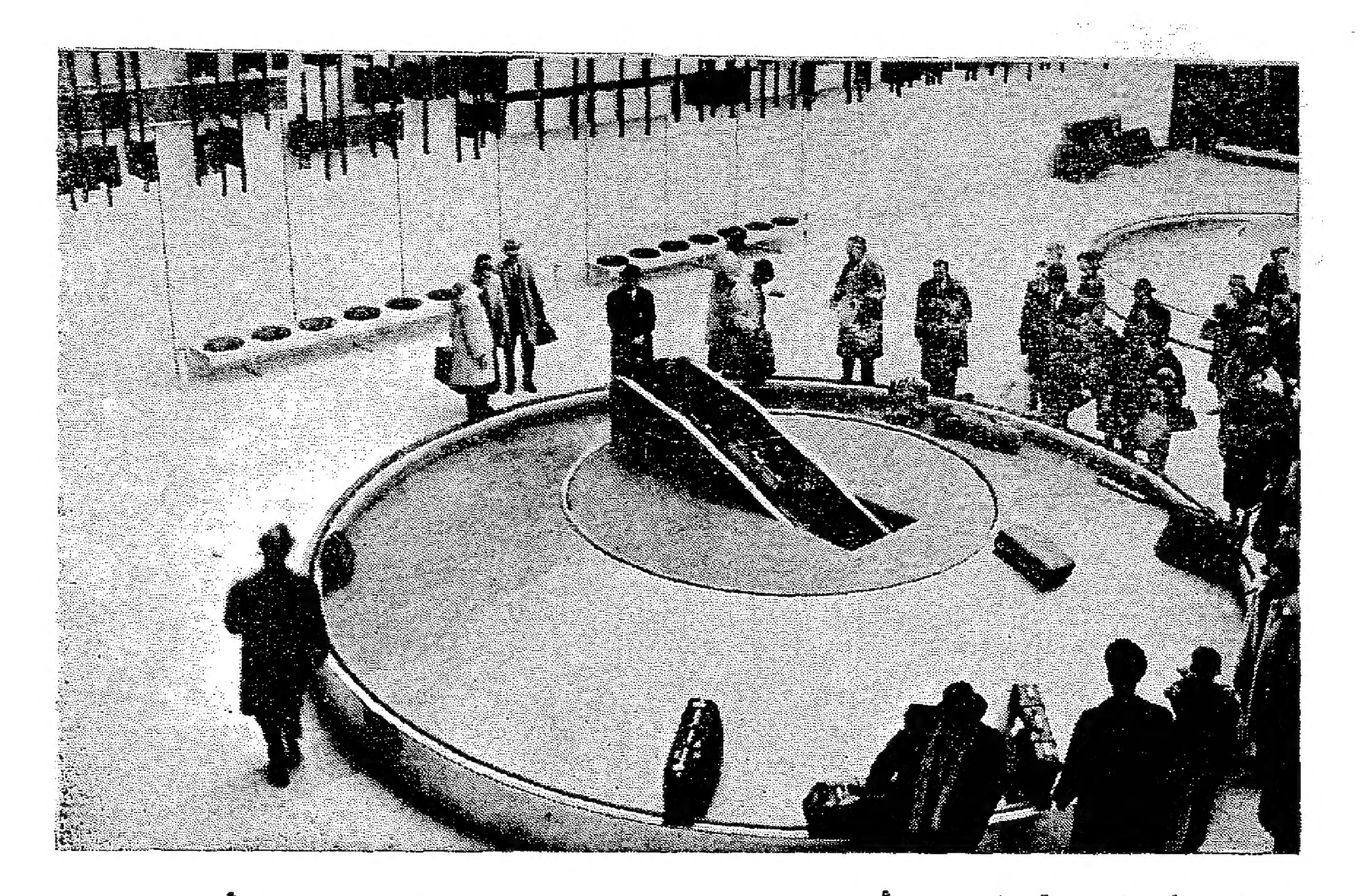
نسمة ، وكندا – وياللدهشة الشديدة – تعدادها لا يزيد على ٢٢ مليوناً !

إن كندا – ولديها تربة غنية – يتطور اقتصادها من عام إلى عام . . وأدركت البلاد الغنية بثرواتها الطبيعية أن الاستمرار فى التطور يحتاج إلى « ثروة بشرية » . . يحتاج إلى عدد من السكان أكبر من الزيادة الطبيعية فى عدد المواليد . . ومن هنا بدأت كندا تفتح ذراعيها للمهاجرين من كل أرض ، وأصبحت حلم الشباب . . وأصبحت إمكانيات كندا الاقتصادية من الضخامة بحيث يمكننا – والكلام هنا لميشيل برنارد ، وهو ناشر كندى كبير – « أن ندخل تعديلا على نصيحة "هوراس جريلى" للشباب فى منتصف القرن التاسع عشر لتصبح فى منتصف القرن العشرين "اتجه شمالا ، أيها الشاب" بدلا من "اتجه غرباً" .

على أن الحكومة الكندية تحاول الآن اجتذاب ما « تحتاج إليه » فقط ، بعد أن كانت منذ سنوات ترحب بأى مهاجر . وربما اضطرت كندا إلى هذا التصرف بعد أن ارتفعت نسبة البطالة عام ١٩٧٠ ، وفى البرلمان الكندى ، سئل مستر بيير ترودو رئيس الوزراء عن تضخم البطالة فى البلاد وكيف أن البطالة انتقلت من أمريكا إلى كندا لأن الاقتصاد الكندى مربوط إلى حد كبير بعجلة الاقتصاد الأمريكى ، فقال ترودو بثقة :

– إن جزءاً من هذه البطالة متعمد .

وخرجت صحف المعارضة تقول إن « ترودو » يعارض الإسهال



حقائبك – فى مطار مونتريال – تدور أمامك على صينية ضخمة ، ومطلوب منك التقاطها ! هذه أحدث وسيلة لإفراغ حقائب المسافرين .

بغرض الإمساك » ! ومازالت المعارضة تندد بموقف ترودو من البطالة؛ وإن كان المغزى العميق وراء القفشة أن كندا تتصرف « كالتلميذ البليد » فى حضرة أستاذته أمريكا التى تخنق الاقتصاد الكندى وتجلب له عار البطالة .

* كيف ترى كندا العالم ؟ وكيف ينظر إليها العالم ؟

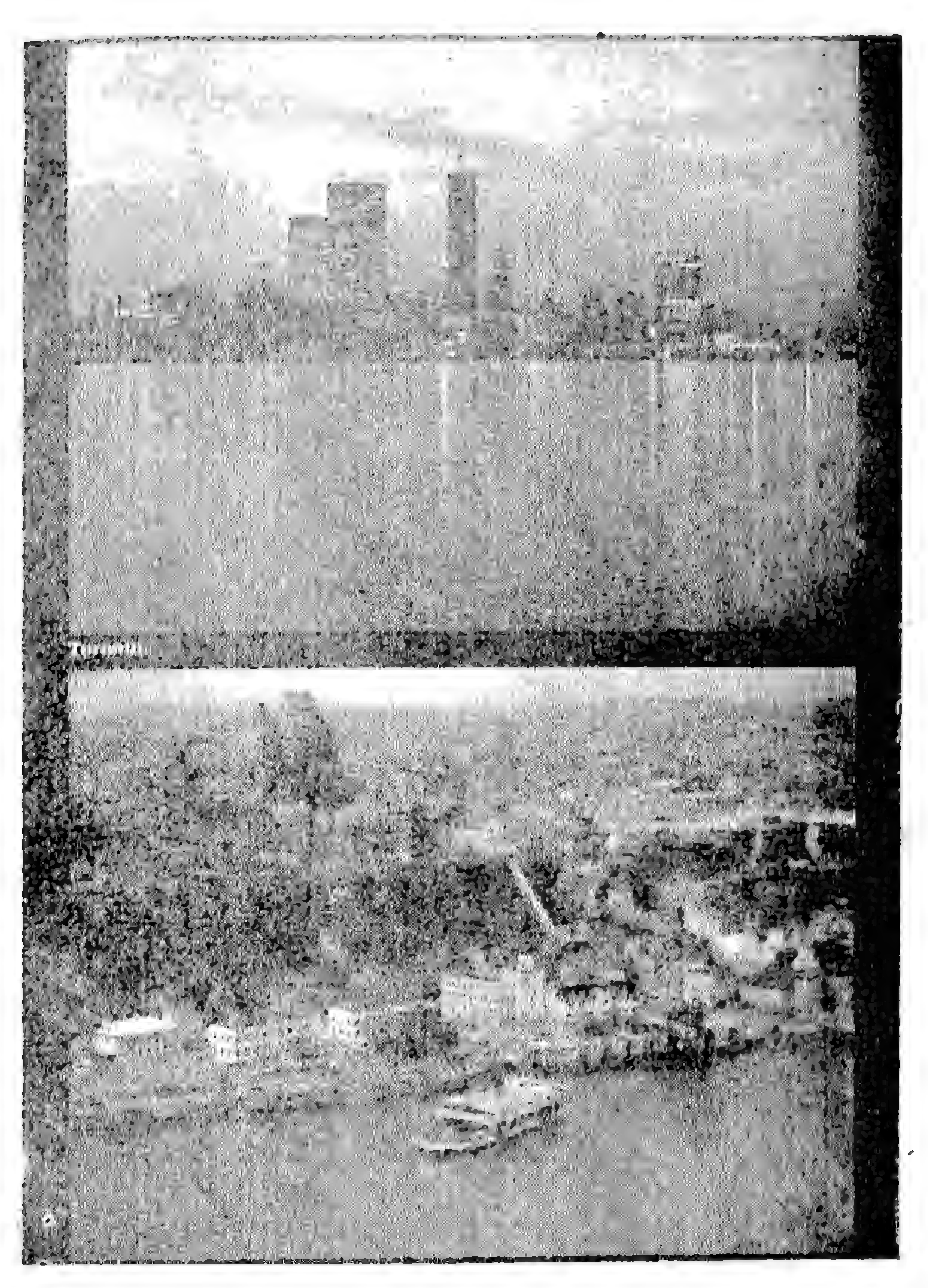
إن كندا ترى العالم بعينى أمريكا . وتتوقف نظرة العالم إلى كندا على علاقة العالم بأمريكا الشمالية .

* فالكتلة الشرقية ترى كندا « سوقاً » لمنتجاتها من البضائع البولندية والتشيكية ، تنافس بها البضائع اليابانية !

* والاتحاد السوفييتى يرى كندا « بيتاً حنوناً » على آلاف الفلاحين المهاجرين من أوكرانيا ، ليزرعوا القمح فى برارى كندا ، ولهذا فكثير من الشعب الكندى — بحكم الصلة والجوار — يجيد اللغة الروسية .

* والصين ترى كندا « باباً » إلى أمريكا الشمالية . . تدق عليه عند اللزوم .

* وفرنسا تنظر إلى كندا نظرة فيها بعض الريبة ، لأن فى كندا ٦ ملايين فرنسى يعيشون فى مقاطعة « الكويبك » التى تتركز فى مونتريال ، وهؤلاء فرنسيون كنديون علاقتهم بفرنسا أعمق ، وولاؤهم ١٠
لفرنسا أوثق ، ولا يتكلمون سوى الفرنسية ، ويسببون للحكومة الكندية مشاكل كثيرة ، ويحلمون بالاستقلال ليكونوا ذات يوم أرضاً فرنسية . .



الفرق بين كندا وأمريكا : الهدوء . الحياة الكندية كمياه . بحيرة . الحياة الأمريكية كأمواج محيط هادر. وتبقى العمارات الشاهقة فى القارة الأمريكية كإحدى سماتها الرئيسية !

وفى مدارس الكويبك ، تدرس اللغة الإنجليزية على أنها « لغة أجنبية». وقد عاش الفرنسيون فى أرجاء البلاد الكندية مدة أطول من أى شعب آخر ، وأحبوها ، ولكنهم لايتخلون أبداً عن مسراتهم وهمومهم التى تدور حول المسكن والأرض والكنيسة .

* وبريطانيا تنظر إلى كندا نظرتها إلى إحدى المستعمرات — السابقة — مع أن كندا أصبحت ندا وأصبحت أقوى اقتصاديا . . وفى كندا يوجد الكنديون الإنجليز . . وهؤلاء ذابوا فى القومية الكندية الحديثة التكوين ، وإن ظلوا متحمسين لتطوير بلادهم ، فإذا حدثت فى إنجلترا كارثة فى منجم ، كان الكندى الإنجليزى أول جامع للتبرعات يساعد بها ضحايا الكارثة .

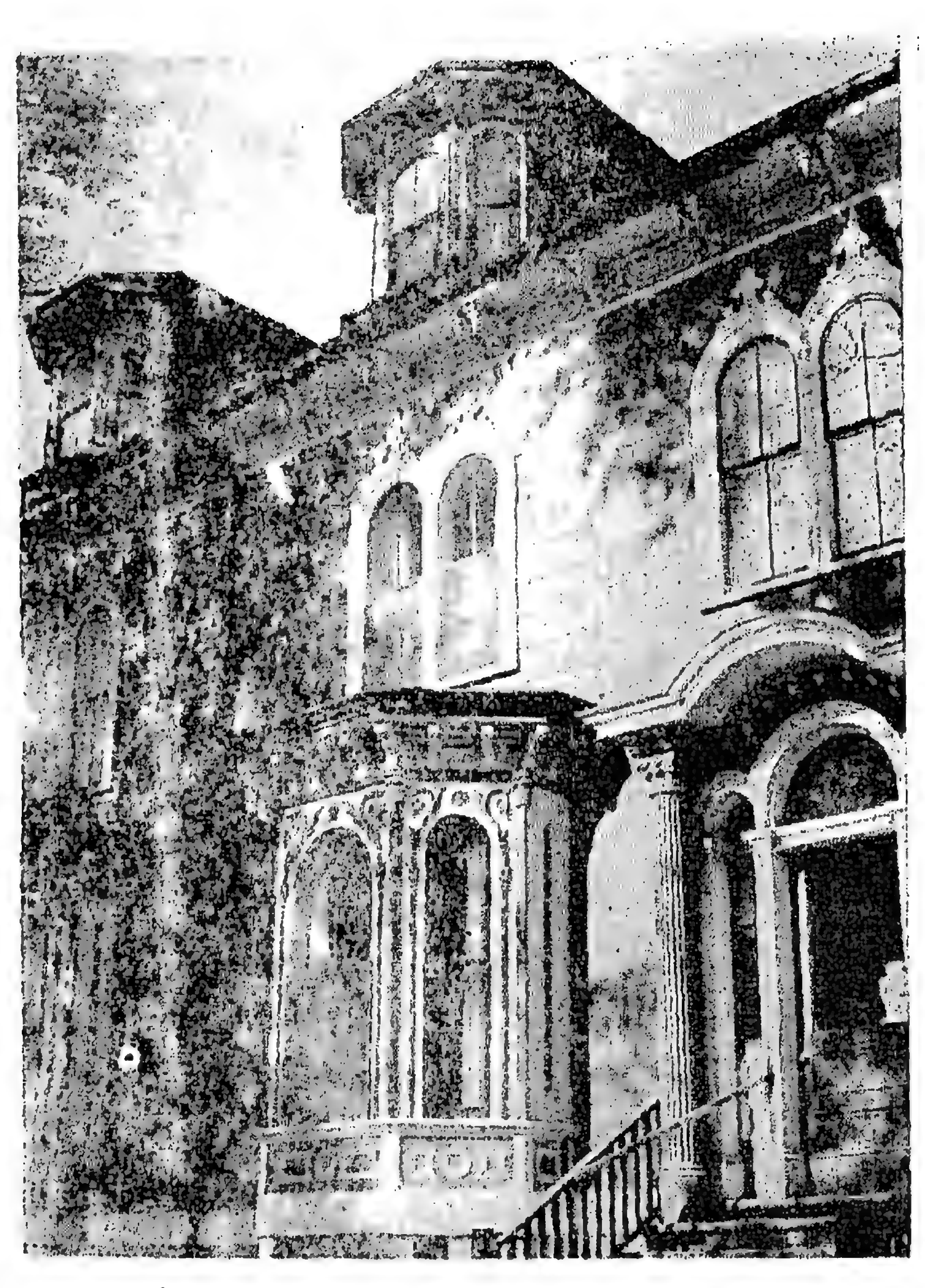
* والولايات المتحدة هى الجار المجاور لكندا ، وكندا — بالنسبة لأمريكا — مجرد «سوق ضخمة» ترتع فيها المنتجات الأمريكية . . وكندا هى البلد الوحيد الذى يمكن أن يدخله المواطن الأمريكى ويخرج منه بلا جواز سفر . . وفى كندا ٢٥ ألف شاب أمريكى هربوا من التجنيد، وهؤلاء يمثلون عبئاً على الاقتصاد الكندى . . ولكن كندا تهمس بهذه الحقيقة فقط ، على حين يجاهر بها — وبغيرها من الحقائق — الشباب الكندى المثقف الثورى الذى يزعجه وجود ٨٠ ٪ من أساتذة الجامعات الكندية . . أمريكان ! وتعرف أمريكا هذا « التيار » ولا تقصر مطلقاً فى إضعافه . . كيف عرفت هذا ؟ لقد التقيت بعشرات من

طلبة جامعة واترلو ، وحكوا لى كيف تترصد أمريكا للشبان الثائرين وكيف تخرس ألسنتهم « الطويلة » !

* ما سر ورقة الشجرة التى تحتل كل مساحة العلم الكندى ؟

هذه الشجرة بالذات ليس لها مثيل فى العالم . . إنها لا تنبت إلا فى أرض كندا على وجه التحديد . إنهم يعدونها شجرة شعبية اسمها شجرة « الميبل » . وبالبحث اللغوى الدقيق أفادنى الأستاذ يحيى أبو بكر — مدير مكتب الجامعة العربية فى كندا — أنها معروفة باسم شجرة « القيقب أو الاسفندان » ، وهى شجرة يؤخذ منها السكر . يشق الجذع فتنزل منه قطرات العسل الذى يتحول بعمليات كيمائية إلى سكر الميبل وله شهرته الخاصة . وعندما تورق أشجار الميبل فى الربيع ، يقام احتفال بهذه المناسبة . ولأن ورقة من شجرة الميبل اختيرت لتكون « علم كندا » بعد أن كان العلم البريطانى ، أصبحت هذه الورقة « نموذجاً » لأشياء كثيرة . . ميداليات ذهبية وفضية . . عقود وخواتم غالية . . طقاطيق سجاير وأطباق . . مئات السلع التى تجتذب السياح فى المطارات والقرى السياحية ، على شكل ورقة شجرة الميبل .

وكندا بلاد شابة . لقد احتفلت عام ٦٧ بمرور ١٠٠ عام على استقلالها ، وهو العام الذى عرف فيه العالم خبر معرض كندا فى مونتريال والذى ما زال يذهب إليه كل من زاروا كندا . . وقد زرته ، وأذهلنى أكثر من محتواه . . الطريق إليه . إن كندا سيدة



الطابع الإنجليزى فى العمارة . ربما تتصور أنك فى لندن . الحقيقة أن المهاجرين الإنجليز إلى كندا نقلوا معهم العادات والتقاليد واللغة وخطوط العمارة !

العالم فى الطرق ، وإذا كانت حضارة الدول أو تقدمها تقاس بطرقها، فكندا من أوائل دول العالم – بعد ألمانيا – فى الاهتمام بروعة الطرق . وهناك أغان يشدو بها الشباب تدور حول شجرة الميبل وكيف أنها شهدت حبًّا مات قبل الأوان . . وإلى وقت قريب . . سمعت أن الفلاح الكندى يتفاءل إذا وضع غصناً من شجرة ميبل فى بيته ، ويقول «إن الخير يرفرف على الحجرات» . . واسم كندا – كما تحريت عنه – له قصة . . فهناك على بعد عشرة أميال من العاصمة « أتاوا » قرية هندية اسمها « كاناتا » من أقدم قرى هذه الأرض، حرفت وأخذت نطقاً أوربيًّا أصبح « كندا » . ولا تزال القرية الهندية القديمة مزاراً للسياح . . وتفخر بأنها قدمت اسمها للبلاد بلامقابل إلا ذكر قصة الاسم . . هكذا يقول لى عمدة كاناتا وهو يطلب منى عملة من نقود بلادى فأعطيته «عشرة صاغ » فرح بها وأرضى هوايته .

* ما الأصول الجنسية للشعب الكندى ؟

لو سألت أمريكيًّا هذا السؤال لقال : «إن الشعب الكندى ينحدر من أصل إنجليزى أو فرنسى » وهذه إجابة صحيحة ، ولكن إلى حد ما ، فهناك مواطنو دول أوربية ينتمون لثلاثين قومية يعيشون تحت سماء كندا ، ولكنك لا تحس بهم ، لأن التفوق العددى للإنجليز والفرنسيين يغمرهم تماماً ، ولكن بعض المدن فى « أونتاريو » أكبر مقاطعات كندا الاثنى عشرة تبدو فيها الملامح السلافية والألمانية ، فالجرائد المحلية تهتم بذوق الألمان

واللغة المنتشرة هى الألمانية ، وقد عشت فى مدينة كتشنر وتبعد عن العاصمة ٨ ساعات بالسيارة واكتشفت أن اسمها القديم « برلين » . . ومعظم سكانها من الألمان النازحين إلى كندا . يحتفلون بالأعياد الألمانية ، وتتميز بيوتهم الخشبية بأنها غارقة فى الزهور و بالنظافة الشديدة ، وهناك مدن متطرفة ، قامت فيها تجمعات حول كنيسة شرقية ذات قبة مميزة . . تذكرنا أن حوالى خمس السكان الذين يطلق عليهم كنديون اليوم قد جاءوا ذات يوم من ألمانيا وتشيكوسلوفاكيا و بولندا . .

ولقد ظلت كندا لا تشجع هجرة الأوربيين من بلاد البحر المتوسط ، فقد رأوا أنه من الأحكم أن يعمر كندا من يألفون الجو البارد . وللجو فى كندا قصة أخرى يطول شرحها !

* مفكرتك . ماذا دونت فيها من ملاحظات ؟

* سيارات « مونتريال » التى تقع فى مقاطعة « الكويبك » الفرنسية مكتوب على لوحة أرقامها : « البلاد الجميلة » ، تعصباً من الفرنسيين الكنديين لمقاطعتهم الفرنسية الروح والذوق .

* فى كويبك ، غير مسموح للصيدلى « اليهودى » أن يعمل فى المقاطعة . . يفضل الفرنسى على أية جنسية .

* فى أثناء اجتماعات البرلمان فى « أتاوا » العاصمة تضاء القبة ، وقبل انتهاء الجلسة تدق الموسيقى تعلن قرب الانتهاء !

* وأمام البرلمان « شعلة مضاءة » فوق قناة صناعية ، لا تكف

عن الخفقان . . دلالتها أن الحياة غير الخاملة ، جديرة بالإنسان . .

• وقفت نصف ساعة أمام إشارة مرور حمراء احتراماً مبالغاً منى لقواعد المرور . . ثم اكتشفت بعد نصف ساعة من الملل أن هناك « زراً » يجب أن يضغط عليه المشاة أمثالى ، فتصبح الإشارة خضراء ، وتتوقف السيارات ، وأعبر فى أمان . واحترمت هذه « الرعاية » للمشاة .

واحترمت احتراماً أكثر استخدام الآلة فى سلامة الإنسان . . . و . . لعنت غبائى !

* * *



العلم الكندى عليه صورة ورقة « الميبل » ، وهى شجرة مشهورة جداً فى كندا ويقولون إنها شجرة السخاء والعطاء .

الفصل الثانى

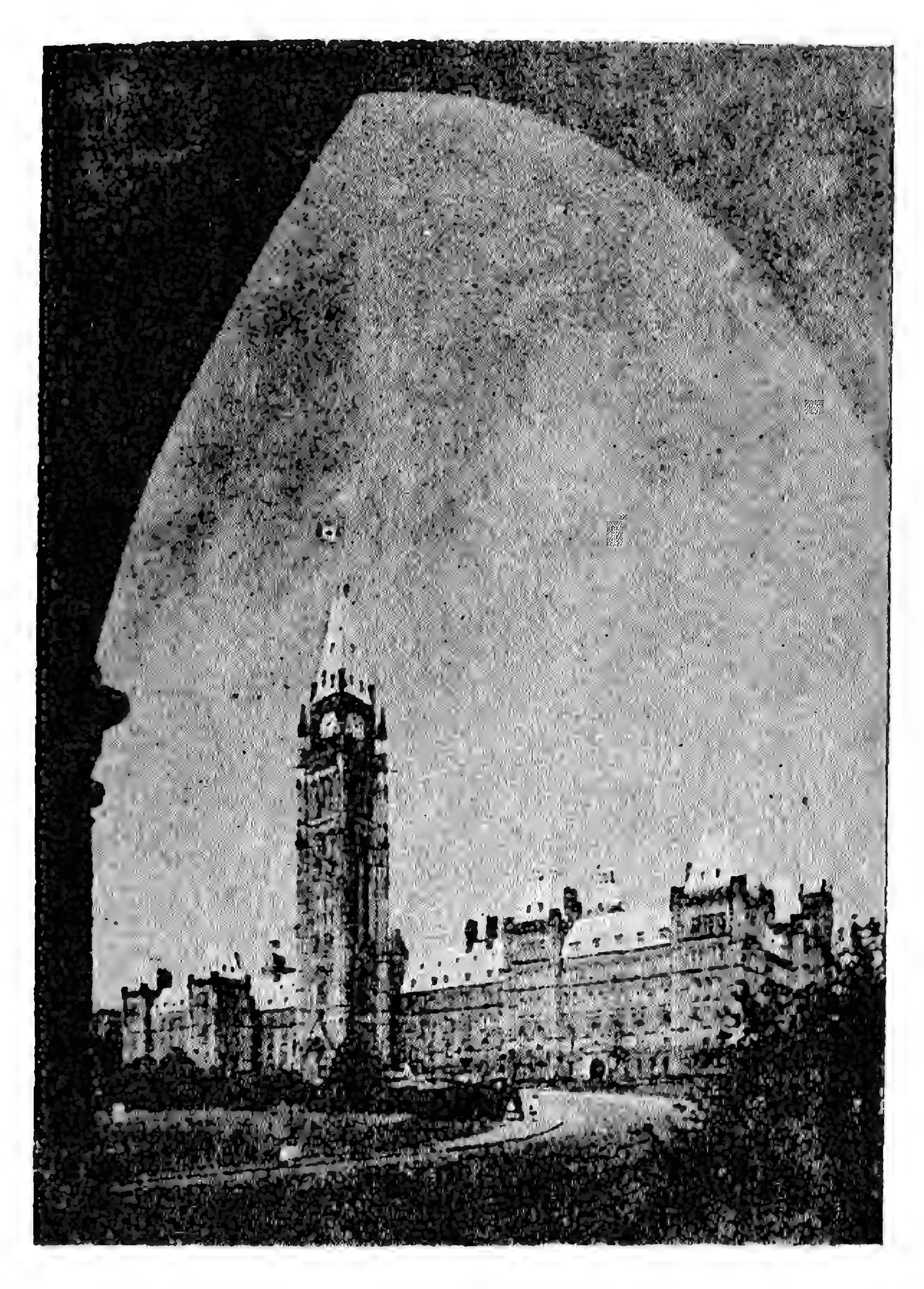
شبابها يغرى الرجال دائماً

«إن كل شىء فى كندا بالتقسيط المريح. باستطاعتك أن تشترى أى شىء وتدفع مبلغاً تافهاً، والباقى يكون أقساطاً مدى الحياة!!» .

لو رأيتها منذ سنوات لوقعت فى هواها ! أيامها كان الإحساس بكراً ، وكان القلب خالياً . ولكنى عرفت « اليابان » قبل أن أرى « كندا ». وأحببت اليابان وإن كنت أخبئ فى قلبى « إعجاباً » — لم يرتق إلى مرحلة الحب — بكندا ! لقد ودعت طوكيو بدموعى ، وودعت كندا بابتسامة فراق اللقاء الأول !

إن اليابان أرض عريقة وحضارة قديمة وطعم محدد ومذاق متميز وشعب متجانس له آلام واحدة وآمال واحدة . أما كندا فهى محيرة الشخصية . إنها ترطن بالإنجليزية ، وتحب على الطريقة الفرنسية وتتصرف بغطرسة الألمانية ، وفى كيس نقودها دولارات أمريكية !

وإذا كانت اليابان ذات وجه واحد فإن كندا باثنى عشر وجهاً . بعدد مقاطعاتها . . وكل مقاطعة لها ملامح وتقاليد خاصة بها .



عمارة لها طابع شرقى .. فى كندا ترى كل الأنماط ، ذلك أنها بلاد فسيحة
اجتذبت البشر والخبرات من كل بقعة فى العالم وانصهرت تحت العلم الكندى !

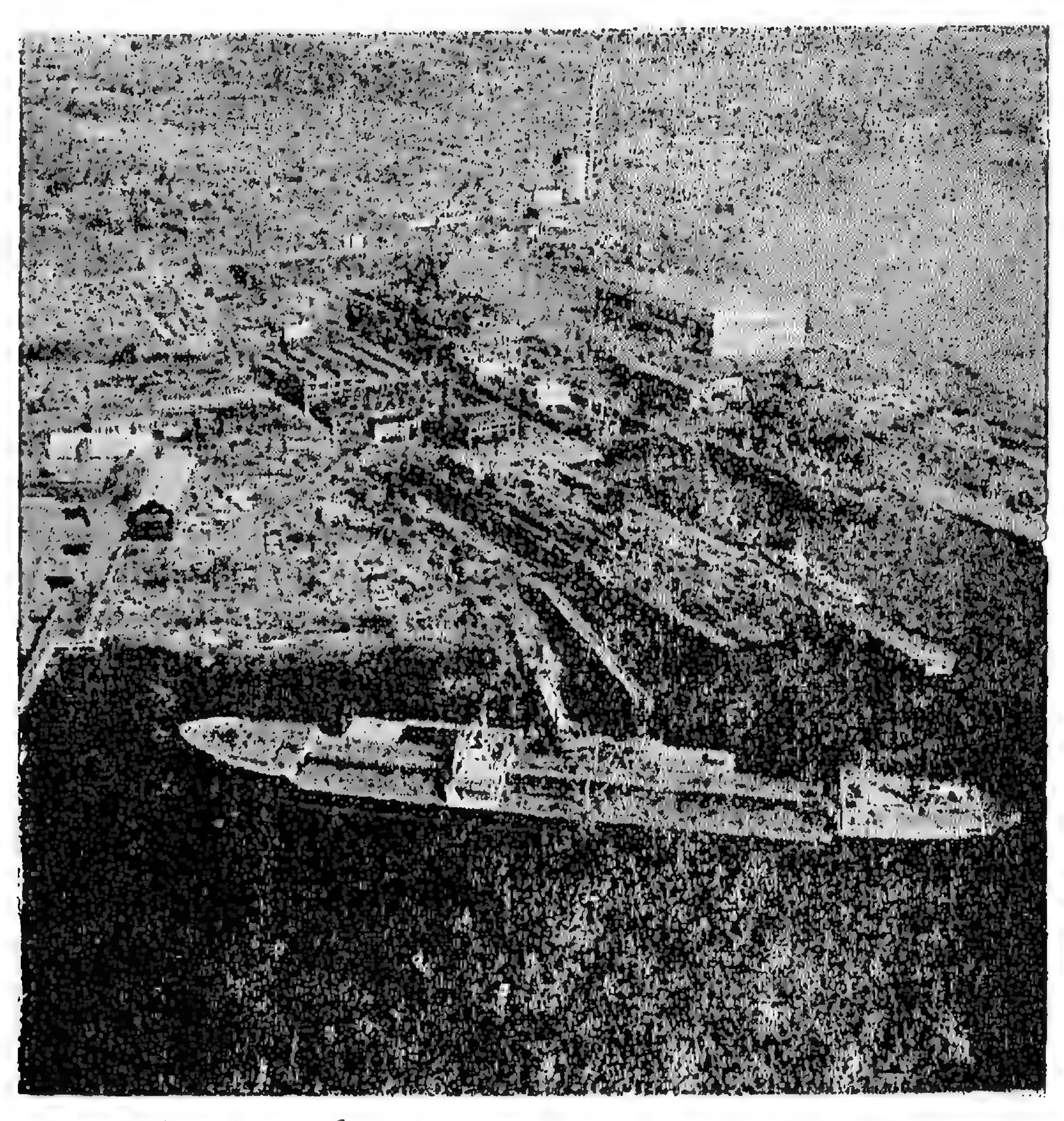
فى « مونتريال » حيث مقاطعة « الكويبك » ، كان يصدمنى التعصب الفرنسى والعقلية الكاثوليكية . . وفى « تورنتو » قلب مقاطعة « أونتاريو » كان الهدوء الإنجليزى يأسرنى . . وفى « مانيتوبا » حيث سنابل القمح الصفراء تتوهج أمام قرص الشمس وتتماوج فوق سطح الأرض ، قابلت فلاحين من أوكرانيا يتكلمون الروسية ، يزرعون القمح فى البرارى. وما استطعت أن أجد إجابة محددة لسؤال واحد وأنا أطرحه فى المقاطعات ، إن الجميع متفقون على أن « مستر بيير ترودو » ، هو رئيس وزراء كندا ، وأن العاصمة فى «أتاوا » ، وأن الدولار الكندى يحمل صورة ملكة إنجلترا ، أما الاختلاف فى الرأى فكبير بحجم المساحات الشاسعة التى تفصل كل مقاطعة عن الأخرى .

إن كندا بلاد شابة . تحتاج إلى آلاف السواعد . . إنها أشبه بمعسكر عمل .

إن كندا هى « سلة خبز العالم » . إن كل أنواع الخبز موجود : الإنجليزى والفرنسى والألمانى والإيطالى ، حتى خبز « الشرق الأوسط » وهو المعروف « بالعيش الشامى » . فالقمح وفير جداً و ٨٠ ٪ من قمح العالم تزرعه كندا . والمخابز بعدد شعر الرأس . والفرّان مهنة لها احترامها بالتبعية . وهناك ثمانون نوعاً من الدقيق الفاخر . . والقمح يزرع بالأشعة النووية ، وللقمح هيئة تكافئ الفلاحين ، وتسوق المحصول ، وتحفظه من الصقيع المفاجئ . والقمح يأتى ترتيبه بعد المعادن فى الاقتصاد الكندى ، وسفن كندا العائمة فوق مياه المحيط تحمل ، فى أغلب الأحيان ، قمحاً ودقيقاً .

لمعلوماتك

- كمهاجر لك الحق فى الحصول على إعانة شهرية قدرها ٦ دولارات عن كل طفل سنه أقل من عشر سنوات و ٨ دولارات عن كل طفل ما بين عشرة وستة عشر عاماً خلال العام الأول من إقامتك فى كندا ، وتسمى هذه الإعانة « مساعدة عائلية » ، وبعد العام الأول تتحول إلى « بدل الأبناء » .
- يدفع لكل شاب بدل يبلغ ١٠ دولارات شهرياً فى حدود سن ١٦ و ١٧ بشرط أن يظل فى دراسته أو يكون غير قادر على الدراسة لنقص فى نموه الذهنى وتخلفه «المبتسرين» .
- هناك أنواع متعددة من التأمينات التى توفر للكنديين الرعاية الطبية اللازمة .
- إذا بلغت سن ٥٦ وكنت مقيماً فى كندا العشر السنوات السابقة فإن لك الحق فى الحصول على معاش شهرى قدره ٨٠ دولاراً حتى لو لم تكن كندى الجنسية ، وهذا المبلغ يدفع سواء كنت تعمل أم لا بغض النظر عن أى إيراد آخر يدخل جيبك .
- إذا لم يكن لك إيراد آخر سوى معاش الشيخوخة البالغ ٨٠ دولاراً ، فإن الحكومة الكندية تدفع تكملة قدرها ٣٢ دولاراً شهرياً قابلة للزيادة حسب مستوى الطالب .



موانیء کندا ، صورة من الجو .. الإنسان الکندی یعرف کیف
یشق طریقاً فی البر أو البحر . علمته الطبیعة أن ینتصر علیها وإلا غلبته !

وربما لجأت كندا إلى إنتاج خبز الدول ، وهو ما تتميز به كندا وحدها من دون العالم ، لأنها تعرف أن القادمين إليها يعيشون تحت سمائها ولا ينسون سماء بلادهم البعيدة ، لعل رغيف خبز يذكرهم بإفطار الصباح ذات يوم فتجدهم يسقطون فى لحظة شجن ويدندنون بأغنية ، طالما تمتمها الشفاه ذات نهار بهيج .

* إن كندا بلاد مريحة

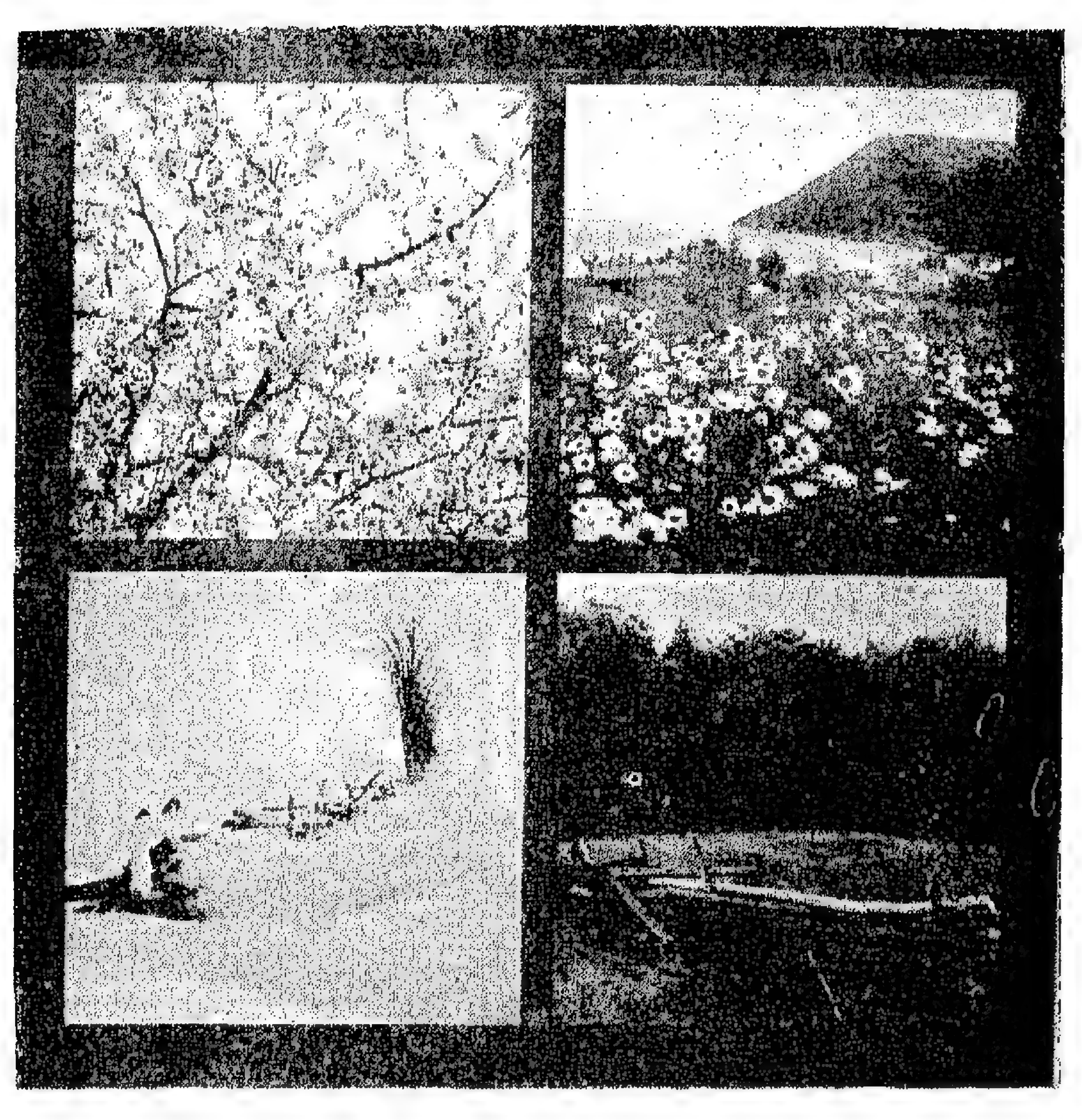
إنها أشبه « بفوتيل » عريض ، يغوص الإنسان فيه ويسترخى . لقد كنت أتصور أن المساحات الخضراء التى رأيتها فى تونس أو المغرب ، لا نظير لها فى العالم . فلما رأيت غابات كندا وهذه « الخضرة » الكثيفة . تراجعت عن رأيى . . إن الأغصان . . أغصان الأشجار ، فى عناق لا ينتهى . والثمار تتدلى كأنها « نهدان أفلتا من قميص » والعبارة لنزار قبانى . والحشائش الخضراء الموغلة فى الاخضرار تبدو كسجادة بحجم العالم ، مفروشة فوق أرض كندا ، والزهور تتسلق البيوت وتتناثر على جوانب الطرق وترصع جبين الحدائق ، وتجعلنى أشعر برائحة الياسمين تملأ الجو وتتحد مع الهواء وتكاد عيناى فى النهاية تتلونان باللون الأخضر .

إن كندا بلاد مريحة .

إن وجه « الراحة » يتركز فى الدور الاجتماعى الذى يقوم به أى بناء ! فالبناء ليس معماراً هائلا أو ذا أناقة تلفت النظر . .

لمعلوماتك

- فى كندا وزير مسئول عن شئون المرأة وأحوالها اسمه برايس ماكاسى .
- المرأة فى كندا حرة فى أن تعمل أو لا تعمل خارج منزلها .
- إن العناية بالأطفال هى مسئولية الأم والأب والمجتمع .
- يتحمل المجتمع مسئولية خاصة نحو المرأة فى أثناء مدة الحمل والولادة ، وبالتالى يجب أن تعامل معاملة خاصة .
- بلغ عدد النساء العاملات فى كندا عام ١٩٧٠ ما يقرب من ٢٫٧ مليون عاملة أى ٣٢٫١٪ من مجموع القوى العاملة .
- بلغ عدد النساء المتزوجات العاملات ٥٦٫٦ ٪ من مجموع القوى العاملة النسائية وكان هذا الرقم ٤٥ ٪ فى عام ١٩٦٠ .
- بقوة القانون ليس هناك تفرقة فى المعاملة بين المرأة العاملة والرجل العامل ،وقد نص القانون على المساواة فى الأجر إذا كان العمل واحداً .
- ينطبق تأمين البطالة على المرأة كما ينطبق تماماً على الرجل .



الطبيعة الكندية ... فى حالة صفاء !

إن البناء — بما يقدمه للناس من خدمة — خال من الإرهاق وبعثرة الوقت .

إن قيمة البناء بنمط الذين يعملون فيه ، وبمدى استعدادهم للعمل . ودرجة تفانيهم فيه ! وخذوا على سبيل المثال أول واجهة قابلتها كزائر : المطار . فنى خلال دقائق كانت حقائب المسافرين تدورأمامهم فوق « طبلية » ، والتقطت حقائبي بدون أية مشقة . . وخلال دقائق كانت الحقائب أمام رجال الجمرك ، تفتش بدقة بالنسبة لأى عربى . . وتفتش بلامبالاة للأجنبى أو المهاجر إلى كندا . وخلال دقائق ، كانت جوازات السفر تفحص . والضابط يبتسم ويرحب . وخلال دقائق ، كنت أقف على باب المطار ، وأقلتنى سيارة صديق . سيارة فارهة «موديل ٧٢» ومجهزة بكل ما يحلم به الإنسان : ريكوردر . بيك آب . ثلاجة . تليفون. جهاز تكييف . وعندما أبديت انبهارى بالسيارة ، قالوا لى إن صاحبها مفلس ! لقد دفع قسطها الأول من جيب البنك وليس من جيبه . ومنذ اللحظة الأولى ، والسيارة الفارهة ، الخرافية ، تشق الطريق من مطار مونتريال لتقطع ٨ ساعات أخرى حتى أصل إلى « كتشنر أونتاريو » حيث أستقر ، بدأت أفهم سر الراحة على الطريقة الكندية !

إن كل شيء فى كندا ، بالتقسيط المريح ، فى استطاعتك أن تشترى أى شيء ، وتدفع مقدماً مبلغاً تافهاً والباقى على أقساط تمتد مدى الحياة ، والقسط فى غاية التفاهة .

مثلا ، أستطيع أن أشترى سيارة « بويك » مثلا أو كاديلاك



تستطيع أن تغسل وتكوى ملابسك فى أقرب « مغسل » كهربائى .
دقائق وتتسلم ملابسك ، وتهرب من عذاب المكوجى البدائى !

وأدفع « مبلغاً ما » ثم أدفع قسطاً شهرياً قدره خمسون دولاراً اوأستطيع أن أشترى ثلاجة رهيبة وأدفع قسطاً قدره ١٠ دولارات شهرياً . أستطيع أن أشترى « بيتاً » ، أستدين من البنك « مقدم » المبلغ ، ثم أدفع الباقى على أقساط . وعلى هذه النغمة ، تلعب إعلانات التليفزيون ! تظهر على الشاشة فتاة صاروخية الجمال ، لتغمز لك بعينيها وتهمس فى أذنيك :

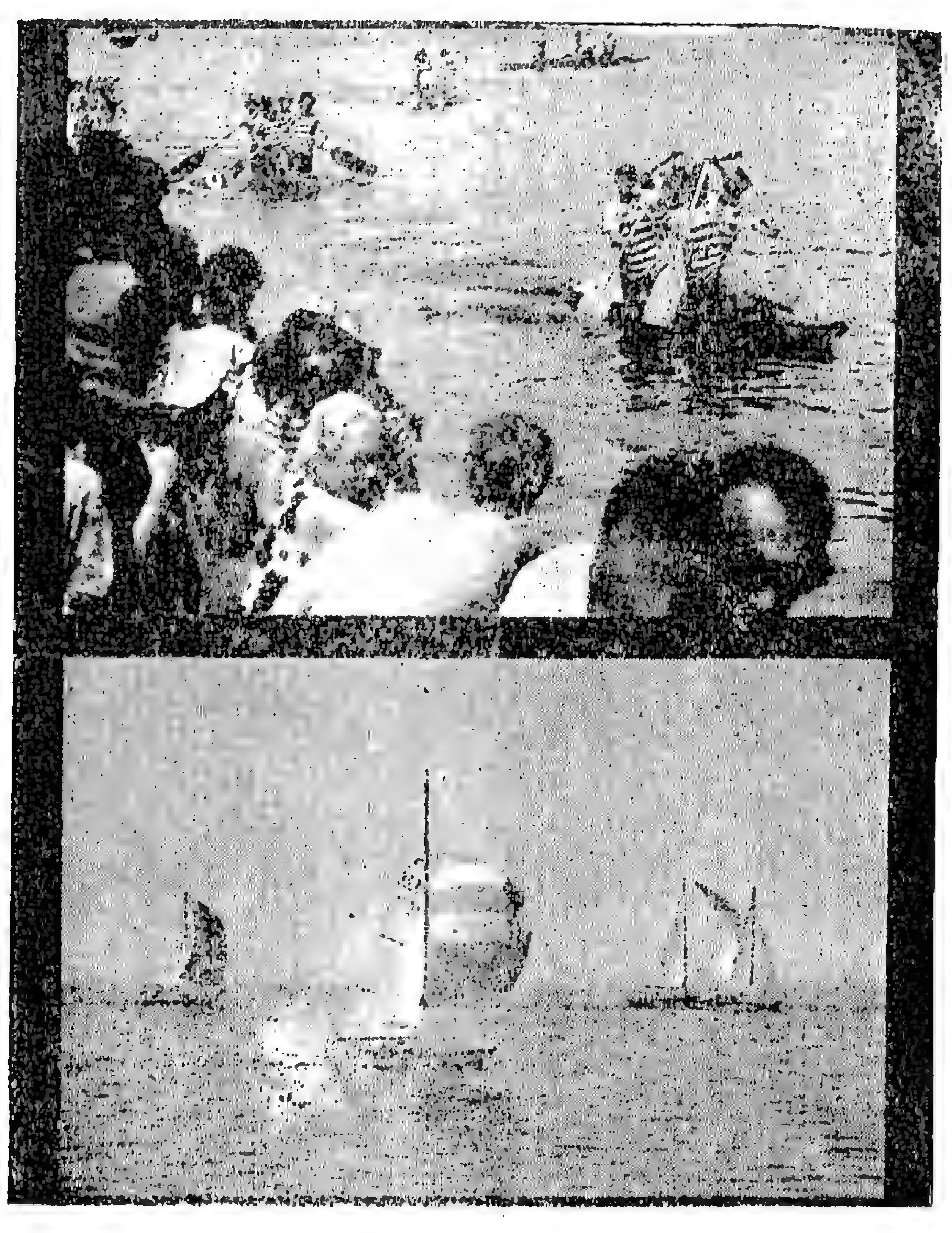
« أثث بيتك بعشرين دولاراً »

وليست هذه مبالغة . إن أى إنسان فى كندا يستطيع أن يشترى بيتاً وسيارة ويؤثث البيت تأثيثاً كاملا ، ويظل يدفع « أقساطاً » طول العمر ! إن المهاجرين يقولون إن كندا « تسهل » الحياة : بأسلوب رأسمالى ، وإن كانت تخنق العنق بالأقساط . ولكنها أقساط « مريحة » على أية حال !

خلال الطريق من « مونتريال » إلى « كتشنر » وهى مدينة صغيرة « ألمانية الشخصية » ، وكان الليل قد ابتلعنا فى جوفه ، اكتشفت كيف تجعل كندا ليلها مثل نهارها ! فأنوار الطريق مريحة للعين . والتزام قواعد المرور والسرعة مريح للأعصاب ، واتساع الطريق نفسه ، مريح للمسافر مثلى ، واستواء الطريق ونعومته مريح للسيارة . إن جواً من الراحة يغلف كل شىء فى هذه الأرض الشابة ! إن شباب كندا يغرى الرجال والشباب . إن محطات البنزين تتناثر على جانبى الطريق رقم ٤٠١ . وهو الذى يربط كندا من شمالها إلى جنوبها . محطات

لمعلوماتك

- افتتح المركز القومى للفنون فى « أوتاوه » عام ١٩٦٩ ، وقد تكلف إنشاؤه ٤٦ مليون دولار ، ويحتوى على دار للأوبرا تسع ٢٫٣٠٠ كرسى ومسرح يسع ٨٠٠ كرسى واستوديو التجارب وصالون لموسيقى الغرفة .
- تحتل مونتريال المركز الرابع فى إنتاج البرامج التليفزيونية فى العالم وهى الأولى فى إنتاج البرامج الفرنسية .
- حرصاً على التراث القومى لكندا قررت الحكومة الكندية أن تكون اللغتان الإنجليزية والفرنسية اللغتين الرسميتين ، يستعملان معاً على قدم المساواة .
- تقوم الثقافة الكندية على أساس من التراث الثقافى النابع من اللغتين الإنجليزية والفرنسية ، وكذلك على أساس من التراث الثقافى لجميع اللغات التى يستعملها المستوطنون الكنديون كالألمان والإيطاليين والأكرانيين وغيرهم . إن الثقافة الكندية هى خليط ممزوج من جميع اللغات المسموعة فى كندا .



حين تصفو الطبيعة وتبتسم فإن الحياة كلها .. تتبسم !

البنزين هذه أشبه بـ « كافتيريات » راقية . وهى فى الواقع « كافتيريات » مفتوحة ليلا ونهاراً ، ويخدم فيها الشبان والبنات على السواء ، وتقدم الوجبات الساخنة فى أى وقت على مدى الأربع والعشرين ساعة .

إن لكل مقاطعة حدوداً . فى الكويبك كان كل شىء مكتوباً بالفرنسية ، وحين دلفنا إلى مقاطعة « أونتاريو » كان كل شىء مكتوباً بالإنجليزية والفرنسية !

وفيما بعد فهمت أن « اللغة » إحدى مشاكل كندا .

وفهمت – مثلا – أن ترودو رئيس الوزراء ، وهو واحد من المرشحين فى الانتخابات الكندية ، يلعب على وتر اللغة . يعلن فى مبادئه أنه يريد أن يجعل اللغتين الرسميتين فى كندا ، الإنجليزية والفرنسية . إنه بهذا يضمن أصوات سكان مقاطعة « الكويبك » الفرنسية ، وعددهم ٦ ملايين نسمة .

إن عينى – كالعدسات الدقيقة – مفتوحة على آخرها . فطول الطريق ، ألتقط ما هو مكتوب على اللافتات . فمن المكتوب : السرعة هنا ٦٠ ميلا ، وبعد قليل ، تصادفك لافتة أخرى تقول : السرعة هنا ٥٠ ميلا ، وتقابلك لافتة تذكرك أن محطة البنزين القادمة على بعد ٢٠ ميلا ، وتصادفك لافتة أخرى تنبهك أن الإسعاف بعد عشرة أميال ، وإذا كنت تنوى الدخول إلى قرية تقع على طول الطريق ، فإن لافتة تنبهك أيضاً أن تتجه إلى اليمين بعد ٢٥ ميلا ، . وعلى مدى البصر ، يظل يرشدك رقم ٤٠١ ، لتعرف أنك فى الطريق الصحيح فلا تتوه ! شىء

مريح غاية الراحة . الأمى — مثلى — بجغرافية المدن والشوارع والطرقات لا يتوه . مادام يقظاً بعض اليقظة ويحمل خريطة . قد أتوه فى طنطا إذا أردت أن أذهب إلى بركة السبع ، ولا أتوه فى كندا إذا أردت أن أصل إلى قرية كندية فى حضن بحيرة « أونتاريو » !

المذياع لا يكف عن الموسيقى . المؤشر ينقل لى أغانى أمريكية مجنونة ، وأغانى حب فرنسية ، وتأوهات إيطالية ، وإعلانات مثيرة ، صريحة ، عارية ، غير مغطاة ! !

وألقى نظرة من شباك السيارة الفارهة ، أتأمل الليل والطريق وأنواع البشر المسافرين فى تلك الساعة . وتقع عيناى على سيارات تحمل فوق سقفها قوارب ، وسيارات أخرى تجر شيئاً أشبه ببيت صغير ، له نوافذ مضيئة وحجرات نوم ! وتبدو الدهشة فى نظرتى ، وآخذ الجواب . . اليوم هو الجمعة ، يوم الاستعداد « للويك إند » !

إن كندا « تهاجر » إلى الشواطئ والحدائق يومى السبت والأحد .

ويستوى كل الناس فوق الحشائش الخضراء . الكل « مستر أو مسيو » لا دكتور ولا حاج ولا مقدس . لا ألقاب بينهم . . الكندى يغرق فى الراحة لأنه — كما رأيته عن قرب — يغرق فى العمل .

إننى أقول « الكندى » ، مجازاً ، لأن الكندى الذى ينحدر من أصل كندى لم يستطع حتى الآن أن يصنع الحياة فوق أرضه الشابة . وإذا كنت أتحرى الدقة ، فإنى أقول إن الكندى الإنجليزى يحترم تقاليده العريقة . والكندى الفرنسى يتعصب لفرنسا الأم . والكندى الألمانى

يشرب نخب أعياد ألمانيا ، والكندى العربى ، جاء مهاجراً ليجمع ثروة بفطنته ! إن كندا مجموعة أقليات لم تذب بعد . إنها مجموعة « جاليات » تجمعها سماء واحدة وأرض واحدة و إن اختلفت همومها !

فى كندا هموم شخصية وليست « قومية » . ولأن كندا — الدولة — بلا هموم ، فلا فن فيها ولا معاناة . إنها تعتمد على جارتها أمريكا . فأمريكا وكندا شقيقتان من أبوين اثنين وأم واحدة ! ويقول الأمريكان إن الكندى كابن فى البيت يشاطر شقيقته الكبرى حجرة النوم !

حين رأيت أمريكا — فيما بعد — عرفت أن كندا وأمريكا « فولة وانقسمت نصفين » كما يقول المثل . ولكن النصف الكندى معقول والنصف الأمريكى مزعج ، قبيح ! والنصف الكندى شاب والأمريكى عجوز ممزق !

فى محطة « جاز ستيشن » أخرى على الطريق التقطت عدستى الفضولية المثبتة فى رأسى ، منظر قبلات عارمة وأيد عابثة بحرية ورضاء تام ، ولامقاومة أو استغاثة . وليست هذه أول مرة أرى هذا « العرى » ، فى أوربا رأيت صوراً مماثلة ، ولكن ليست بهذه الإباحية القصوى ! كنت أنظر المشهد بنصف عين حتى لا أجرح الشعور بالحرية وهو مقدس . وقد رأيتها . . كندية جميلة ممشوقة فى « شورت » ممزق ، كما تحتم « الموضة » ، وجسمها عار لاتستر سوى صدرها . رأيتها تجر الشاب من يديه إلى « التريللر » وهو البيت الذى يمشى على عجل . أخذته بكل هدوء وأخفته بين ضلوعها ، وسار الاثنان ، واختفيا داخل

البيت الذى تجره سيارته أو سيارتها لست أدرى . وهمس فى أذنى صديق (١٠ سنوات فى كندا ومتزوج من كندية) قال :

لا ترتوى الكندية إلا بتحطيم ضلوعها برفق . ليس مهماً أن يكون الشاب حبيبها ، وأن تبادله أى مشاعر ، المهم أنهما التقيا فى « لحظة واحدة » فلماذا لا يشاطرها سريرها . أو لماذا لا تشاركه سريره ؟ الأمر سيان . . حتى الجنس مريح فى كندا .

الفجر شق الظلام . . ووصلنا إلى كتشنر . والنوم طار من عينى . « المسافر لا ينام » حكمة تعلمتها من رفيق رحلتى لليابان ، الرسام رجائى !

وغداً يوم آخر ! !

لمعلوماتك

- إن حماية البيئة تحتل اهتماماً كبيراً من الحكومة الفدرالية ، وفى هذا السبيل فإن القوانين التالية قد استحدثت :
- قانون مصايد الأسماك لمنع تلوث المياه السمكية .
- قانون مياه كندا ليوفر الإجراءات الكفيلة بحماية مياه الشرب .
- قانون نقاوة الهواء والتحكم فى تلوث الجو .
- قانون منع تلوث مياه منطقة القطب الشمالى .
- قانون المياه الداخلية للمنطقة الشمالية .

الفصل الثالث

الحياة الساخنة فوق أفدنة من الثلج

« لا بد أن تنسى شمس بلادك الجميلة
وسماءها الصافية ومطرها الحنون ،
ما دمت فى كندا ، حيث يعاديك
الطقس ويعذبك الثلج ، وتطردك
العواصف ! »

فى كندا إذا لمحوا حيوان « السنجاب » يقفز فى الشارع فرحوا وهللوا !

إن ظهور السنجاب معناه تباشير الدفء ، والصيف ، والانطلاق ! فالسنجاب يهجر مخدعه الشتوى فقط حين « يشم » الدفء ! يخرج ليبحث عن أكل يختزنه بين جذوع الأشجار وأغصانها ، يواجه به أيام البرد والمطر والثلج !

إن « مرح » السنجاب ، إشارة للبهجة على الشواطئ . للتحرر من كل القيود . فيذهب الكنديون شبه عرايا ، حفاة . . إلى الغابات والبحيرات ، وهناك يغنون : « هيا نسبح ، هيا نرقص ، فالوقت قصير ، والحياة أقصر » .



حين تكشر الطبيعة ويسقط الثلج ، فلا بد من الاحتماء داخل ملابس « خاصة » يرتديها الجميع ، الكبار والصغار !

لكن للطقس – فى كندا – وجهاً آخر ، يستحق أن أحكيه لكم !

تصورت فى البداية أنها مجرد « نكتة » يستدر صاحبها ابتسامتى ، ثم اكتشفت فيما بعد أنها « حقيقة » دفعت ثمنها غالياً من أعصابى !

والحكاية – على طريقة ابن بطوطة – أننا حين عزمنا على السفر ، وكان ذلك فى منتصف يوليو ، سألت صديقاً كان قد هاجر إلى كندا ولكنه لم يألف الحياة هناك فعاد إلى مصر واستقر تحت سماء مصر . سألته : ماذا أحمل من ملابس إلى كندا فى هذه الفترة من السنة . فقال بلا تردد وبلهجة لا تقبل الشك : خذ ملابس صيفية خفيفة ، ولا تنس الملابس الشتوية الثقيلة ، ولا مانع من ملابس بين بين ! وضحكت . فما يقوله كان أشبه بالفوازير !

وكررت السؤال وركزت على تاريخ سفرى ، فقال بجدية شديدة : « خذ معك ملابس الفصول الأربعة » .

وهمست لنفسى : غريبة . إنه مصرّ على مايفتى به . لا بد أنه « حاقد » على كندا لأنها لم تعطه النجاح الذى كان يحلم به .

ولم ألتفت إلى ما يقول ، وحملت معى ملابس صيفية خفيفة فقط . وركبت الطائرة وتوكلت !

لكنى فى الأيام الأولى ، أدركت أن صديقى لم يكن يمزح ، ولم يكن يسخر ، كان يقول الحقيقة ، كل الحقيقة ، ولا شىء سوى الحقيقة .

فالجو فى الصباح حار ، خانق . تصل الحرارة فيه إلى درجة ٤٥ ، والرطوبة إلى درجة ٨٥ وأشعر أن التصاق أى ملابس على جسمى إهانة

لمعلوماتك

- فى كندا ٢,٦ مليون بقرة حلوب تنتج سنويا ما مقداره ١٨,٣٠٠ مليون رطل لبن ويستعمل ٦٣ ٪ من هذا الإنتاج فى صناعة الألبان .
- كانت تجارة الفراء هى السبب الأول لاستعمار كندا ، وكانت أول شركة تكونت للاتجار فى الفراء شركة فرنسية أنشئت عام ١٦٠٣ ،وفى عام ١٦٧٠ أنشئت شركة إنجليزية للاتجار فى الفراء .
- بلغت قيمةالفراء منذ عامين ما مقداره٢٧,٤٤٢,٤٤٢ دولاراً ، وكان هذا الرقم فى الموسم ١٩٦٩ /١٩٧٠ هو ٣٤,٢٤٦,٩٤٢ دولاراً .
- تبلغ مساحة الأرض المغطاة بالغابات المنتجة ما يقرب من مليون ميل مربع تحتوى على ثروة خشبية تقدر بأكثر من ٧٥٠,٠٠٠ مليون متر مكعب .
- يمتلك القطاع العام ٨٠ ٪ من هذه الغابات المنتجة .
- تمثل صناعات الغابات ما يقرب من ١٧,٧٪ من جميع صادرات كندا عام ١٩٧١ .
- تعتبر صناعة الورق الصناعة الأولى فى كندا ، وتبلغ قيمة مبيعات هذه الصناعة ٣,٤ ٪ من المجموع الكلى للإنتاج القومى ، كما أنها أسهمت بما يقدر بحوالى ١٢,٥ ٪ من القيمة الكلية للصادرات عام ١٩٧٠ .



مساقط المياه .. لعل أشهرها نياجرا فولز ، شيء من غزل الطبيعة !!

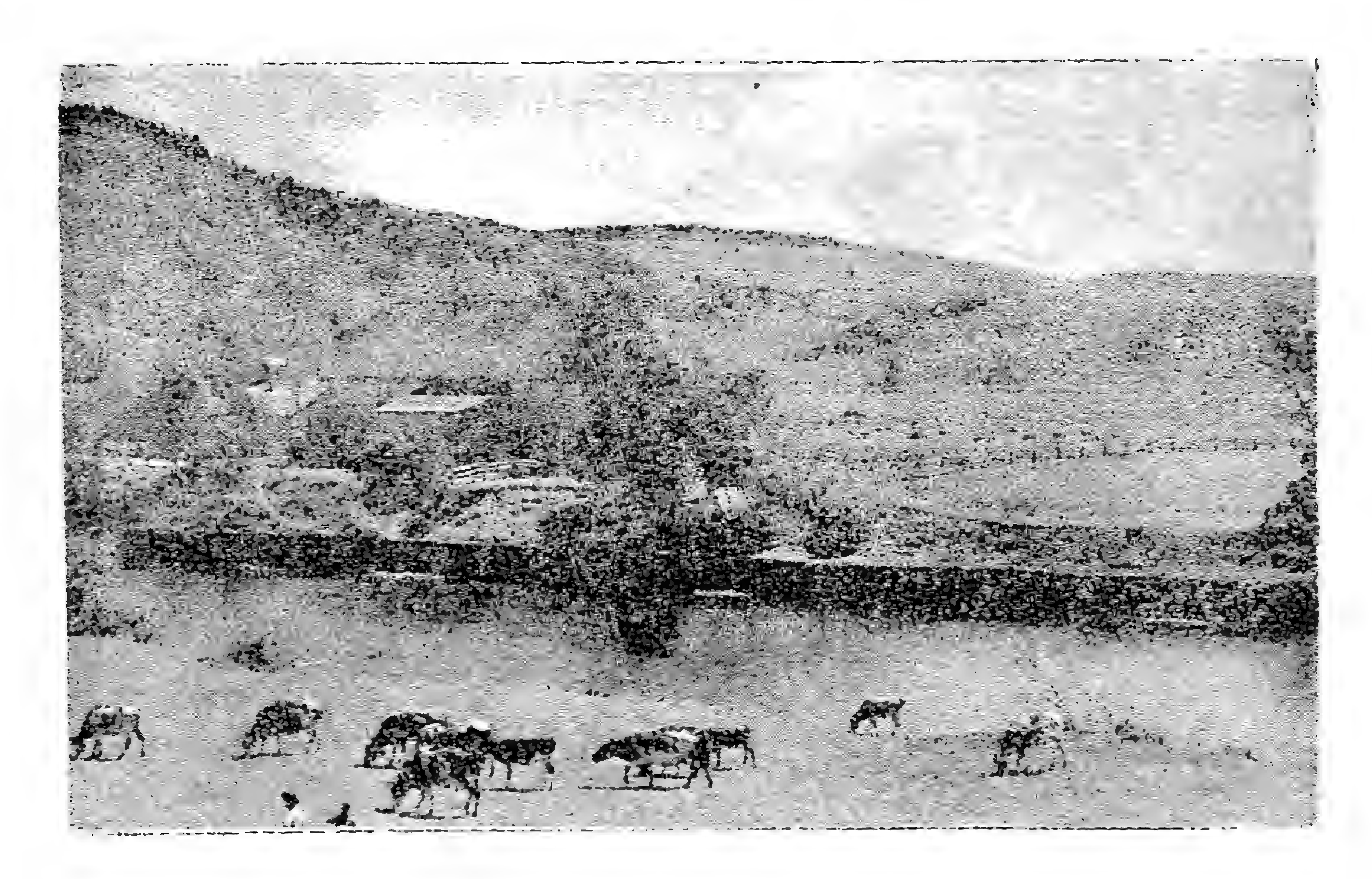
لإنسانيتى ، وأتمنى لو اخرج إلى الشارع عارياً ، وأكتفى بما لا يجعل الناس تظن أنى أقود « تطوراً » فى الهيبية ! وكعادتى أملأ معدتى بالماء المثلج لأرتوى ، وأبحث عن جهاز تكييف أحلم لو كنت « صامولة » فى موتوره ! وأحاول أن أنشغل عن الحرارة بالتليفزيون .. وتنجح برامج التليفزيون الكندى فى إثارتى حتى أنسى « الجحيم » . . وحين ينتهى البرنامج أجد نفسى غارقاً فى بحر من العرق ، وأفتح نافذة ، فيستأذن « الصهد » فى الدخول. فأغلق النافذة بسرعة ، فيتسلل بدون إذن منى ، من تحت الباب فأسد هذا الجزء بمخدة ، فأشعر أنى سأختنق! اهربت أكثر من مرة إلى الشارع ، فجهاز التكييف نفسه يحس بالحر بعد فترة ويكاد يتمرد ويحتج ! وتمر ساعات الصباح ملولا قاتلة مرهقة للروح والبدن ، وقبل الظهر ، أى حوالى الساعة الواحدة والنصف ، تغيب الشمس أحياناً وتدخل فى مظاهرة من السحب تحجبها عن الظهور. تحجب الحرارة قليلا ، وينسحب « الصهد » رويداً رويداً ، ويتحسن الجو وتعود إلى ابتسامتى .

وأظل محلقاً فى السماء .. أتابع احتجاب الشمس ، ولكن فرحتى لاتدوم ، وسعادتى لا تطول !

فبعد قليل «تلطشنى » لسعة هواء بارد. بارد وسخيف ، وأجد نفسى فى حيرة شديدة . ما الذى جرى ؟ كيف يحدث هذا التحول يا إلهى بهذه السرعة ؟! منذ نصف ساعة كنت داخل « فرن » ، والآن أنا داخل « ثلاجة » ! الهواء يزداد برودة . وأقفل بإحكام أزرار قميصى ، وألعن نفسى وأفقد أعصابى ، فالبرد شديد والناس فى الشارع تدثرت بالبلاطى .

لمعلوماتك

- تعتبر كندا أكبر دولة فى العالم تنتج ورق الصحف ، إذ كان إنتاجها عام ١٩٦٩ مقداره ٨,٩٢٨,٠٠٠ طن وهذا يمثل ٤٠ ٪ من الإنتاج العالمى .
- تعتبر كندا من الدول الكبرى فى إنتاج الأسماك وتبلغ حصيلتها السنوية من الأسماك ما مقداره ٢,٢٠٠ مليون رطل .
- إنتاج المواد المعدنية فى كندا يعتبر من الأعمدة الرئيسية فى الاقتصاد الكندى ، وبلغت قيمته ٥٩١٦ مليون دولار فى عام ١٩٧١ .
- بلغت قيمة البترول الخام الذى أنتجته كندا ١,٣٥١ مليون دولار عام ١٩٧١ بالمقارنة إلى ٤٢٣ مليون دولار عام ١٩٦٠ .
- تعتبر كندا السابعة من بين دول العالم فى إنتاج مادة الأسبستوس التى بلغ مقدارها ١,٦٤١,٠٠٠ طن عام ١٩٧١ وقيمتها ٢١٠ ملايين دولار .
- بلغت المصروفات الرأسمالية عام ١٩٧٢ ما مجموعه ٢٠,٧٦٠ مليون دولار .



المراعى فى كندا فسيحة هائلة ، بالتأكيد تشعر الحيوانات بهذا الاتساع والانبساط !

استمرت « موجة » البرد ٣ ساعات عدت بعدها إلى البيت الذى كنت أعيش فيه وهو فى مدينة « كتشنر » قلب كندا . وخلال الساعات الثلاث ، ضغطت على « زر » التدفئة الصناعية والتحفت بالدفء ! وقبل أن أستمرئ هذا الدفء كان الحر قد عاد مصحوباً بالمطر ! ظهرت الشمس، لكن السماء كانت تمطر بشدة . ومن النافذة أخذت أرقب الحياة . السيارات مسرعة لا تعبأ بالمطر ، الناس نشروا المظلات واختبأوا تحتها . الشبان والبنات راحوا يتبادلون القبلات تحت المطر . تختلط الشفاه بالرذاذ . تقتحم « الملوحة » ، طعم « الحلاوه » ! !

لكن الحياة ، لا تتوقف!

« البالوعات » تمتص الأمطار . . الشوارع تبدو كأنها مغسولة. لا تراب ، ولا وحل .

مرة أخرى يتغير الجو . . فالجو الخانق المصحوب بعاصفة قد عاد .. والرطوبة بسطت أجنحتها على البشر ، وتهدر أجهزة التكييف!

* غريب أمر الجو فى كندا !

حين أرسلت إلى صديقى رسالة أعترف له أنى عاندته بلامبرر وكان من الواجب على أن أستفيد من تجربته أرسل لى « كارت بوستال » وفيه عبارة واحدة . قال « هربت من كندا لأن الطقس رفضنى »!

هذه أول مرة أسمع أن الطقس يرفض البشر !

لقد عشت فى ظروف مناخية مختلفة ولم أر الجو يرفض الناس. فى اليابان كانت الأمطار تهطل أسبوعاً كاملا لا نرى فيه وجه الشمس !



حتى فى كندا ، مساكن شعبية ، تبنيها الدولة لبعض الطوائف .. هدفها الرئيسى تأمين حياة هؤلاء البشر !

فى « هونج كونج » ، كانت رياح « التيفون » المخيفة تهب ، فتحطم الطائرات وتأكل السيارات وتقلب المراكب . إنها دوامات سرعتها هائلة! فى الخليج العربى رأيت الناس يرقدون من أثر « ضربة الشمس » ! ولم يهرب أحد من اليابان ، ولم « يهاجر » الناس من «هونج كونج» ، بالعكس إن تعدادها تضاعف ٥ مرات عن معدله الطبيعى . والخليج العربى أرض بكر يجتذب الناس من كل مكان ومازال ! إذن كيف يرفض الطقس الإنسان ؟ !

أهو « سبب » يبرر به صديقى إخفاقه تحت سماء كندا ؟!

حين كنت « لعبة » مسلية فى يد الفرن والثلاجة . أى الساخن والبارد ، كنت أميل إلى تصديق العبارة . فليس كل إنسان يستطيع أن يتحمل ظروف هذا الطقس « المريب » ! إن أمطار اليابان واضحة . تسقط فى الشتاء. وإعصار أو « تيفون » هونج كونج ، أوانه معروف : الصيف . وضربات شمس الخليج من عطاء أغسطس . بيد أن صيف كندا يتنكر فى « زى الشتاء » . . . ويخدع الناس !

والكندى يعترف أن المناخ من أهم العوامل الطبيعية التى تقسو على كندا . فمعدل درجات الحرارة يصل فى الشتاء إلى مادون درجة التجمد وفى أجزاء يصل إلى ٢٥ تحت الصفر !

ويقول الكنديون العقلاء إنهم بصراحة لا يتوقعون أن يصل تعداد كندا يوماً إلى مائة مليون نسمة . قد يتضاعف مرة واثنتين وربما ثلاثاً ، خلال قرن من الزمان ، ولكن لا يصل أبداً إلى مائة مليون ! إن قسوة الجو تهزم طموح الناس وتصرع أحلامهم !



كندى من خليج هدسون ، فى يده سكين يقاوم بها ضراوة الثلوج !

وإذا كنت أحكى عن شهر يوليو وأغسطس وسبتمبر فى كندا ، فأنا أحكى فى الواقع عن الشهور « الرحيمة » حقًا فى هذه الأرض العملاقة المساحة !

فمنذ بداية نوفمبر وحتى نهاية يونية ، تغدو كندا فوق «أفدنة من الثلج » والتعبير « لفولتير » !

هذا هو موسم الثلج الذى أغرى رساماً أمريكيًّا اسمه « ديورانت كيت » أن يقول « كندا بدون ثلوجها ، لا تصبح كندا . إن الثلج فى كندا أحد ملامحها وليس أحد عوراتها كما يصفها الأجانب» ! هذا الفنان الأمريكى يؤجر بيتاً فوق ربوة عالية تغوص فى الثلج ، وحينئذ يغمس ريشته فى الألوان ، ويحبس الطبيعة الثائرة فى فرخ بل فروخ من الورق ! إنهم يسمونه فنان العواصف !

الذى يذهب إلى كندا فى الشهور الثلجية ، يذوق العذاب ثم يتعوده . يرفض الطقس ، لكنه « يطيعه » فى النهاية !

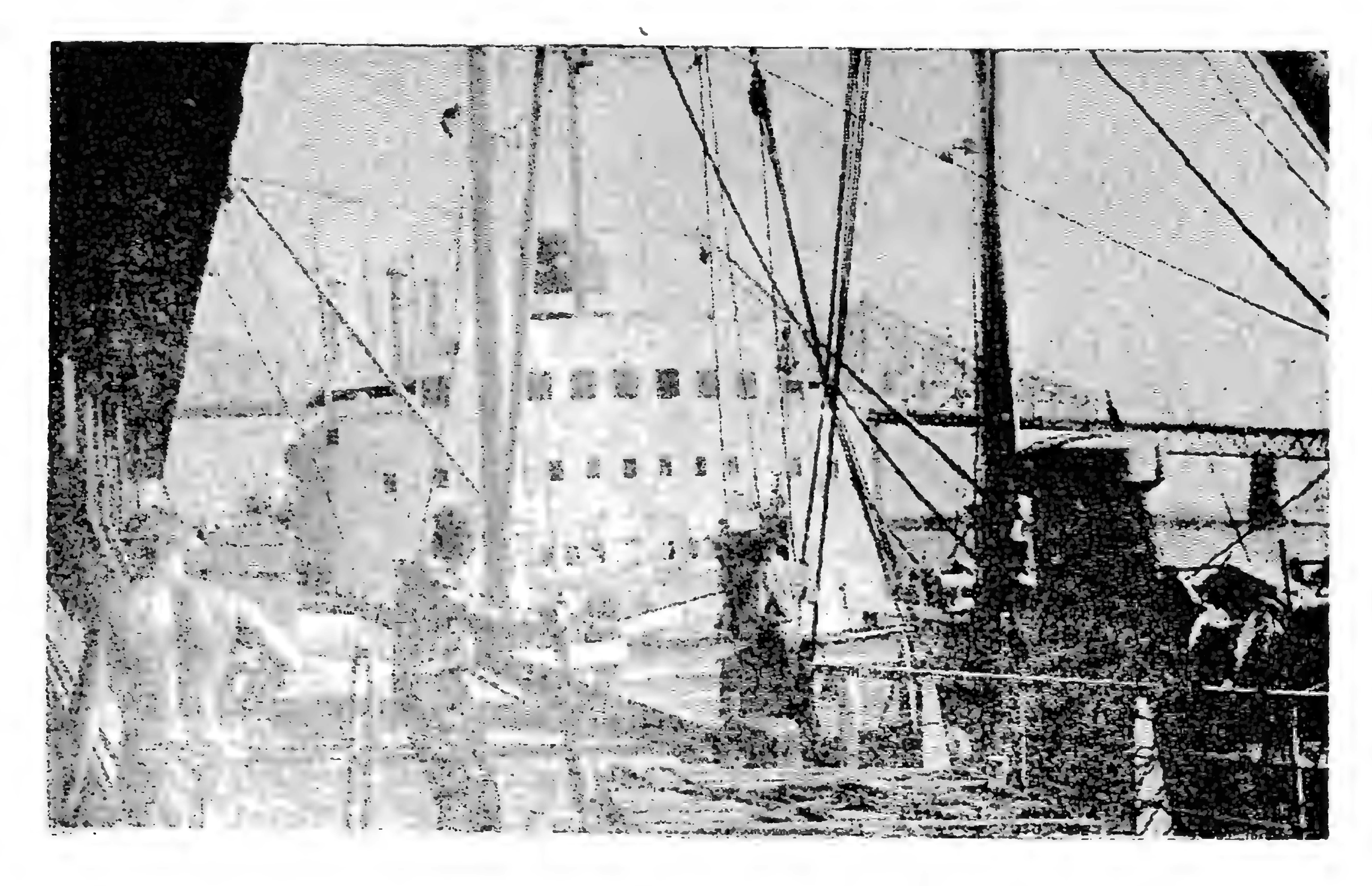
وعن الثلج وموسم الثلج ، سمعت حكايات « تتجمد » لها الأذن ! فالثلج يسقط ، ويملأ الشوارع والطرقات ، ويغطى الأسطح والهامات ، وترتدى البلاد عباءة بيضاء ناصعة ، ويختفى الناس داخل البيوت المدفأة ذات الزجاج المزدوج الذى يمنع البرد والصقيع ! فى شتاء العام الماضى كان ارتفاع الثلج فى الشوارع أربعة أمتار .. حين يأتى الثلج يهلل الأطفال وهم يرقبون مشهد سقوطه من خلف النوافذ ، وعندما تتاح لهم فرصة الإفلات من رقابة الأم والأب يجرون ويحملون كميات منه . . يتقاذفون

بها ! حين يأتى الثلج يفرح العشاق ، فهم مقبلون على موسم « دفء » ولكن على طريقتهم الخاصة ! حين يأتى الثلج يتعذب « المهاجرون الجدد » ويلعنون الحياة ألف لعنة ، ويتذكرون سماء أوطانهم . ويذكرون المثل الذى يقول « تحمدنى ياطيرى لما تجرب غيرى » !

حين يملأ الثلج الشوارع والطرقات ، ويتسكع فوق النوافذ يخرج الناس فى كندا للتحدى .. هناك من يستخدم آلة لشق طريق أمام باب البيت ، وهناك من يستخدم ماكينات « تشفط » الثلج . لكن هذه الماكينات ثمنها ٥٠٠ دولار ولا يشتريها إلا الأثرياء ! وتتحول كندا إلى معسكر عمل دولى . . يقاوم الثلج .

ويحكون لى أن كل مهاجر جديد إلى كندا ، يحمل ذكرى من موسم الثلج . فلا بد أنه « تزحلق » يوماً ، وكسر له ضلع أو ترقوة أو تمزقت عضلة مثلا ! وفى كندا قانون مقدس ، فإذا وقع شخص ما أمام بيتك لأنك لم تنزح الثلج — وهذا يستلزم جهداً بدنيًّا قاسياً — فلا بد أن تدفع خمسين دولاراً على الفور كغرامة ، وربما يعالج « المجنى عليه » على نفقتك !

وموسم الثلج هو موسم « صدأ » السيارات . فالكندى لا يستخدم السيارة إلا فى موسم واحد أو اثنين على الأكثر ثم يطلب « حارس مقبرة السيارات » ويسلمه إياها نظير ٢٠ دولاراً للسيارة « الشيفروليه » و ٥٠ دولاراً للسيارة « الكاديلاك » ! نعم إن الثلج يلتهم صاج السيارات وبعضهم يقذفون إلى الثلج ملحاً بكميات كبيرة « تصد نفس الثلج » !



قضيت ٦ ساعات فى ميناء مونتريال ، ولم أستطع أن أكمل .. إنه دنيا تعوم فوق الماء . البواخر ترسو فى كبرياء

إن موسم الشهور الثلجية هو موسم « الحوادث » .

إحصائية يضعها أمامى موظف السياحة فى « مونتريال » ، تقول : إن ٣٠ ٪ من السيارات تلاقى حتفها بسبب الثلج ! إنسان كندا يواجه هذا الطقس بأن يستخدم فى سيارته نوعاً من « الطارات » المزود بمسامير يؤجل قليلا المصير المخيف ، لكنه لا يمنعه فى أغلب الأحيان !

يقول لى شاهد عيان اعتاد السفر بين « مونتريال » وأتاوا العاصمة : إنه رأى سيارات تدور حول نفسها عشر مرات ثم تسقط فى البحيرة بعد أن ترتطم بأى شىء ! يقول لى إنه اعتاد أن « يركن سيارته ويضئ كل أنوارها التى تبدو على البعد كأنها مقهى على الطريق . . ثم يستخدم الفرامل استخداماً عنيفاً حتى لا تنزلق السيارة من فرط نعومة الجليد ! يقول لى إن الأمطار تدهم سائقى السيارات فى « الهاى واى » فيرتبكون بشدة ، ويحاولون السيطرة ، لكنهم يخفقون ، ولا يجرؤ أحد على القيام بهذه « المغامرة » إلا بعد التأكد من الجو . . ولهذا ينصت الناس فى السيارات لأجهزة الراديو إذا ما تحدث المذيع عن الطقس ! ولا مانع أن يبعث التفاؤل فيك بإذاعة أغنية فرنسية شهيرة تقول :

« يحيا الشتاء . . يحيا الشتاء . . من غير الشتاء . . لا توجد حياة . الثلج يأتينا ، والخير فى قدميه» .

إن الكنديين يرددون هذه الأغنية كلما جاء الشتاء . . وسقط الثلج .. ويقولون إنه إذا تأخر سقوط الثلج فى الكريسماس فهذا فأل قبيح !

إلى هذا الحد ، دخل « الثلج » فى أخلاق الناس فى كندا ، وأصبح الطقس يرفض البشر أحياناً ، ماداموا لا يقبلون التحدى . فالأرض العملاقة الشابة ، كانت أرضاً جليدية ثم تحداها الإنسان وأذاب الجليد — بالعلم — وزرعها بالإرادة وطوعها لنفسه بالإصرار وعاش تحت سمائها بالحب !

إن الثلج يصيب شوارع كندا بالتصدع ، وهذا يكلفهم ملايين الدولارات ثمن صيانتها بسرعة مذهلة تدعو إلى الإعجاب !

هناك ما هو أخطر من الثلج ، يدمر ويتلف ويخيف الكنديين . إنها العواصف الثلجية ! فالعواصف الثلجية تسبب الحرائق ، لأن البيت الكندى من الخشب ، وهذا يسهل التهام النار محتوياته ؛ والرعد العنيف يحرق الأشجار ، ولما كانت كندا غابات كثيفة ، فإن حريق الأشجار يؤدى إلى كوارث .

يقولون لى إن سرعة الرياح فى عاصفة ثلجية خلال شتاء ١٩٧١ كانت ٧٠ ميلا فى الساعة ! إن الأنهار تتجمد وعندما يذوب الثلج ، تحدث حوادث غرق مؤسفة . تبتلع الأنهار عدداً من الشبان الذين يلهون فوق سطحها المتجمد الناصع ، غير منتبهين لبعض الثقوب فى الجليد !

حين تحدث العاصفة الثلجية — والراوى شاهد عيان — يهجر الناس سياراتهم ويهربون ، ولا تمضى سوى دقائق حتى يبتلع الثلج السيارات ، وتهوى إلى قاع بحيرة « أونتاريو » مثلا ! وحكاية تجمد أطراف الناس كنت أظنها « نكتة » ، ولكن صديقاً أرانى أذنه التى تجمدت فى شتاء ١٩٦٩ ،

لمعلوماتك

- أصبح للكنيسة القبطية المصرية مركز رئيسى فى « تورنتو »، ويبلغ عدد أعضائها ١٠٠٠ عضو، ويشرف هذا المركز على نشاط الكنيسة القبطية المصرية فى كندا والولايات المتحدة .
- الفنون فى كندا تضم نشاطات من المسرح والمهرجانات القومية والباليه والموسيقى والفنون المرئية والتأليف والنشر .
- يشرف المجلس العلمى لكندا – برئاسة وزير الدولة للعلوم والتكنولوجيا – على الدراسات العلمية ويقدم توصياته فى السياسة العلمية للدولة .
- البحث العلمى فى كندا يحتل أهمية بالغة فى سبيل تطور البلاد فى المجالات التالية :

أبحاث تطوير الصناعة .
الأبحاث العلمية والتكنولوجيا لشمال كندا .
الأبحاث الزراعية .
أبحاث تنمية الغابات والمحافظة عليها .
الأبحاث السمكية .
أبحاث موارد الطاقة والمناجم .
الأبحاث الصحية العلمية .

واضطر إلى إجراء عملية فيها تعيد إليها حرارة الشرايين !

ويبقى سؤال : هل يحبس الثلج الناس فى البيوت ؟ هل « يعتقلهم » ؟ هل تتعطل المواصلات ؟

أبداً ، فالثلج يخلق حياة اجتماعية ساخنة خلف النوافذ المغلقة بإحكام . يستمدون الدفء من العلاقات الإنسانية « الموقوتة » بالشتاء .

الكندى يعلم أن مبرر بقائه الوحيد فوق هذه الأرض ، المثيرة الطقس . هو العمل . إنه مصدر دخله !

إن بعض المليونيرات الكنديين « يهجرون » كندا خلال شهور الثلج . يطيرون إلى أوربا ويعودون مع ظهور السنجاب فى الشوارع !

إن الإنسان الكندى البسيط استطاع بالعلم أن يواجه هذا العالم الأسطورى من الجليد . استطاع أن يحطم كبرياء الطبيعة الثائرة ، فالآلات «تشفط» الثلج من الشوارع ، « والبالوعات » تمتص الأمطار من الطرقات ، والتدفئة الصناعية جعلت من البيوت أفرانا عند اشتداد الثلج ، والغابات منعت التراب ، و بالتالى انعدم الوحل بعد المطر !

إن ٤٤٤ ألف بحيرة فى كندا تتجمد فى الشتاء وتفيض بعد الذوبان فى الصيف . لهذا فإن كندا — فضلا عن أنها سلة خبز العالم — هى خزان المياه العذبة .

الناس فى كندا يعملون . فوق أفدنة من الثلج يعملون ! يرفضون الشكوى . يعبرون العذاب ، يصالحون الطبيعة إذا زمجرت !



نقل الأخشاب أو تفريغها فى الأنهار ، بطريقة أوتوماتيكية . وللخشب فى كندا حكاية !

إنهم لا يتعللون بالبرد أو المطر ، بالحر أو بالعواصف الثلجية المميتة . والعلم جعل من كندا ، بلاداً مريحة برغم ما سبق ذكره ، وبرغم أن بعض الناس لا يحتمل هذا العذاب ويفر!

ولست أروى هذه التفاصيل عن الطقس لأقتل الطموح فى السفر إلى كندا ، ولكنى أقرر حقيقة هامة هى أن عماد النجاح للمهاجر إلى هذه الأرض هو احتمال الطقس !

لا بد من الصداقة مع الشتاء القارس والحر الخانق والعواصف الثلجية .

ولا بد للمهاجر من نسيان شمس بلاده الجميلة وسمائها الصافية ومطرها الحنون حتى لا ترهقه المقارنة !

لا بد !

لمعلوماتك

- أول إنسان أبيض وضع قدمه على التراب الكندى كان فى القرن الحادى عشر .
- تقف كندا رمزاً للاعتقاد بأن «النوع يخلق الوحدة» فإن الكنديين الإنجليز والفرنسيين والألمان والروس والصينيين والهنود والباكستانيين والعرب وغيرهم ما زالوا متمسكين بتقاليدهم داخل كندا ،لكنهم جميعاً يعملون يداً واحدة من أجل رفاهية وطنهم الجديد .

الفصل الرابع

الأحضان الدافئة أمام حضرة الناظر!

« ما دمنا قد اخترنا هذه الأرض بيتاً لنا

فلابد أن نخضع لتقاليد الحياة هنا!!

إنى قلق بشدة على مستقبل أولادى» . .

أول يوم دخل الفصل وضعوا أحذيتهم فى وجهه! كاد يصفعهم ويرتكب جريمة، ولكنه تمالك أعصابه . . وابتسم، ولكن لم تتزحزح الأحذية من مكانها!

فى اليوم الثانى دخل الفصل، وأشعلت تلميذة ملائكية الوجه سيجارة، وراحت تنفث دخانها بمتعة . غلى الدم فى رأسه . وكاد يرميها بأى شىء، وتوقف عن الدرس حتى تنتهى من التدخين!

وفى اليوم الثالث استدعوه ليقول رأيه فى جرعة كبيرة من الثقافة الجنسية على وشك أن يتلقاها ابنه الطفل . احتج ورفض وتوتر واستسلم .


هذه يوميات مدرس مصرى ناجح فى إحدى المدارس الكندية، التقطتها بصعوبة من خلال حوار معه :

« أتذكر أول مرة دخلت الفصل فى المدرسة الكندية . فوجئت بمشهد لم أتوقعه . كان التلاميذ قد وضعوا أقدامهم فوق التخت، فى وجهى

مباشرة . . غلى الدم فى رأسى . كدت أرتكب جريمة . كدت أصفعهم وليكن مايكون . . لكنى ترويت : ولا أدرى كيف ترويت ! كل الذى أذكره أننى كنت أرتعش من الغضب والتوتر . وأحسست أن كرامتى سقطت فى أول امتحان . وفى ثوان كنت أسترجع فى ذاكرتى الوجوه الطيبة ، وجوه تلاميذى فى الخرنفش ! مرت دقيقة كأنها دهر . الأحذية فى وجهى لا تريد أن تتزحزح . . ابتسمت فربما يتغير الموقف ، الأحذية فى وجهى لا تريد أن تتراجع . صرخت : اجلسوا فى أدب . وفجأة قام أحدهم وقال : « نحن لا نقصد إهانتك يامسيو ملطى . إننا نجلس كما نشاء . هذه الطريقة تريحنا . إنها مسألة راحة لا أكثر ولا أقل . لا علاقة لها بالأدب والأخلاق . ونحن أحرار فى الأسلوب الذى نجلس به . إن آذاننا صاغية لك فدعنا نجلس كما نشاء ! »

« كنت وأنا أستمع إلى هذه « المحاضرة » من التلميذ الكندى جورج بوشارد، أجتر صور تلاميذى فى مدرسة الخرنفش وأكاد أختنق . قدمت نفسى فى اقتضاب وبدأت أشرح الدرس الأول ، والأحذية فى وجهى ! أستطيع أن أملأ الصفحات لو سجلت انفعالاتى المرة خلال تلك الحصة ! وفيما بعد عرفت أن الكندى تلميذاً كان أو أباً أو عجوزاً، يعبر عن نفسه بطريقته . . والفرق فى المعايير التى تقاس بها الأخلاق والسلوك . والفرق فى المعيار الذى يقاس به « احترام » الصغير للكبير !

« وفى فصل ثان بالمدرسة نفسها التى تضم ٢٧٠٠ تلميذ وتلميذة ، أخرجت فتاة رقيقة حالمة، وجهها ملائكى ، أخرجت علبة سجائرها من



اشتهيت أن يكون لى بيت فى كندا ، عندما رأيت كيف يبنون البيوت . تماماً كما تطلب لنفسك « تفصيل » بدلة ! !

لمعلوماتك

- فى كندا أربعة أحزاب :

حزب الأحرار

حزب المحافظين التقدمى

الحزب الديمقراطى الجديد

حزب التجمع الائتمانى

- يتكون مجلس العموم من ٢٦٤ عضواً ومجلس الشيوخ من ١٠٢ عضو.
- أعضاء مجلس العموم ينتخبون بطريق الاقتراع الحر ، أما أعضاء مجلس الشيوخ فيعينون بواسطة الحاكم العام بناء على توصيات رئيس الوزراء ، ويعتزلون العضوية عند بلوغهم سن الخامسة والسبعين .
- إن الدستور الكندى يحدد الإطار الذى يتقاسم فيه المسئوليات كل من الحكومة الفيدرالية والحكومات المحلية .
- المسئوليات الكبرى للحكومة الاتحادية فى أوتاوه تنحصر فى السيطرة على الدفاع القومى والسياسية الخارجية والصناعة والتجارة والنقد والمصارف والقانون الجنائى .

حقيبة الكتب ، وأشعلت سيجارة ! ولم أصدق ما أرى أمام عيني . لكنه حقيقة . . والدخان يتصاعد ، وشارلوت تسألني سؤالا وتأخذ نفساً! ومضت ثوان ثقيلة . وكدت أن أرميها بأى شيء . لكنى ضبطت أعصابى. كل الذى فعلته احتجاجاً على هذه الصورة البذيئة أن توقفت عن الدرس حتى يبطل التدخين فى الفصل . ولكن يبدو أنى كنت أعاند نفسى ، يبدو أنى — كمدرس حديث ، مستجد على المدارس الكندية — كنت أحتج على حجم الحرية التى يتمتع بها تلاميذ « المدرسة العالية » فى باكنجهام ، وكل المدارس ! يبدو أنى أتصرف بطريقة من يناطح الحجر!»

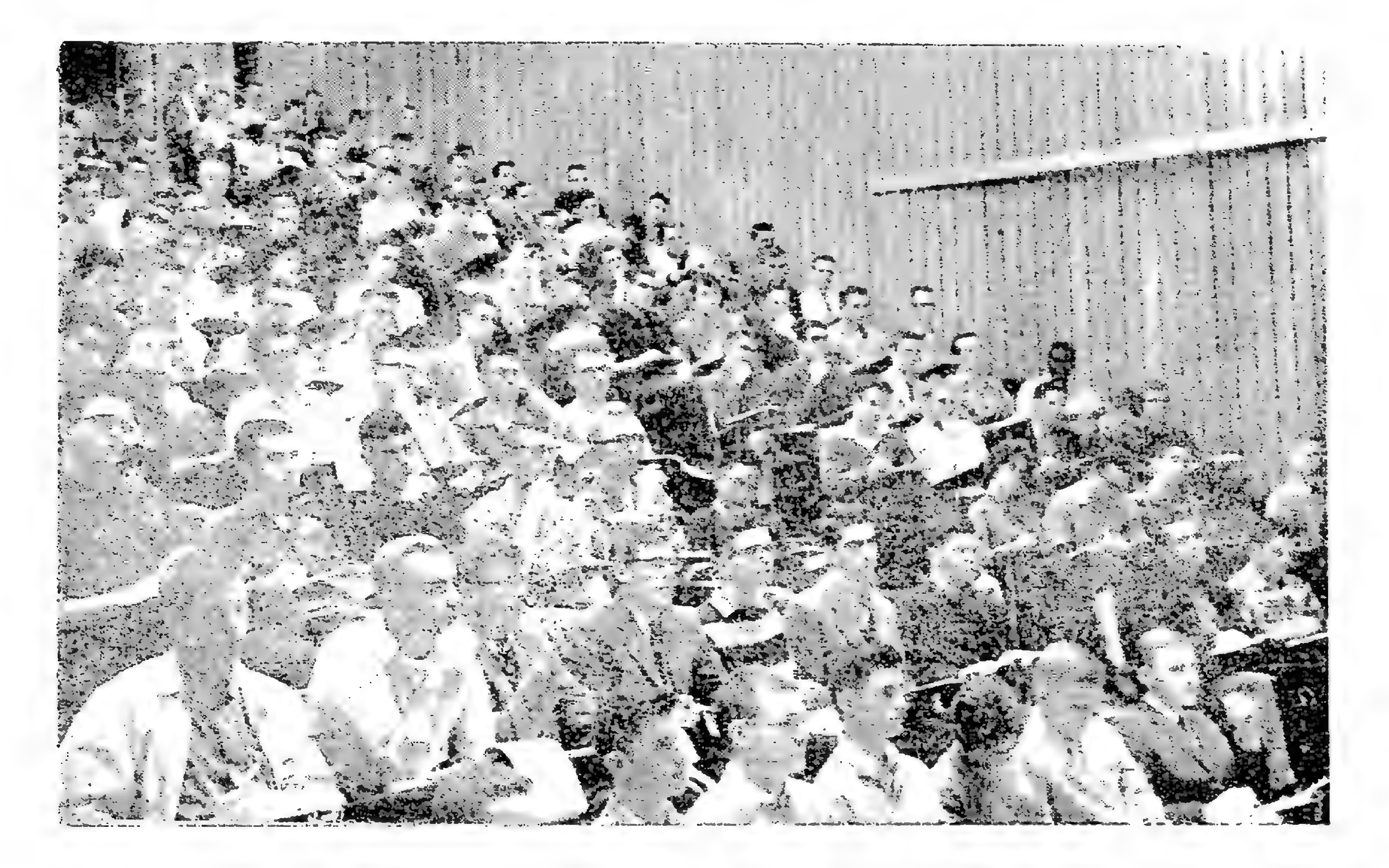
من يوميات مدرس مصرى فى مدرسة كندية

يجب أن تنسى المقاييس الخلقية التى تعودتها فى مصر . وفى الشرق عموماً .

١ — التدخين شائع فى المدرسة الكندية : ٩٠٪ من التلاميذ يدخنون ، و ٧٠٪ من التلميذات لا تفارق السيجارة شفاههن الوردية !

٢ — المخدرات شائعة بين التلميذات والتلاميذ : ٢٥٪ من البنات يتعاطين المرجوانا و ١٥٪ من التلميذات يحتفظن بأصناف أخرى فى جيوبهن .

٣ — الجنس منتشر. أكاد أعرف جيداً العلاقات التى تربط تلميذاً فى



عدد معقول ... من الطلبة والأساتذة . ولهذا هناك انتباه لكل كلمة تقال ، لكن أغلب أساتذة جامعات كندا أمريكيون !

فصل بزميلته ، إنها تبدأ بقصة حب هادئة . يجب أن تنسى ــ كما سبق أن قلت لك ــ المقاييس الخلقية السائدة التى تعودناها فى الشرق . العذرية فى القارة الأمريكية وهم ، بل منتهى القبح ! الفتاة العذراء غير مرغوبة . وحين تمل تلميذتى زميلها تفرز بعيونها زملاءها ، وتختار آخر . وتولد قصة حب ثانية ويتكرر الأمر . الجنس يمارس خارج فصول المدرسة ، ولكن لا مانع أن تكون المشهيات أمام عيوننا نحن المدرسين ، بل أمام حضرة الناظر . فمن الصور الطبيعية جداً أن يتعانق اثنان عناقاً حاراً أو دافئاً أمام الناظر . إنه هو الآخر يبارك هذه الحرية .

ولقد قضيت شهوراً طويلة فى صراع قاس مميت أمارس فيه نوعاً من اليوجا العنيفة ، هو كيف أتأقلم على هذه « البلايا والمصائب » .

لقد كانت هذه المشاهد اللاخلقية ــ فى تصورى ــ أشبه بالصدمات الكهربائية . (ولو أن هناك فى كندا مقاطعات محافظة ربما تكون محافظتها أكثر من بلاد الشرق . الأولاد لا يدخنون . المخدرات لا يذكر اسمها . . العذرية قائمة ومرغوبة . والبكارة قمة الخلق) .

وأعترف أن تلك المشاهد اللاخلقية التى تسود الأغلبية العظمى من شباب كندا قد اصطدمت بمعتقدات ثابتة فى رأسى . ولكن هل أحيا بمعتقداتى تحت سماء كندا ؟ وكيف ، بدون أن تسيل دماء كرامتى؟ تلك كانت المعادلة الصعبة !

لمعلوماتك

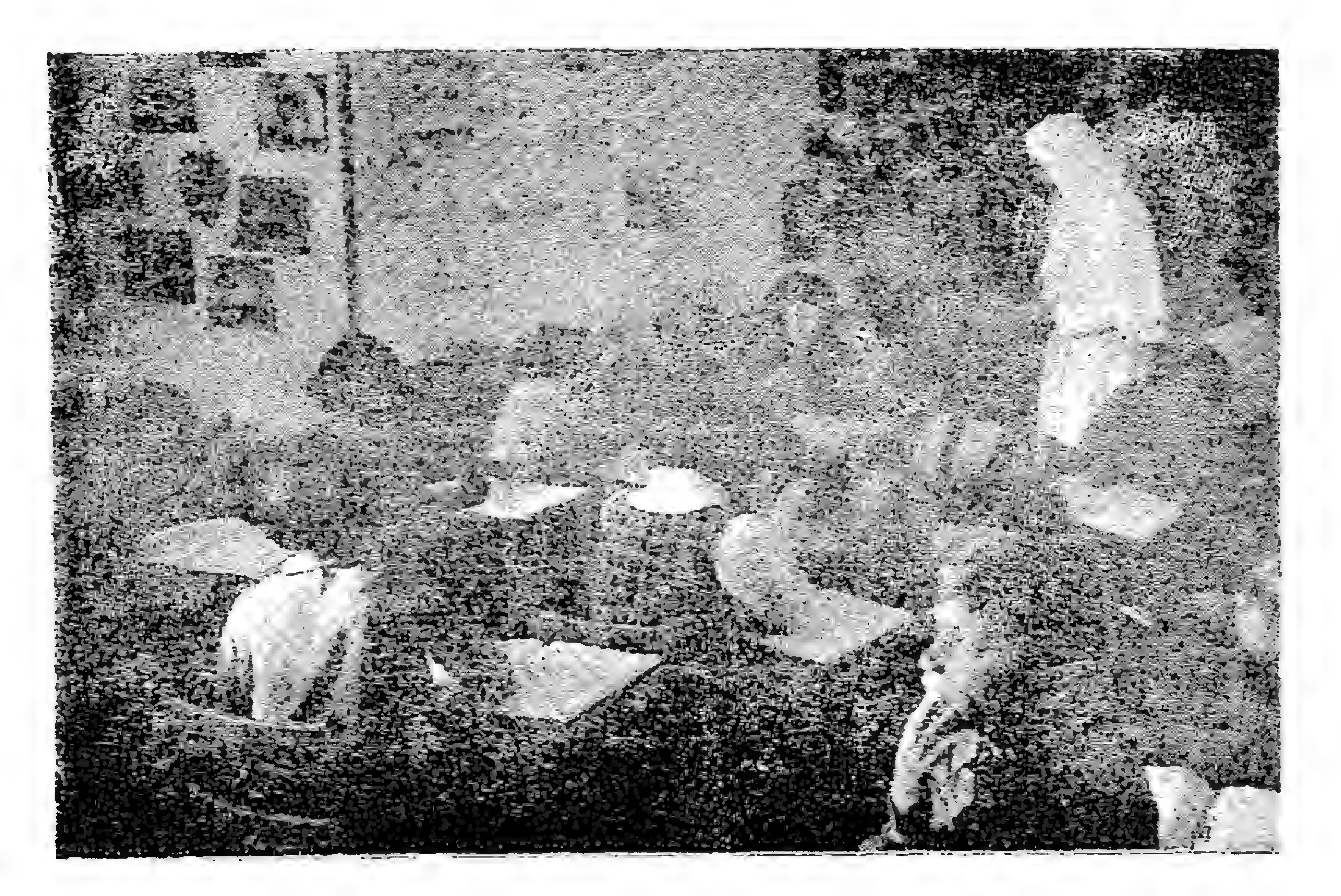
- أعلنت وزارة العمل والهجرة الكندية أن «الغرض الأول وراء سياسات وبرامج الهجرة هو تشجيع وتسهيل الهجرة إلى كندا على من لديه مهارات ومواهب مطلوبة بشدة وبشكل عام وخاص فى كندا» .
- السياسة القومية الكندية للهجرة تقوم على الأسس التالية :

(ا) لأسباب اقتصادية وسياسية وأخلاقية ، فإن على كندا قبول عدد كبير من المهاجرين .

(ب) يجب أن تهدف سياسةالهجرة إلى وفود ما يساوى ١ ٪ من عدد السكان سنويا .

(ح) إن سياسة الهجرة يعاد النظر فيها باستمرار لإحداث تعديلات ضرورية تتمشى مع تغير الظروف .

(د) سوف تمنح وزارة الجنسية والهجرة الصلاحيات اللازمة لقبول مهاجرين صالحين ومطلوبين قادرين على تطويع أنفسهم على الحياة الكندية ويعود وجودهم فى كندا بمنفعة اقتصادية عليها ، من الواضح أن الجنسية الكندية الجنسين الإنجليزى والفرنسى المؤسسين لكندا واللغتين والثقافتين والتاريخين كان لها الأثر فى السياسة العامة للهجرة .



الطفل الكندى ليس ذكياً ، ولكنه يملك إمكانيات حضارية فى التعليم !

من ملاحظات مدرس مصري فى مدرسة كندية

لست راضيا عن طريقة التعليم فى المدارس الكندية .

لا بد أن ينتقل التلميذ إلى « السنة التالية » ، فلا مكان له إلا فى « المستوى » الذى يحدده عمره ! كأن النجاح بالعمر . فكلما تقدم التلميذ فى السن — وهو لا مناص سيتقدم — نقل إلى السنة التالية ونجح ! هذا الأسلوب السقيم فى التعليم قتل الطموح والاجتهاد والمعاناة !

* فالتلميذ الكندى ليس فى مستوى ذكاء الطفل المصرى . إن التلميذ الكندى يعتمد على الآلات . فى الحساب مثلا . يعتمد على الافتراضات . مثلا إذا قلنا لتلميذ كم تساوى ٧ × ٨ فإنه يقول تساوى ٦٠ أو ٨٠ أو ٧٥ ، وهذه الإجابة ليست خطأ . بل إنها تحتاج إلى مراجعة ! وبالآلة الحاسبة نكتشف أنها ٥٦ . إذن فالافتراض أساس للوصول إلى الإجابة الصحيحة .

* التلميذ الكندى يعوض مستوى ذكائه المنخفض بتحصيل المعلومات العامة .

* التلميذ الكندى لا يعرف دأب التلميذ المصرى ولا طموحه ولا حبه للتحصيل ولا سهره الليالى ولا خوفه ولا قلقه .

* التلميذ الكندى يعرف مقدماً أنه سينجح . الترتيب لا يهمه . .



(٣) أنفاق تحت الأرض ، برغم أنه لايوجد أى كثافة سكانية ، لكن الحضارة لاتعرف المشاكل المرتقبة

لا يقيم له وزناً . . المنافسة ليست فى حسابه . . إنه سينتقل من الابتدائى إلى الثانوى فالجامعة بكل يسر وسهولة .

إن كل شيء يقدم له بدون مجهود . . الدرس والمعلم ، والنجاح !

• التلميذ الكندى تشغله « حرياته » عن التحصيل . ولا عقاب مطلقاً بسبب التخلف الدراسى . العقاب فقط فى حالة إحداث متاعب فى الفصل .

• عدد تلاميذ الفصل فى المدرسة الكندية لايزيد على ٣٠ تلميذاً : ١٨ تلميذة + ١٢ تلميذاً ، ولا يقل الفصل عن ١٥ تلميذاً . .

* من تقييم مدرس مصرى للتلميذ الكندى

هؤلاء هم تلاميذى وأصدقائى ، لا تقم وزناً للشعر الطويل . ربما لا تستطيع أن تميز بين الصبى والصبية . أنا لا أقيس أحداً فى كندا بشعره المتهدل على جبينه ! رأيت علماء صواريخ شعورهم تفوق شعر البنات ! ورأيت أخيب التلاميذ بشعر قصير متزمت !

هذا « كلود شاربون » إنه يربط شعره كالهنود الحمر . مدخن عظيم ، ترك بيت أبيه الثرى لكى يعمل ويعتمد على نفسه . . يقيم فى شقة إحدى زميلاته . . يعاشرها . . ولكنه لا ينوى الزواج منها ! لا تعجبه الجامعة . . يفضل عملا يدوياً . . وزوجته أوربية من الدول الإسكندنافية !

وهذا « جاك دو » إنه يسخر من كل شيء . ملم بمعلومات فى السياسة . يقول لى إن كندا مجموعة جاليات ذات مصالح اختارت أرضنا . . الإيقاع بالدولار فى حبائلها !

وهذه « دانيال تتكلى » هادئة . حساسة . إنجليزية الميلاد . رفضت أن تمارس الجنس مع زميلها « هوم رايك » فجاء وشهر بها أمام زميلاتها ! قالت دانيال يومها : « أنا حرة . هذا جسدى . هذه قلعتى . لا أتنازل عن أسوارها ! » وضج التلاميذ بالضحك . فبكت دانيال وخرجت من الفصل وهى تردد : أوغاد . وحوش !

وهذه « جانيت لا فرانس » . قوية الشخصية . . تنظم الإضرابات الهادئة . . تقابل الناظر « أرتو بوشار » إذا حدث شيء يتعلق بالبنات ، تعد نفسها ممثلة صوتهن الحر ! قالت ذات مرة للناظر : « لا تحاول أن تصبح أباً قاسياً . . لقد هجرنا بيوتنا وتركنا الحياة الأسرية لأننا لم نعد نحتمل القسوة فى المعاملة » !

وهذه « جين هايدن » . إنها تشبه النجمة الأمريكية سوزان هيوارد . إن جين تدخن المارجوانا . إن شقيقها يدسها لها فى حقيبتها كل صباح ويهمس فى أذنها : الحياة تعاش مرة واحدة وبعدها تصبحين رماداً . لا تصدقى كل ما يقوله الإنجيل ! « منذ ذلك اليوم . لا تفارق المارجوانا حقيبتى . إذا غابت عنى . بحثت عنها ! »

وهذا « ديك روسمان » إنه يهتم بالمعلومات العامة ، وكل أمله أن يعمل فى محطة « جاز ستيشن » . . يريد أن يكسب قليلا . . ويلهو

كثيراً . يقول لى : « شبح الحرب يدفعنا — نحن الوقود القادم — للمتعة بأى طريق » !

* أصدقاء مدرس مصرى فى مدرسة كندية

المدرسون يذهبون إلى المدرسة قبل بداية العام الدراسى بأسبوع ليضعوا برنامجاً للعمل . . ليتعرفوا على زملائهم ويعيشوا فى « باكنجهام » وربما فى « أتاوا » العاصمة (تبعد ٢٠ ميلا فقط) . ويجتمع فى مسرح المدرسة ١٤٠ مدرساً والمدرسات والمساعدون . لاسعاة فى المدرسة، معاون المدرسة يعاونه بواب ونجار للصيانة وكهربائى .. العام الدراسى ٢٠٠ يوم للمدرس، و ١٨٠ يوماً للتلاميذ . خلال العشرين يوماً تجتمع أسرة التدريس لتقويم العام الدراسى .

يهدف التقويم إلى إعادة النظر فى طريقة التدريس إذا احتاج الأمر ذلك ، فى وسائل الإيضاح . فى أسلوب شرح المنهج . فى مدى استجابة التلاميذ مع الكتب ! وهذه فضيلة تحسب للمدرسة الكندية . بل أكثر من هذا ، فإن إدخال أية مادة جديدة أو دراسة من نوع خاص لا تفرض فرضاً . إن الناظر يوجه الدعوة إلى الآباء والأمهات للمشاركة فى الرأى ، ويصبح «مجلس الآباء» ندوة علمية مثمرة وليس « فناجين قهوة » . . ولا بد أيضاً من ذكر تحفظ هام هنا . فمعظم الآباء يرفضون الحضور لأن أولادهم منذ سن السادسة عشرة هجروا البيت واستقلوا بأنفسهم واعتمدوا على دخلهم . . أما الآباء الذين

يلبون الدعوة . فما زالوا حريصين على فلذات أكبادهم . ذات مرة ذهبت إلى المدرسة التى يتعلم فيها ابنى « عماد » . كانت الناظرة تنوى تدريس « علم الجنس » للأولاد . وتتولى الراهبات هذه المهمة ليكون لها جلالها، وذهبت . بل لقد كنت الرجل الوحيد بين الأمهات . وأتوا لنا بفيلم سينمائى عليه شرح مبسط لكل ما يتعلق بالجنس . ووزعوا علينا أسطوانات يديرها الأولاد فى البيت ليستذكروا . وأعترف أنى رفضت فى البداية كل ما يتعلق بهذا العلم . فقد كنت ضد تدريس الثقافة الجنسية فى هذا العمر المبكر (١١ سنة) . وكنت أنادى بتدريس علم الجنس من الطفولة أو فى حالة الإدراك . أما مرحلة المراهقة فمرفوضة ، خصوصاً أنى رأيت بعينى الحريات الهائلة ، من حرية التدخين إلى حرية الجنس . فعندما واجهت الناظرة برأيى ، قالت :

« نحن نعترف أن الجنس يمارس ولكننا نريد أن نجعله أكثر احتراماً » !

* من مذكرات مدرس مصرى فى مدرسة كندية

تعودت طريقة الحياة الكندية فى البيت والشارع والمدرسة . تأقلمت عليها ، ولكن على مضض . هناك مثل يقول : « إذا كنت فى روما . فافعل كما يفعل الإيطاليون » . هأنذا أحاول أن أفعل ما يفعله الكنديون ! إننى قلق بشدة على مستقبل أولادى . . إننا أنا وزوجتى ، وهى تعمل مدرسة لغة فرنسية ، نشعر بهذا القلق ، إن « الحرية » تشدهم . .

والإغراءات تجتذبهم . صحيح للبيت دور مهم ، ولكن ما أبنيه فى البيت قد تهدمه المدرسة . . إنه لشيء مؤسف أن أعترف أن المدرسة « تهدر » القيم التى تعارفنا عليها بمقاييسنا الشرقية ، إن على المهاجر — وأمامه تجربتى ماثلة — أن يعرف أن ألف باء النجاح فوق هذه الأرض . ليس فقط التأقلم على الطقس المتقلب ولكن أيضاً « التأقلم » على القيم والأخلاق على الطريقة الأمريكية فى الواقع . . فأنا لا أستطيع أن أقول إن فى كندا نظام تعليم « كندياً » لأنه فى الحقيقة « أمريكى »، ففى صفحات كتب التاريخ يتعلم الأولاد أمجاد أمريكا . . وانتصاراتها من أجل الحرية ! وفى كتب الجغرافيا يلم الأولاد بتاريخ الساحل الأمريكي جيداً . والجغرافيا والتاريخ مواد اختيارية . وبالنسبة للبنات الاختزال والآلة الكاتبة مواد اختيارية . . والدين إجبارى فى بعض المدارس ، والعلوم واللغات مواد أساسية . ومهما زرعت فى قلب أولادى الخوف من الخطيئة فالتيار أكبر من الولد ومنى . إنه جارف .

ولقد قلت لزوجتى : مادمنا قد اخترنا هذه الأرض . بيتاً لنا : فلابد أن نخضع لتقاليد الحياة هنا . لا بد أن ننسى بالتدريج . تقاليد مدرسة الخرنفش . . وصرامة ناظرها . . ودماثة تلاميذها . حتى شغبهم المقبول! فالتعليم فى كندا له وظائف محددة : تنمية الشخصية ، التعلم حسب القدرات الشخصية ، التعلم حسب القدرات العقلية . تهيئة التلميذ للحياة العملية بحريات فوق التصور !

من يوميات رمزى ملطى مدرس اللغة الإنجليزية فى المدرسة العالية

بمدينة باكنجهام القريبة من « أوتاوا » عاصمة كندا .. وكان قد دعانى لزيارة المدرسة ، وشهد فناؤها الجميل حواراً طويلا بينى و بينه ، وأردت أن أقدم « تجربته » العملية فى مدرسة كندية مدة ٤ سنوات ، لنفرح بالتلميذ المصرى برغم حرمانه حتى من فصل هادئ لا يزيد عدد تلاميذه على أربعين تلميذاً ! !

لمعلوماتك

- بدأت برامج تنظيم الأسرة منذ عام ١٩٦٨ ،وفى فبراير ١٩٧٢ عقد أول مؤتمر قومى لتنظيم الأسرة ،ومن أهدافه:

  (ا) تبادل المعلومات عن طبيعة ومدى الخدمات والتدريب والبحوث اللازمة لتنظيم الأسرة .

  (ب) مراجعة فاعلية البرامج الحالية .

  (حـ) دراسة الوسائل التى يمكن تطويرها حتى يمكن الوصول إلى معالجة متسقة تشد حاجة الكنديين لخدمات تنظيم الأسرة .

- هناك ٨٧ مركزاً لتنظيم الأسرة فى كندا .

الفصل الخامس

بشر .. صناعة أمريكية !

« إن أمريكا تحاول صنع العقول الكندية بمعتقداتها السياسية ، ولكن كندا تريد أن تسمع وجهة نظر العالم وتقيم حواراً معه بلا وصاية أمريكية ! »

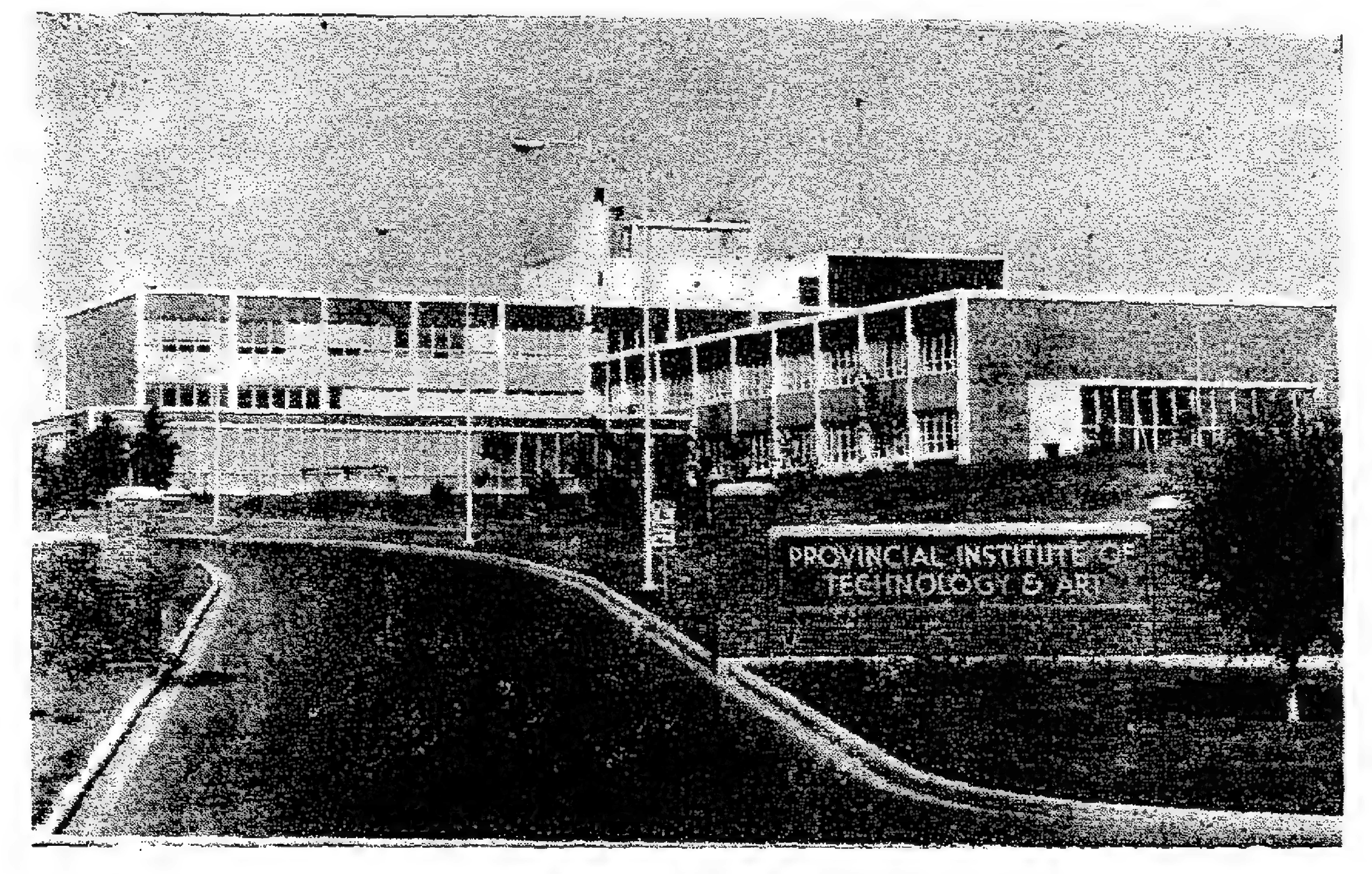
١

كلمة .. مجرد كلمة نطقتها .. أفسدت متعتى وأنا أتأمل ساعة الغروب عند شلالات نياجرا من الجانب الكندى ، حيث كانت الشمس تسقط فى خدرها ، وتلثم المياه الهادرة المتدفقة من علو .. قبل أن تنام فى مهدها . فالمشهد ذو أنوار خرافية ، لا تستطيع ألوان الرسام تسجيل فتنتها ، وتعجز عدسات الكاميرا عن الوصول إلى كنه روعتها . ذلك ما أحسسته .

وكنت ساعتها هائماً مع ذلك الشلال الملون من المياه حين نطقت بكلمة . عدها رفيق الصحبة إهانة قاسية توجب الاعتذار مائة مرة حتى أموت كبطل إحدى قصص تشيكوف القصيرة ! فالذى قلته — من وجهة نظره — مجاف للذوق . قلت إن شهرة شلالات نياجرا أنها أمريكية !

لمعلوماتك

- تعتبر كندا ثانى دولة – بعد الولايات المتحدة – فى تصدير الورق، ويبلغ قيمة ما تصدره أكثر من بليونى دولار سنويا .
- بالجامعات الكندية أقسام خاصة لتدريس علم الغابات يتخرج فيها متخصصون على مستوى عال لحماية الغابات فى كندا وتطويرها .
- يعتبر صيد الأسماك الصناعة الخامسة فى كندا ، وتساهم هذه الصناعة بما قيمته ٣٣٠ مليون دولار من الدخل القومى .
- تحتل صناعة التعدين فى كندا المرتبة الأولى فى الصناعات الأولية، وأهم المعادن هى : النحاس والحديد والذهب والبترول والأسبستوس والنيكل والفضة والزنك والجبس والبوتاس والألمونيوم .
- إن كندا هى الدولة الثانية فى العالم بالنسبة لاستهلاك الكهرباء لكل فرد ، والقوى المائيه تولد ٧٨ ٪ من الكهرباء التى تحتاج إليها كندا .



الجامعة فى كندا ، بناء لامع مصقول وواجهات زجاجية ، ولكنها محاضرات ومكتبة وأستاذ ،
والجامعات فى كندا تحتل واجهات المدن !

والتفت إلى رفيق الصحبة، وقال : « هذه شلالات كندية وتقع في أرض كندا . والأمريكيون يقضون عطلة الأحد هنا في مدينة « نياجرا فولز » الكندية . . وليس بالضرورة أن يكون كل عظيم ورائع « أمريكيا » .

واعتذرت برقة وقلت ضاحكاً : « كندا في نهاية الأمر هي سقف أمريكا » ! . . واستشاط محدثي غضباً وهو كندى الأصل، ومولود في مقاطعة نوفاسكوتيا . وقال :

« لماذا تلغى الشخصية الكندية . . إنك تكثف أحزاننا نحن الكنديين . فمشكلتنا هي البحث عن « الهوية الكندية » ، إن بطاقتنا العائلية – إن صح التشبيه – كندية الاسم ، ولكنها أمريكية في نظر الغرباء مثلك ، إن عزلتنا جعلت العالم يظن أننا إحدى الولايات المتحدة جارتنا في الحدود . . ولكنى لا أظن أنها تريد ابتلاعنا في جوفها على طريقة التماسيح » .

وقلت لرفيق الصحبة – محاولا إعادة هدوئه إليه – ماذا يغضب كندا من أمريكا ؟ فأشعل سيجارة بللها رذاذ الشلالات الهادرة المتطاير .

وقال : كأنك تسألني لماذا قتل قابيل أخاه هابيل .

وضاعت إجابة سؤالى في مشهد الظلام وهو يحتضن الشلالات ، وألوان الطيف تشد الأبصار وتجذب الانتباه . . ولكنه همس في أذنى قائلا : « إنها شلالات كندية » . .

نطق كلمة « كندية » كأنه يؤدبنى بطريقته !

ولكن السؤال الذى لم يبارح ذهنى طول إقامتى على الأرض

الكندية ، حتى وأنا داخل الولايات المتحدة الأمريكية ، وإن تبلور أكثر : ما حجم العلاقة بين الشقيقتين أمريكا وكندا ؟ !

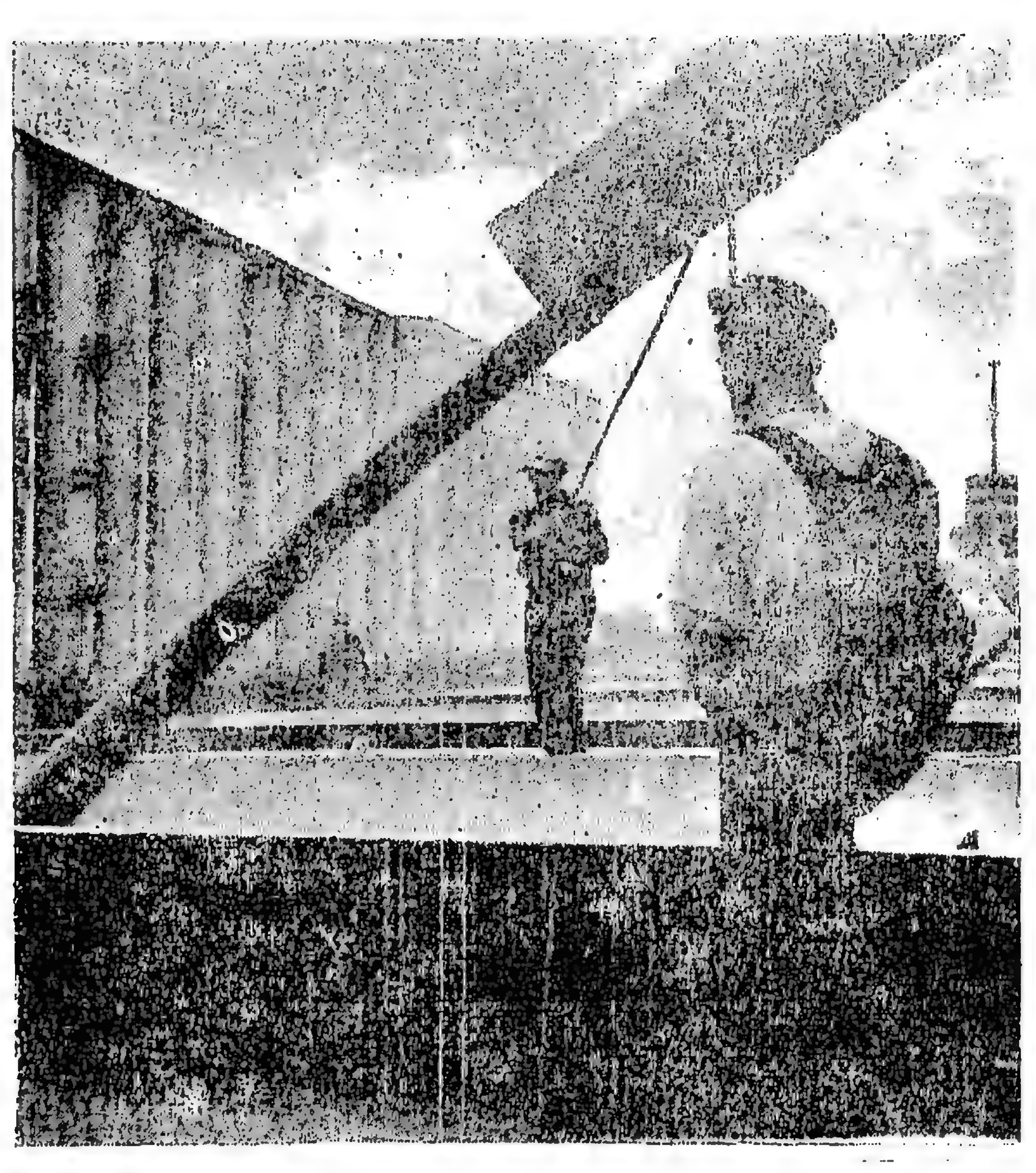
٢

الذى يلفت النظر أن الكندى يشبه الأمريكي إلى حد كبير . بل لا فارق بين كندى وأمريكى ! الاثنان يتكلمان بلغة واحدة ولهجة واحدة . . ويدخنان ربما سيجارة واحدة ، ويشاهدان أفلاماً واحدة . . ويركبان سيارة واحدة . . ويرقصان على أنغام واحدة ويستعملان نقوداً متشابهة ، ويلعبان رياضة واحدة ! ويشاهدان على شاشة التليفزيون أحياناً كثيرة قناة واحدة !

والكندى يقضى أيام الآحاد فى مدينة « بافالو » الأمريكية . والأمريكى ، لا تعجبه إلا مدينة « تورنتو » الكندية . . والاثنان يضحكان لنكتة واحدة ، ويتحمسان لفكرة واحدة .

والكندى يدخل أمريكا بلا جواز سفر ، والأمريكى يدخل كندا بلا جواز سفر . . ومن الممكن أن يقال إن الكندى يعيش حياة أمريكية أو — بعبارة مهذبة — يعيش على الطريقة الأمريكية !

وربما كان جو كندا أكثر برودة من أمريكا .. ولكن الطقس عموماً متشابه.. عندما ذهبت إلى أمريكا — ماراًّ بالحدود الكندية الأمريكية — ضحكت لأنى اكتشفت أن الحدود وهمية . . مجرد لافتة معلقة فى أعلى



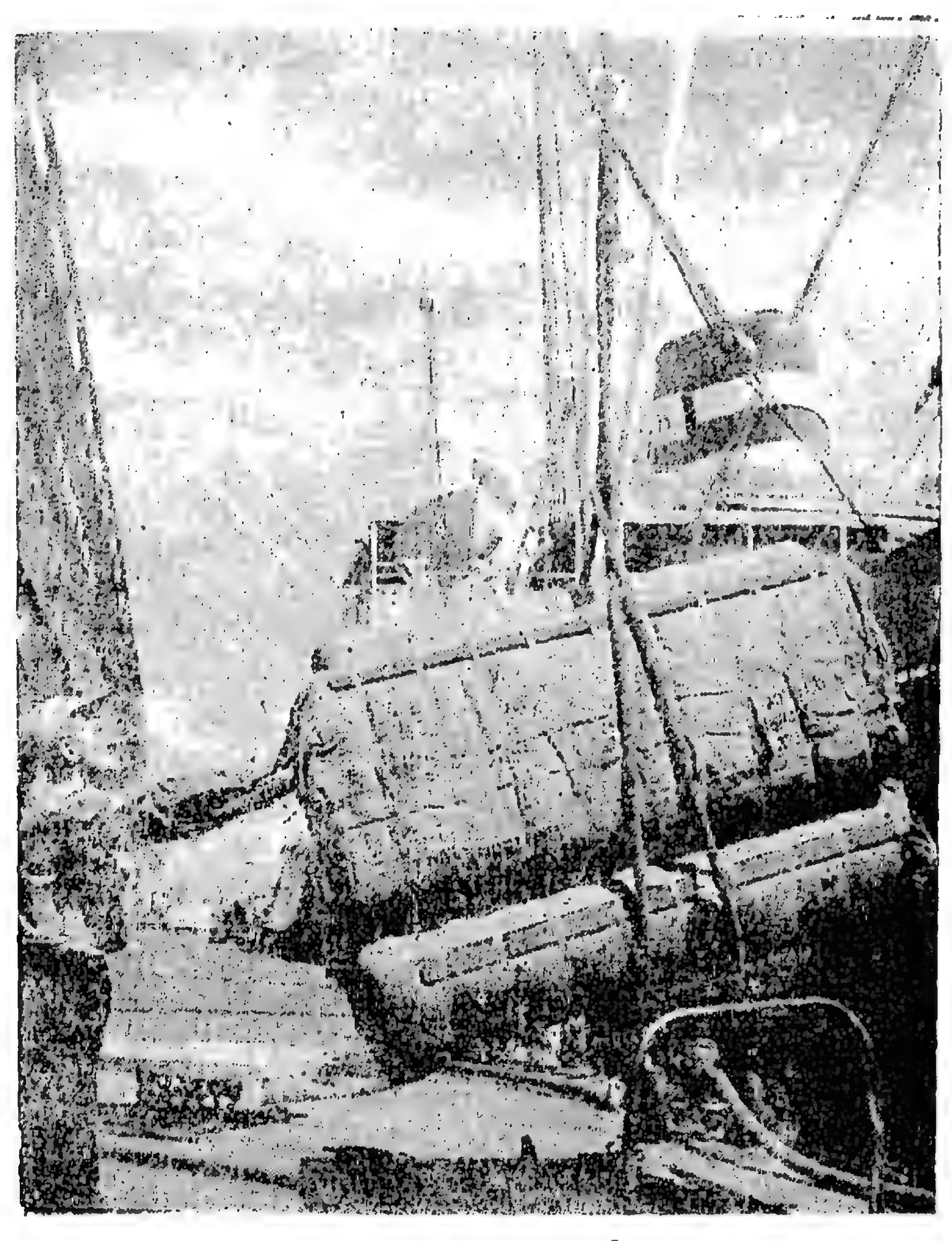
صوامع القمح ، فى سلة خبز العالم ، قمح قادم من مانيتوبا !

كوبرى تقول وهى تشير بسهم : إلى الولايات المتحدة الأمريكية ! وعبرناه . . فوجدنا تشابهاً فى أسماء الشوارع ، واتساع الطرق وإشارات المرور العلوية . . وهذا التشابه مذهل يصل إلى حد الاتفاق فى التسالى بالفشار الساخن والسجق ذى الرائحة المتصاعدة ! هناك ملاحظة واحدة ، هى أن جميع لافتات أمريكا باللغة الإنجليزية ، ولافتات كندا باللغتين الإنجليزية والفرنسية . . فيما عدا مقاطعة « كويبك » الفرنسية التى لا تعترف إلا باللسان الفرنسي وحده ! وملاحظة أخرى : أن الدولار الكندى يزيد « ٣ سنتات » على الأمريكى ، وقد كان الأمريكى يسبقه . ولكن الدولار الكندى فاز فى السباق ، وهذه الملحوظة يرددها الكندى المتعصب بفخر شديد !

هذا التشابه الفريد، يراه الغريب مثلى — لأول وهلة — مؤشراً لسلام يسود حياة الشقيقتين كندا وأمريكا . ولكن المتوغل فى دراسة العلاقة بين هاتين الشقيقتين ، يصل إلى حقيقة غريبة ، هى أن الكنديين يكرهون الأمريكيين ويحقدون عليهم ، ويتمنون الخلاص من سيطرتهم ، ونفوذهم واستثماراتهم ! والأمريكيون يعرفون هذه الحقيقة . ولكنهم يتغابون عنها . والكنديون يضغطون كل يوم على « بيير ترودو » رئيس الوزراء ويطلبون منه أن « تكف الأصابع الأمريكية عن خنق العنق الكندى » ولكن « ترودو » يحاول أن يرضى الشعب الكندى الغاضب فلا يستطيع ، مثلا عندما التقى « نيكسون » الرئيس الأمريكى بمستر « بيير ترودو » رئيس الوزراء الكندى ، كان ترودو مستعدا للكلام مع « نيكسون »

لمعلوماتك

- تعداد كندا فى أول يناير ١٩٧٠ كان ٢١,٢٦٠,٠٠٠ نسمة
- أكثر من $\frac{٢}{٥}$ السكان من أصل بريطانى وحوالى ٣٠ ٪ من أصل فرنسى .
- معظم سكان كندا من الفرنسيين يقطنون مقاطعة كويبك ولهم حياتهم الثقافية المتميزة .
- أكثر من ٣,٦ ملايين من الكنديين البريطانيين ينحدرون من أصل أسكوتلندى وإيرلندى .
- يشكل الكنديون المنحدرون من أصل ألمانى الجنس ، القسم الثالث فى حجم سكان كندا ، ويليهم الأكرانيون والإيطاليون والاسكندنافيون والهولنديون والبولنديون .
- يشكل سكان كندا الأصليون – وهم الهنود والإسكيمو – ١,٢ من مجموع السكان .
- من المعتقد أن اسم كندا قد اشتق من الكلمة الهندية كاناتا ومعناها بالهندى موطن .



من كندا ، لموانى العالم الأخرى !

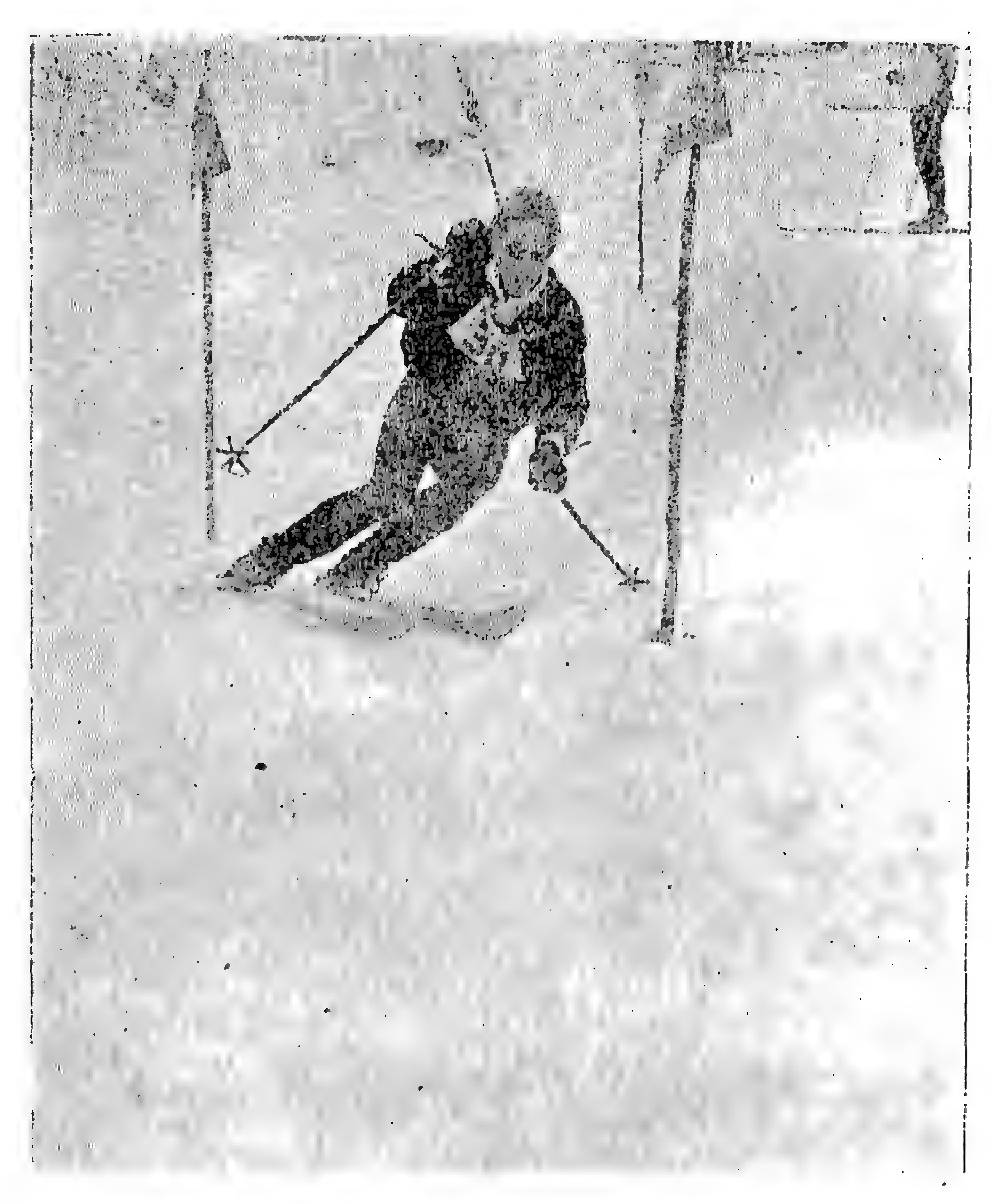
فى موضوعات محددة . . التجارة الأمريكية فى كندا . . أصحاب رءوس الأموال الأمريكية فى كندا . . العقود الأمريكية فى كندا . . حركة التصدير بين كندا وأمريكا . . ولكن « نيكسون » لم يناقش مع « ترودو » غير موضوع واحد يهم أمريكا فى المقام الأول وهو إمكانية عبور أنابيب البترول الأمريكية عبر الأراضى الكندية ! ! وقالت الصحف الكندية المتطرفة فى عدائها للولايات المتحدة يومئذ : إن « نيكسون » فرض ما أراد من الحديث . . وأصبح « أصم » لبقية الكلام . . وفى التليفزيون الكندى ظهر المعلق السياسى المشهور « مستر بيير برتون » وقال : « هذه خيبة أمل » ! ويقول لى دكتور « كابورى » وهو أستاذ هندى فى جامعة « واترلو » « بأونتاريو » : إن « ترودو » نفسه يعرف أن حجم الاستثمارات الأمريكية فى كندا هائل ، لدرجة أن وقف هذه الاستثمارات سوف يشل الحياة كلها . ويستطرد الأستاذ الهندى قائلا : « لا تنس أن « ترودو » أستاذ اقتصاد ، ويعرف ما مدى تغلغل رءوس الأموال الأمريكية فى الاقتصاد الكندى ، بل إنهم فى أمريكا — ولا بد أنك أحسست هذا — يطلقون كلمة أمريكى على مواطنى الولايات المتحدة ويعدون « الكندى » من صميم المنتجات الأمريكية ! !

وضحك « مستر كابورى » وقال : « تصور أن ٨٠ ٪ من أساتذة الجامعات الكندية أمريكيون » ! ويسألنى الطلبة الكنديون لماذا ندرس على يد أساتذة العلوم السياسية ، مزايا الديمقراطية الأمريكية ؟ فلا أجد إجابة شافية ، سوى الصمت !

- ٣ -

إن فى كندا ــ اليوم ــ شعوراً عدائياً نحو أمريكا . فى « تورنتو » و « مونتريال » حركات قومية تهدف إلى تعميق الإحساس بضرورة التخلص من السيطرة الأمريكية . . هذه الحركات طلابية ، ولكنها ضعيفة وليست منظمة ، وتسميها الحكومة الأمريكية « تشنجات الشباب الكندى » ! ! والشعور العدائى الكندى لأمريكا ، ليس « شيطانياً » . . إنه شعور له تاريخ . . فقد ظلت الولايات المتحدة سنوات عديدة لا تستجيب لاقتراحات كندا بعقد اتفاقية للتبادل التجارى بينهما ، واكتشفت الولايات المتحدة فجأة أن الفكرة مفيدة : فهى مدخل طبيعى للسيطرة على الثروات الكندية . . وتبنى الفكرة الرئيس الأمريكى « تافت » . وكان من الممكن أن يتم إبرام المعاهدة لولا التعليق الذى جاء على لسان رئيس الكونجرس حين قال : « إننى أوافق على المعاهدة لأنى أحلم أن أرى اليوم الذى يرفرف فيه العلم الأمريكى على كل متر مربع من ممتلكات بريطانيا فى أمريكا الشمالية » . . وكان رد الفعل فى كندا رهيباً . . انفجرت الروح الوطنية . وأطاح الكنديون « بلورييه » رئيس الحكومة وقتئذ ! وتوالت الحقائق .

١ ــ إن الكندى البسيط الواعى يدرك الآن أن أمريكا « تستغفله » ! فالدخل الكندى يذهب إلى أصحاب رءوس الأموال الأمريكية . .



فوق الثلوج يمارسون التزحلق والسباق !

كيف ؟ إن كندا استطاعت أن تجتذب رجال الأعمال الأمريكيين بما لديها من خامات كثيرة ووقود وافر وقوى محركة رخيصة . . وقامت المنشآت الصناعية الأمريكية واتسعت على مر الأيام . . وكانت النتيجة أن أصبح ما يقرب من نصف الصناعة الكندية مملوكاً لرءوس الأموال الأمريكية !

٢ ـ إن أغلب النقابات الكندية تدار من أمريكا . نقابة عمال السيارات فى « ديترويت » . نقابة عمال الحديد فى « مانهاتن » . نقابة عمال المناجم فى « بفلو »

هذه النقابات تذهب إليها كل الأموال الكندية !

٣ ـ البضائع الاستهلاكية الكندية ثمنها فى أمريكا أرخص . الأيدى العاملة تأخذ أكثر ! مصانع السيارات الكندية فى أمريكا ! وليس فى كندا سوى مصانع « تجميع » فقط . وسعر السيارة « الكندية » أعلى من شقيقتها الأمريكية برغم أنها من الخامات نفسها والموديل وكل شىء !

٤ ـ ٤٥ ٪ من إنتاج العالم من الدخان كندى ولكنه يذهب إلى أمريكا لتصنيعه ويعود بسعر أغلى من سعر بيعه فى أمريكا ! ! !

٥ ـ بعض الوظائف الكندية يحرم منها الكنديون ، ويستولى عليها الأمريكيون برغم البطالة فى كندا . . على سبيل المثال ، عندما خلا منصب مدير الشرطة فى « كالجورى » بكندا أتوا برجل شرطة أمريكى

لمعلوماتك

- بدأت الهجرة إلى كندا تأخذ شكلا جماعياً فى أعقاب الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ .
- لا يمكن ترك باب الهجرة لكندا مفتوحاً على مصراعيه فى عالم أصبح تسوده المهارات التكنولوجية والعلمية بدون أن يحكم هذه الهجرة نظام الاختيار تحدده الحكومة الكندية لتضمن وصول العناصر الفنية التى تساعد على استغلال الثروات الطبيعية فى كندا !
- يحترم قانون الهجرة الكندى الصادر فى أول أكتوبر ١٩٦٧ الصلات العائلية و يضمن جمع شمل العائلات.
- المؤهلات العلمية أصبح لها اليد العليا فى نظام الاختيار الذى يطبق على راغبى الهجرة .
- بلغ عدد المصريين الذين هاجروا إلى كندا فى الفترة من ١٩٥٥ إلى ١٩٦٧ : ١٠٫٦٢١ مهاجراً وقد ارتفع هذا الرقم إلى ١٤٫٨٧٨ حتى عام ١٩٧٠ .
- يستحوذ إقليم تورنتو على النصيب الأكبر فى عدد المهاجرين إلى كندا وفى المرتبة الثانية يأتى إقليم كويبك .



العلاقة بين الأستاذ وتلاميذه طيبة للغاية ، إنهم أصدقاء ..

كان قد قدم طلباً للعمل فى كندا ، فوافقوا على تعيينه بمرتب ٢٥ ألف دولار فى السنة !

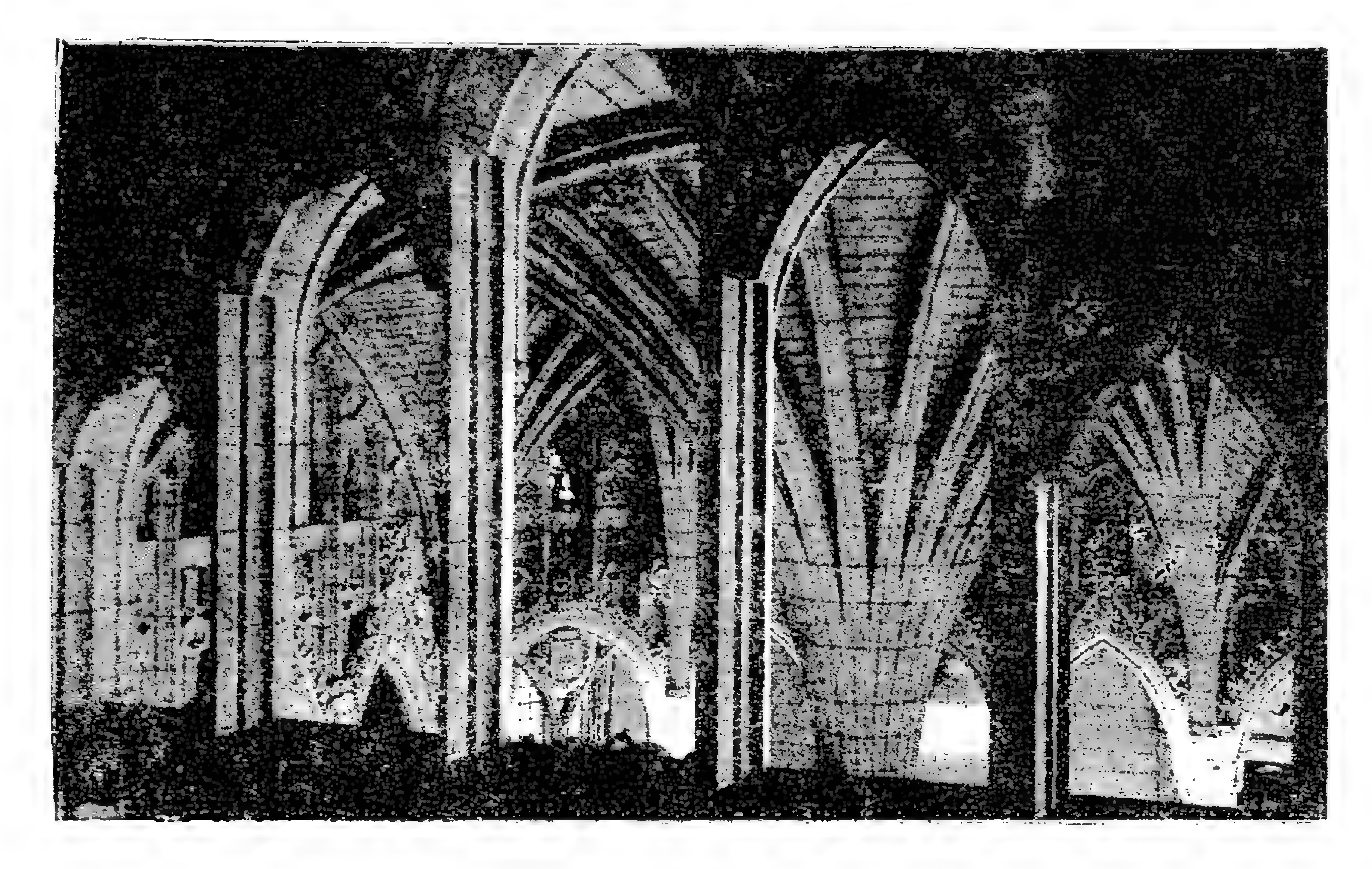
٤

إن التأمل الموضوعى لعلاقة الشقيقتين والجارتين المتجاورتين : كندا وأمريكا ، يكشف عن حقائق ذات دلالة ، استطعت أن أفهمها من كثرة الحوار مع الكنديين حول هذه المسألة .

● إنهم يعرفون أن « الرخاء » الكندى مبعثه تدفق رءوس الأموال الأمريكية . ولكنهم أفاقوا فجأة على أن هذا الرخاء ، قد يتقلص إذا أرادت أمريكا هذا ! روى لى الناشر الكندى « ديك هيمارت » أن الرأى العام الكندى جن جنونه عندما لعبت حكومة « واشنطن » لعبتها وضغطت على كندا لكى تتوقف عن إنتاج طائراتها الجديدة « افرو ارو » التى يعتقد الكنديون أنها لا تقل عن أية طائرة أمريكية . . وكان نتيجة ذلك أن خسرت كندا الكثير .

● إنهم يتساءلون — فى كندا — لماذا لا نعتمد على مواردنا الذاتية ؟ إن هذا السؤال سمعته مائة مرة كلما التقيت بعقول كندية مستنيرة .

● إنهم — فى كندا — يعرفون أن معامل البحوث العلمية تستغلها رءوس الأموال الأمريكية وهذا — يقيناً — لا يتيح للعلماء الكنديين فرصة العمل بها .



مبنى البرلمان فى « أتاوا » آية فى العمارة .. ظللت أتأمل نقوشه ، حتى ارتاب فى الحارس !

● إنهم — فى كندا — يدركون أن استفادتهم من صناعة التعدين الأمريكية طفيفة ، لأن المعادن عادة تنقل فى حالة أولية إلى أمريكا ، ليتم صنعها بأيد عاملة أمريكية !

● إنهم — فى كندا — يتألمون ، ولا يملكون سوى الألم !

٥

حين كان « موشى ديان » وزير الدفاع الإسرائيلى يزور مونتريال فى كندا كانت هناك حراسة « كندية » شديدة تحوطه لإنجاح مهمته ، وهى جمع التبرعات لإسرائيل . . قال لى بعض الطلبة الكنديين : نحن لا نستبعد تماماً أن يكون بين رجال البوليس الكندى شرطة سرية أمريكية « تساهم » فى الحراسة !

إن أمريكا تحاول « صبغ » العقول الكندية بمعتقداتها السياسية ، ولكن كندا قد أفلتت من العزلة التى فرضتها فترة طويلة على نفسها ، تريد أن تسمع وجهة نظر العالم وتقيم حواراً معه بلا وصاية أمريكية !

فهل تسمح لها أمريكا بهذه « الجرأة » ؟ !

هذا هو السؤال الذى يجيب عنه — فى الواقع — الشباب الكندى الغاضب .

الفصل السادس

لا تنزعجوا

« إنه مجتمع يشبه معسكر عمل صارم .
له لوائحه. من يتبعها ينجو ومن يصطدم
بها ، يواجه متاعب جمة ! » .

أولا :

الصورة ، بكل وضوح ، ليست وردية !

وأبادر وأعترف أنى لست متشائماً كما يبدو من السطر الأول ، ولكنى لا أريد أن أشترك فى عملية « تضليل » للشباب الذين يفكرون فى الهجرة إلى كندا أو استراليا أو أمريكا . فلقد ظهرت فى الفترة الأخيرة بعض الكتب التى تزين للشباب فكرة الهجرة، و « تعدهم » بثروات هائلة تتراوح بين المائة ألف دولار ، والمليون دولار ! وقد وجدت هذه الكتب صدى فى نفوس الشباب ، وحفزتهم إلى الهجرة بدون أساس، وكانت النتيجة : الإخفاق التام ! وكم تمنيت إنشاء مكتب يلتقى بالمهاجرين قبل أن يبدءوا إجراءات الهجرة ويبالغوا فى أحلامهم . فهذا الالتقاء « الحنون » يقوم بمثابة الأب الناصح ، فإما أن يبارك أحلام المهاجر أو يثنيه عن عزمه بعد إقناعه ! ذلك أن الهجرة ليست نزوة ، وليست مغامرة . . خصوصاً



متجر كندى كبير ، ليلة رأس السنة .. والبحث عن هدايا ، والطبيعة تصالحهم فى تلك الليلة فقط !

إذا كانت إلى بلاد بعيدة مثل كندا أو أستراليا !

وأنا مقتنع تماماً أن المهاجر الناجح أحسن ألف مرة من المواطن المحلى الخامل . لأن كل مهاجر مصرى هو سفير لبلاده .

والمهاجر السيئ يصبغ صورة كل المهاجرين بالسوء .

والنجاح تحت سماء كندا بالذات ليس حلماً سهل التحقيق . والإخفاق تحت سماء كندا ليس أمراً بعيد الحدوث . فالنجاح أو الإخفاق مسألة تخص المهاجر نفسه ، ولكنها تلون حياة أسرته بالبهجة أو المرارة .

ومئات المهاجرين الذين أخفقوا يحجبون عن أسرهم صور إخفاقهم لاعتبارين : الاعتبار الأول هو عدم إزعاج الأسرة التى ضحت بالكثير ، والاعتبار الثانى هو تحاشى شماتة الآخرين فيه لإخفاقه . . ومن هنا ، أجد نفسى مضطراً أن أخاطب الأسرة المصرية التى تفكر فى الهجرة ، كلها أو أحد أفرادها . إن نقل الصورة بأمانة مهما كانت مرة ، أشرف من تزييفها والوعد بمليون دولار .

ثانياً :

إن نجاح أسرة مهاجرة لا ينبغى أن يكون « قاعدة » لكل أسرة مصرية هاجرت . وإخفاق شاب مهاجر ليس أيضاً قاعدة تدين كل الشباب المهاجر بالإخفاق .

لقد عشت شهرين فى كندا . واختلطت بالمهاجرين . . . المصريين

والعرب . لم ألتق بهم كصحفى ، ولكن كصديق . وهذه التفرقة هامة « ضرورية » لأن المهاجرين اعتادوا عند لقاء أى صحفى مصرى أن يبالغوا فى حلاوة و « طراوة » الصورة . واعتادوا — وفى ذهنهم اعتبار أن هذه التصريحات ستنشر مع صورهم فى صحف ومجلات مصر — أن يضيفوا من عند أنفسهم قصصاً خيالية بعيدة عن الواقع ، تصورهم كأصحاب الملايين ، يملكون بيوتاً ويخوتاً على ضفاف البحيرات !

ولم تكن علاقتى بالمهاجرين فى كندا على هذا النحو الكاذب . كانت علاقة أصدقاء يجمعهم الحنين لمصر حتى تحت سماء كندا : ومن هنا كان الحوار خالياً من المبالغات . كان واقعياً وصادقاً .

قال لى أحدهم فى « أتاوا » العاصمة الكندية : « لو أنى استمعت إلى نصيحة أخى ، لكنت اليوم أسعد حالا . إن الحياة هنا مريحة بالنسبة للسائح أو للزائر مثلك ، ولكنك لو توغلت فيها لاكتشفت أنها قاسية ومريرة » . .

قال لى آخر ، وكنا نتناول الغداء فى مطعم يونانى « بمونتريال » « لو أنى أكملت دراستى فى مصر : لكنت اليوم أهدأ بالا . كنت قصير النظر . فرحت بفكرة السفر ، ربما لأن المصرى لم يتعود الترحال ، سافرت وتعذبت . واسترحت ، ولكن العذاب يقف على باب بيتى ، أقصد باب الحجرة التى أعيش فيها منذ ٤ سنوات . فى كل لحظة أتصور نفسى مطروداً من العمل ، إنه شبح مخيف : فما بالك برب أسرة عنده أولاد ؟ » .



صناعة الأحذية الكندية .. وجدتهم يحاولون إثبات وجودهم فى كل صناعة ..

قال لى ثالث : « جئت إلى كندا وأنا أتصور أنى « سأغرف » من الدولارات ما أشاء . منذ اليوم الأول أدركت أنى خدعت . خدعتنى أقوال أقارب لى سبقونى فى تجربة الهجرة . بما أن أصابع اليد الواحدة ليست متشابهة ، فإن المهاجرين لا يتساوون فى القدرات » .

هذه الاعترافات التى سمعتها وعشت فى تفاصيلها . . أكدت لى ثلاث حقائق :

١ ــ أن بعض المهاجرين سافروا وراء فكرة السفر والمغامرة .

٢ ــ أن بعض المهاجرين قلدوا أصدقاء أو أقارب سبقوهم فى الهجرة .

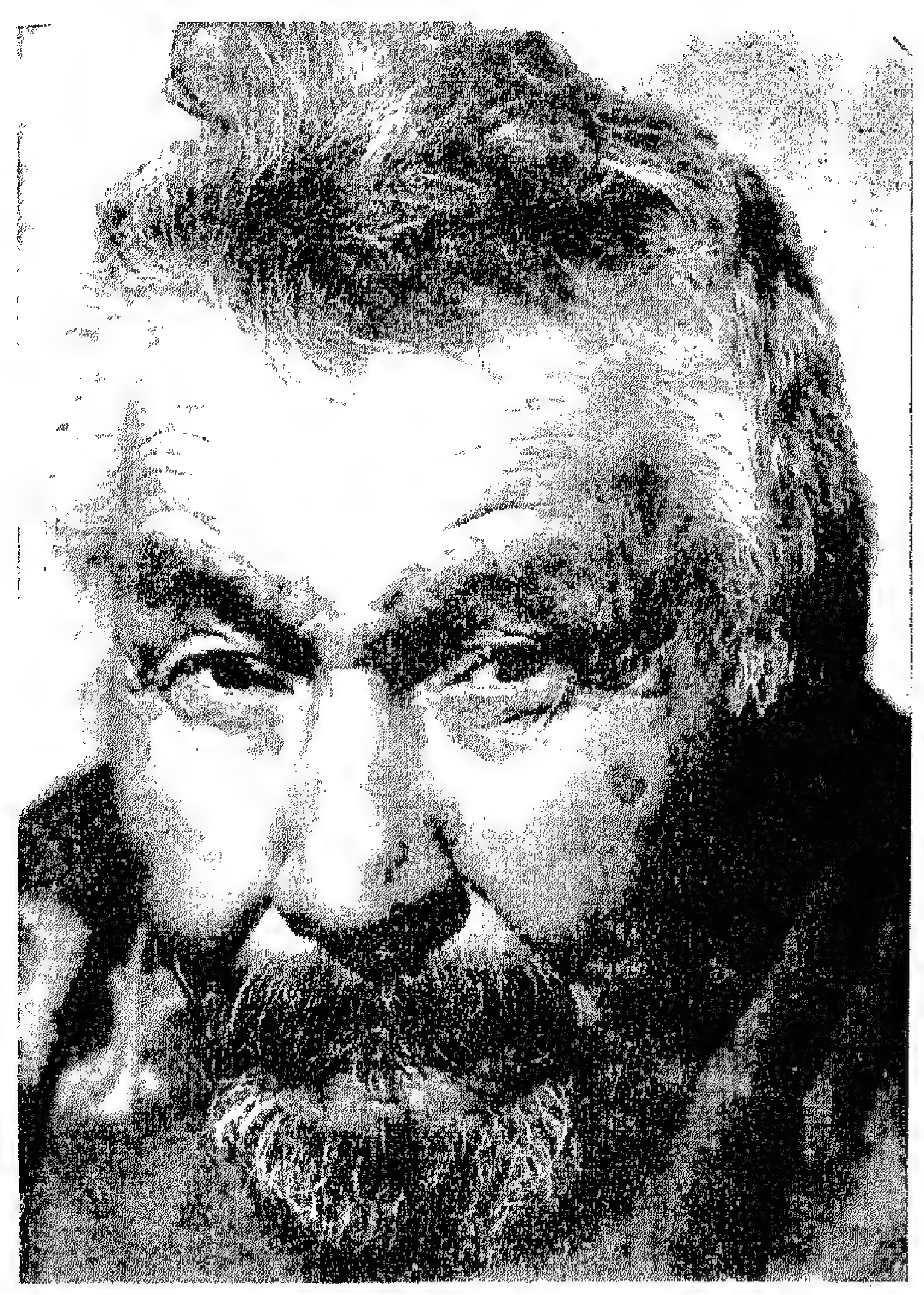
٣ ــ أن بعض المهاجرين ، نتيجة حالات نفسية عاشوها فى مصر ، هاجروا ، وهؤلاء يتعذبون مهما أخفوا عذابهم . هؤلاء مهاجرون فاشلون مهما كسبوا !

ثالثاً :

الهجرة ليست مجرد قرار يصدره إنسان ، وبعدها يبدأ فى القيام بإجراءات الهجرة والسفر . الهجرة استعداد . الهجرة تكوين نفسى . الهجرة ملكات شخصية .

ولندخل فى الموضوع مباشرة .

إن رأسمال أى مهاجر قادم إلى كندا هو اللغة . قد تتفاوت القدرات والكفايات ، ولكن إجادة لغة أجنبية ، الإنجليزية أو الفرنسية ، تصبح



إنه رجل معمر ، وفى كندا إذا قابلت معمراً ابتسم لك . . لأنه يمثل « أصالة » كندا برغم أنها بلاد حديثة جداً !

بمثابة « جسر » للنجاح ، أو على أقل تقدير وسيلة تفاهم مريحة مع مجتمع جديد يرطن بلغة لم يتدرب عليها من قبل . والمهاجر الذى يتغاضى عن أهمية اللغة يحكم على نفسه فى الواقع بالإخفاق . وحتى إذا استطاع الحصول على وظيفة فإن الأكفأ منه يهدده دائماً !

يروى لى « ن . ع » مهاجر حديث (٣ سنوات) : « لم أكن أجيد اللغة . كنت أعرف منها بضع كلمات . استطعت أن أسافر بعد توصيات ، كان الشهر الأول بالنسبة لى أقسى عذاب عشته . فإن التفاهم بينى وبين المجتمع الكندى كان مقطوعاً كلية . كان يساء فهمى ، وكنت أتحدث بالإشارة وألوك بعض الكلمات . وحين ذهبت إلى مدرسة لأتعلم اللغة الإنجليزية على نفقة الحكومة الكندية ، كنت أهرب وأزوغ من المدرسة لكراهيتى الشخصية للدروس والواجبات .

وهأنذا منذ ثلاث سنوات أتعثر بشدة ، ولا أمكث فى أى عمل أكثر من شهرين . هناك دائماً من هو أكفأ منى ويجيد اللغة » .

ويحكى لى « صابر . . . » مهاجر منذ ٥ سنوات ويعيش فى « ترونتو » : « تعلمت اللهجة الأمريكية فى الحديث مع الكنديين من مجرد الالتقاط . . أستطيع أن أقلد اللهجات بسرعة . كنت ممثلا فى المدرسة الثانوية بمصر ، ولكنى لا أستطيع أن أكتب رسالة بالإنجليزية ولا أستطيع أن أملأ استمارة مطلوبة منى . ألجأ فى الغالب إلى فتاة كندية تزور أحد أصدقائى من حين لحين » .

ويقول لى « أ . س » مهاجر منذ عام ويعيش فى « أونتاريو » :

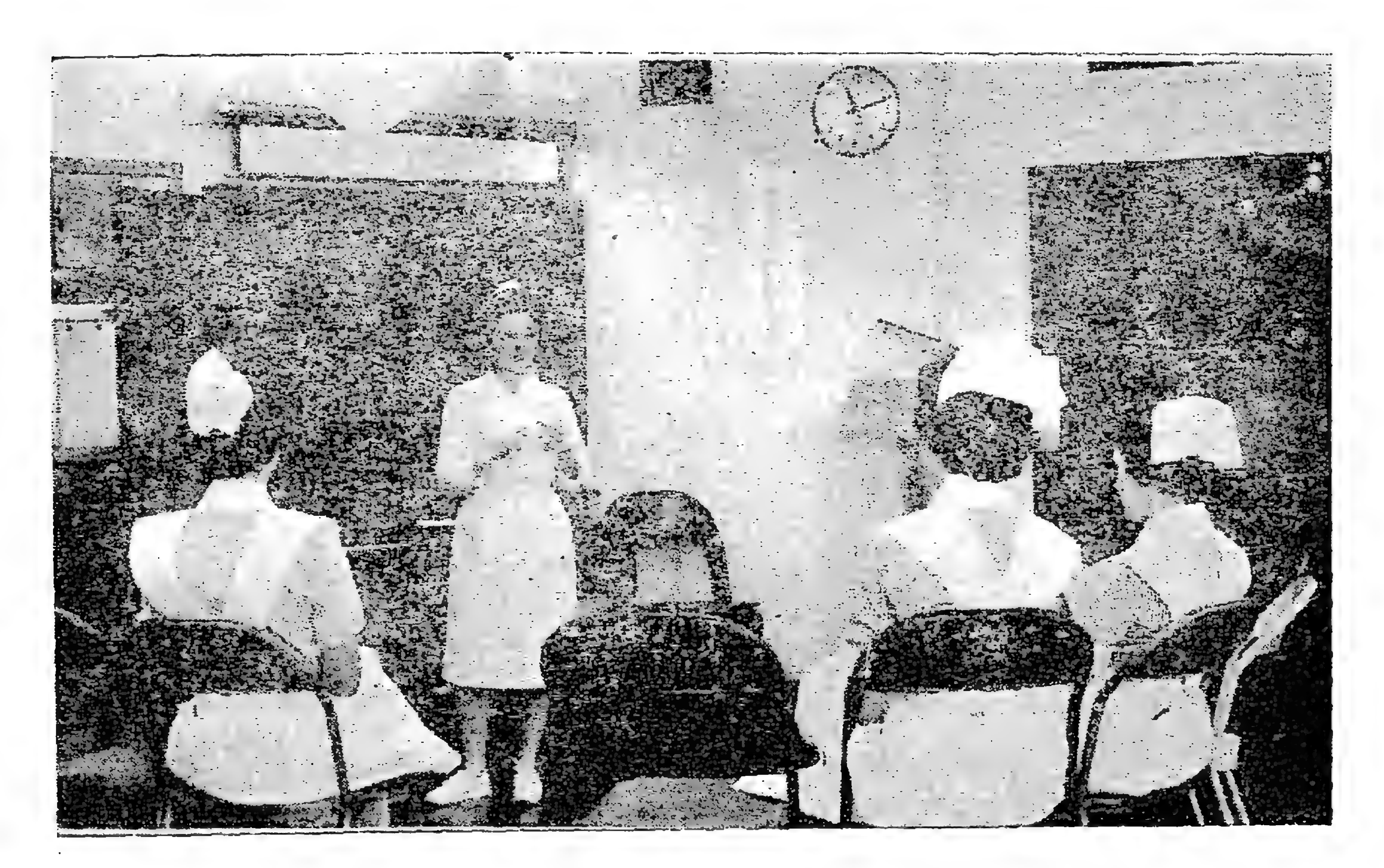
«ليتنى كنت أجدت لغة أجنبية قبل سفرى إلى كندا . إن زملائى فى المصنع يسبقوننى فى الترقيات والمكافآت لأنهم " لبلب " فى اللغات ، أما أنا فقد تجمدت فى عمل تافه جداً لا يحتاج إلى التفاهم بلغة » .

هؤلاء وغيرهم كثيرون تناسوا أو نسوا ، لست أدرى ، أن رأسمال المهاجر هو اللغة . فجاءوا بلا رصيد فى اللغات ، فتوجت تجربتهم بالإخفاق !

رابعاً :

إن جواز مرور المهاجر إلى المجتمع الكندى أن يكون حاصلا على « الخبرة الكندية » . فكندا تستقبل مهاجرين من كل أنحاء العالم وتضعهم جميعاً فى نقطة واحدة هى نقطة الصفر ! فمهما كنت حائزاً على أعلى الشهادات ، ومهما كنت متعمقاً فى خبرة فنية ما ، فإن كندا لاتعترف إلا . . بالخبرة الكندية ! ولا بد من إيضاح أكثر.

إن المهاجر الحديث لا يستطيع أن يبحث عن عمل بين يوم وليلة فيجده . إنه يقيد اسمه ومؤهلاته ومواهبه فى سجلات وزارة الهجرة . إدارة كالقوى العاملة تماماً . ويظل يتردد أسبوعاً أو شهراً وربما عاماً كاملا على إدارة القوى العاملة ويسأل : هل عثرتم لى على عمل مناسب ؟ ويواجه المهاجر ابتسامة ساخرة من رجال إدارة القوى العاملة لأنهم لا يعرفون العمل المناسب والعمل غير المناسب . يعرفون أن هناك «عمل» . أى عمل ! والمهاجر الذى يتصور أنه لن يعمل إلا ما « يناسبه »



التمريض الكندى .... دروس فى استقبال المهاجر إذا فاجأه المرض !

مهاجر « عنيد » يخفق ما دام يصطدم منذ اللحظة الأولى مع التقاليد الكندية .

يحكى لى مهندس حاصل على دكتوراه فى الصوت ، أنه بدأ الحياة فى كندا يغسل صحون مطعم ما ، وكان لا بد قبل أن يلتحق بهذا العمل الصغير أن يحصل على « الخبرة الكندية » فى غسيل الأطباق. ولا بد أن تعرف أن غسيل الأطباق فى القارة الأمريكية وأوربا يتم بطريقة آلية وأزرار! وكان المهندس يتعلم ، فى دراسة مسائية ، طريقة غسيل الأطباق حتى أجادها ، والتحق بمطعم وكان يتقاضى دولاراً ونصفاً فى الساعة . وكان الدكتور المهندس « المرمطون » يبحث فى أوقات فراغه عن عمل يتلاءم مع دراسته . وبعد ثلاث سنوات ،عثر على عمل مهندس صوت فى مسرح للأطفال : فقبل العمل فوراً ! واستقال من المطعم .

إن أية مهنة لها دراسة على الطريقة الكندية . سائق تاكسى . ترزى . حلاق . مدرس . طبيب . مصمم أزياء . أى شىء ، لا بد للمهاجر أن يحصل على ما يثبت أن لديه « خبرة كندية » فى هذا الشأن !

قابلت مئات المهاجرين ، بعضهم « تعالى » على الأعمال البسيطة أو تسامى عليها ، وما زال حتى كتابة هذه السطور يستدين من كل أصدقائه ليعيش حتى ملّوه وهربوا منه . صحيح أن الدولة الكندية تعطى إعانة للمهاجر حتى يعمل، ولكنها تمنع الإعانة إذا تكاسل أو تعالى على العمل .



صناعة الأخشاب تضم جنسيات مختلفة ، لكنهم جميعاً يعيشون تحت سماء كندا ... سمعتهم يحكون ذكريات عن أوطانهم قبل الهجرة !

إن الحكومة الكندية لا تعرف الرحمة ، إنها تسخر أى طاقة للعمل بشروطها أيضاً !

خامساً :

لأن كندا بلاد شابة ، تحاول أن تنتصر بالعلم على الطبيعة ، وتريد لنفسها اقتصاداً كندياً خالصاً ، وصناعة كندية مائة فى المائة .. فإن احتياجها الأول — فى الحقيقة — إلى الأيدى العاملة الماهرة .

ولهذا كان طبيعياً أن تكون أكبر نسبة بطالة فى كندا بين أصحاب الشهادات العالية !!

لقد دهشت عندما قابلت شباناً مصريين متعلمين تعليماً جامعياً عالياً يتراوح بين الليسانس والماجستير والدكتوراه ، وهم فى حالة بطالة ! كيف هذا ؟

يقول لى واحد منهم هو الدكتور شريف عزيز متى : « كلما ذهبت للبحث عن عمل قيل لى بكل وضوح : «إنك تحمل مؤهلات ، ولا أستطيع أن أستغلك ! وأعود إلى العمل البسيط الذى أمارسه : كى الملابس بآلة تكوى ٨٠٠ قطعة فى الساعة ؟ » .

— ما موضوع رسالتك فى الدكتوراه ؟

— « طاقة النواة . . »

قلت بذهول : لماذا لم تستفد منك المعامل الكندية ؟



إنها عجوز ، دلالة على أن لكندا تاريخاً ، إنهم يحاولون البحث عن « قدم » فى حياة كندا الحديثة !

قال بسرعة : « إنها مملوكة لرأس المال الأمريكى ، وهؤلاء يحجبونها عن الكنديين ، فما بالك بالغرباء المهاجرين ؟ ! »

سألت الدكتور شريف عزيز : وما مستقبلك ؟

قال برنة حزن : دخلت الجامعة لأدرس ثلاث سنوات أحصل فيها على خبرة كندية فى صناعة النسيج . لأن مصانع النسيج الكندية تعلن عن حاجتها خلال السنوات الخمس القادمة إلى متخصصين فى صباغة النسيج !

وقابلت مكرم عبد الملك ، كان مهندساً فى البلدية، وهاهو ذا منذ عام لم يعترفوا به كمهندس . عرض عليه أن يعمل موظفاً فى مصنع حلوى . رفض وأصر على دراسة الهندسة ثلاث سنوات ليحصل على الخبرة الكندية فى الهندسة . ويعمل مكرم الآن — فى مونتريال — كمساعد رسام ! ! إنه قانع بهذا العمل الضئيل حتى يسد حاجات أسرته المكونة من زوجة وبنتين . وزوجته « تهانى» تتعلم لغة . وتعمل عملا بسيطاً حتى تشاركه الكفاح. ولو تهاون مكرم فى الدراسة الجادة أو تصور أن على المجتمع الكندى أن يعترف به كمهندس برغم أنفه ، فكأنه ينطح الحجر !

أمثلة كثيرة ، أصحابها مهندسون وأطباء ومحامون جاءوا إلى كندا يدقون بابها . يبحثون عن فرص عمل فيخفقون . يعودون تلاميذ مرة أخرى وبإصرار يفوق الحدود ، يستذكرون ليصنعوا نجاحاً فى الغربة !



الصيد حين تصفو الطبيعة وتبتسم للكندى !

سادساً :

إن « ألف باء » النجاح فى الهجرة « التأقلم » على المجتمع الكندى .

إن الذى يرفض الحياة الكندية ترفضه كندا !

إن صداقة الجو القاسى ، واجبة . فشهور الثلج والمطر والعواصف الرهيبة أكثر من شهور الانطلاق والربيع !

الشتاء ، فى كندا ، غير محتمل برغم كل وسائل التدفئة الصناعية داخل البيوت . وحتى أيام الربيع لاتخلو من المفاجآت المذهلة فى الطقس ما بين شمس ساطعة ومطر يستمر أياماً ! إن قدر هذه البقعة من العالم التى أطلق عليها فولتير : كندا هى أفدنة من الثلج! أن تصبح أسطورة جليدية مخيفة ، قهرها الإنسان بالعلم والسواعد والإصرار !

قابلت أكثر من أسرة مصرية ، فر منها واحد أو اثنان ، وعاد إلى مصر لأنه لم يحتمل قسوة البرد والعواصف الثلجية .

يقول لى « عادل أباظة » وهو مهندس كيماوى (٧ سنوات) :

كان الشهر الأول بعد وصولى إلى كندا أقسى امتحان عشته فى حياتى ، لو استبشعت الجو — وهو بالقطع بشع — لطاوعت نفسى وقررت « الهجرة » إلى مصر ، إلى السماء الصافية ، الساطعة الشمس ، الحنون المطر ، الدافئة ! لكنى بصبر شديد وجلد أشد قررت الاحتمال حتى صار الجو جزءاً من شخصية كندا ، تأقلمنا عليه !



مائة عام .. من عمر كندا !

والتأقلم على الحياة الكندية لا يقتصر على الطقس فقط ، ولكن على تقاليد التعليم التى تسمح بحريات واسعة للأولاد فى سن مبكرة !

إن معظم العائلات المصرية التى قابلتها تعيش فى ذعر شديد من الحريات التى اجتذبت أولادهم وبناتهم . . التدخين . الجنس . الشذوذ ! قال لى « فايد المغربى » وهو طبيب يعيش فى « أتاوا » : « الذى يحدث للأولاد يجعلنى أتعذب فى صمت . إن ابنتى إيمان تناقشنى فى سخافة الاحتفاظ بعذريتها ، وتقول لى إنها محل سخرية بين زملائها وزميلاتها . وابنى سامح يدخن وهو فى الثانية عشرة أمامى ! لكنه قدرى . جئنا إلى كندا ، وها هى ذى كندا تفرض علينا قبول حلوها ومرها . لقد تأقلمت فى الواقع على العذاب النفسى والقلق الروحى . إن أولادى كانوا يصلون . . وما عادوا يصلون . إنهم فى هذه اللحظة التى نتكلم فيها يرقصون ! »

على المهاجر أيضاً أن يحتمل صرامة النظام الكندى . مخالفات السيارات تحصل فى الحال . إقلاق الجيران مخالفة لها غرامة ، إهدار القيم له غرامة شديدة ! !

التساهل ، والتسامح ، والتنازل وكل هذه القيم البسيطة المصرية فى المعاملات لا وجود لها تحت سماء كندا !

إنه مجتمع من الأقليات تربطه مصالح مشتركة ، ومن هنا فالرابطة الإنسانية غير موجودة . والمجتمع نفسه بلا هموم روحية .



المتاجر الكبيرة فى كندا ، فيها كل ما تشتهى النفس

إنه مجتمع يشبه « معسكر عمل دولى » له لوائح صارمة ، من يتبعها ينجو ، ومن يصطدم بها يواجه متاعب جمة .

والحديث عن النجاح والإخفاق تحت سماء كندا . . طويل !

لمعلوماتك

- بلغ رقم الاستيراد ١٥,٥٥٨ مليون دولار ، ورقم التصدير ١٧,٧٨٥ مليون دولار .
- برغم أن الصناعة فى كندا قد جعلت منها بلداً صناعيا فى الدرجة الأولى فإن الزراعة تساهم بمقدار ٢٥ ٪ من النشاط الاقتصادى . وبلغت الاستثمارات الزراعية ٢٣,٠٠٠ مليون دولار .
- بلغت صادرات كندا الزراعية عام ١٩٧١ مقدار ١٩٨٠ مليون دولار وهذا الرقم يمثل ١١ ٪ من مجموع الصادرات الكندية .

الفصل السابع

لا تهاجر قبل أن تعرف كيف تروضها

« إن الهجرة ليست نزوة ، ولا مغامرة

ولا رحلة ، ولا نزهة !

إنها موقف ، ولها أسلحة للنجاح ،

وإلا أخفق المهاجر ! »

ملاحظة ضرورية !

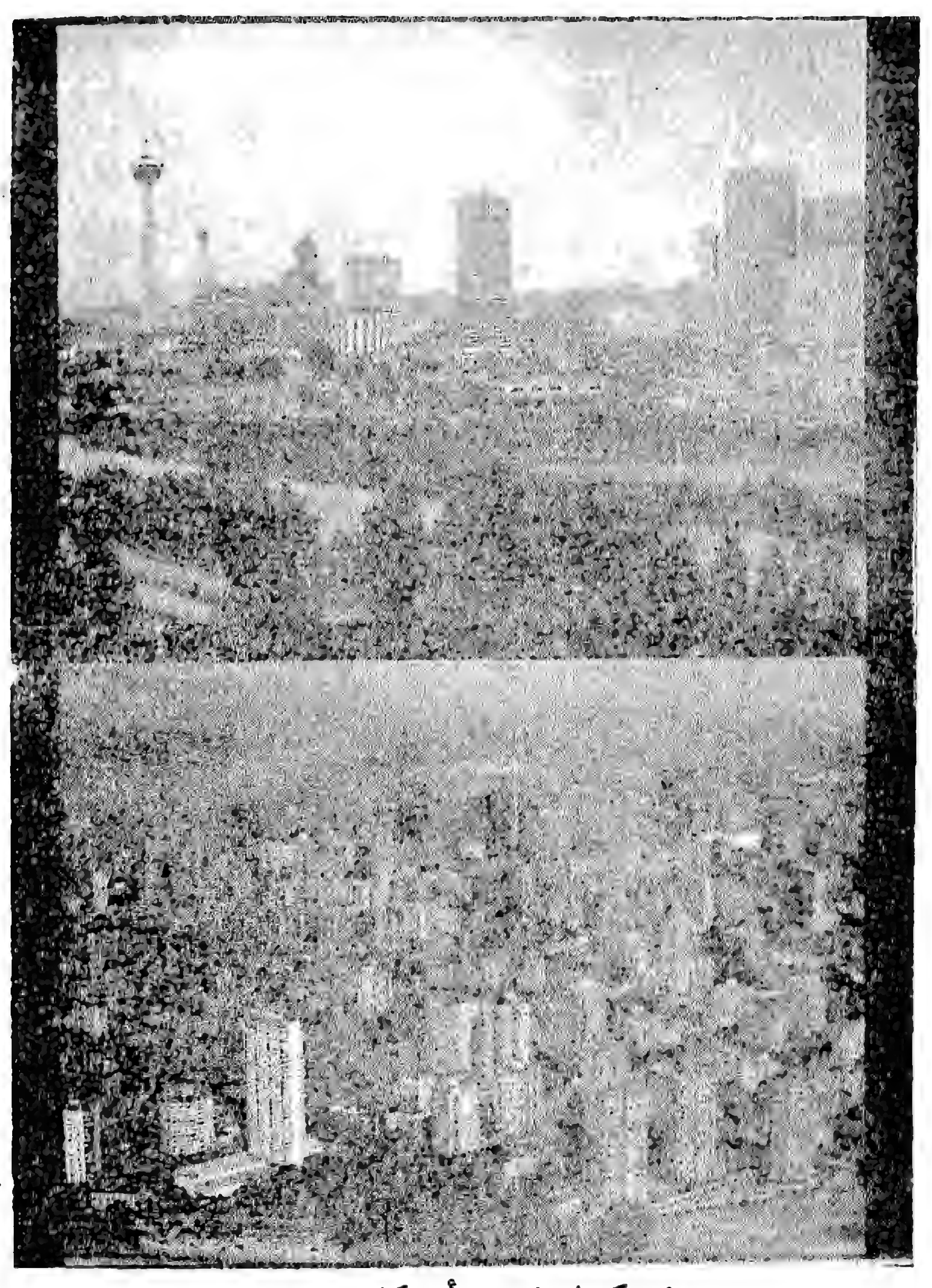
لا بد من إيضاح قبل المضى فى الحديث عن النجاح والإخفاق تحت سماء كندا .

* فأنا لا أدعو — بصراحتى فى نقل صورة المهاجر المصرى — إلى تثبيط همم الراغبين فى الهجرة .

* وأنا لا أعادى أساساً فكرة الهجرة . بالعكس أنا ما زلت أكرر أن المهاجر الناجح يخدم مصر أكثر من المواطن المحلى الخامل !

* وأنا لا أقف من المهاجر المصرى أى موقف . إنى أفرح لنجاحه وأتعاطف مع إخفاقه .

إن هذه السطور لا هدف لها إلا المحاولة المتواضعة للتعقيل والترشيد ! « تعقيل » أى إنسان يتخذ قراراً بالسفر إلى كندا . ومحاولة « ترشيده » .



هذه كندا وليست أمريكا ، برغم
ناطحات السحاب والعمارات الشاهقة !

محاولة لإنارة الطريق أمامه . محاولة « إنجاح » تجربته ، كمهاجر .

ولندخل فى الموضوع مباشرة .

فى قلبى كلام يجب أن يقال ، قبل أن انتقل إلى الجانب « الوردى » من القضية .

ومرة أخرى ، أنا لست متشائماً .

إن كل مصرى قابلته تصرف — فى بداية هجرته — على الطريقه المصرية ، ولكنه وجد قانوناً حادا كالسيف ، فتراجع ، وخضع لهذه اللوائح وصار « كندياً » !

إذن فالتأقلم على صرامة النظام الكندى ضرورة للنجاة من المتاعب !

إن المهاجرين المصريين نقلوا إلى كندا كل مساوئ المصرى فى بلاده ! بلا تردد ، فإن كثيراً من المصريين فى كندا يعيشون مجتمع النميمة (والقر) والحقد وكل الصور البذيئة التى كنت أتصور أنهم تخلصوا منها تحت سماء بلاد جديدة . لكنهم للأسف ما زالوا مخلصين لها . ولكى أكون منصفاً فإن هؤلاء المهاجرين يعانون من فراغ شديد . بعضهم — مثلا — لا يعمل ، ولأنه مهاجر يعتمد على « إعانة » الدولة ! وبعضهم يذهب إلى الجامعة ويدرس أى شىء ويتنازل عنه فجأة ، ليدرس فى جامعة أخرى . وذلك ليظل يحصل على « إعانة » الدراسة الجامعية ؛ وبعض هؤلاء المهاجرين فهموا لعبة التأمين ، وكيف أنه يتكفل بالمؤمن عليه فى حالات العجز والمرض والبطالة ، فإذا أصيب أحدهم

لمعلوماتك

- فى أواخر ١٩٧١ بلغ مجموع ورق البنكنوت الذى أصدره بنك كندا ٣,٥٠٦ ملايين دولار، وبلغ مجموع العملات النقدية ٤٨٨ مليون دولار .
- بلغ عدد البنوك الكندية المرخصة تسعة بنوك يمتلكها مساهمون كنديون، ويتبع هذه البنوك عدد من الفروع تبلغ ٦٣٤٩ فرعاً منتشرة فى أنحاء كندا، كما يتبعها ٢٧٢ فرعاً خارج كندا .
- يمتلك الكنديون فى نهاية ١٩٧٠ ما قيمته ١٢١,٠٠٠ مليون دولار تأميناً على الحياة، وهذا يعنى أن متوسط تأمين الحياة على كل أسرة كندية يبلغ ٢٠,٨٠٠ دولار .
- يبلغ عدد شركات التأمين على الحياة فى كندا ٢٤٠ شركة يبلغ مجموع رأسمالها ١٥,٠٠٠ مليون دولار .
- بلغت القوى العاملة فى كندا فى ١٩٧١ ما يقدر بـ ٨,٦٣١,٠٠٠ إنسان، وبلغ عدد المتعطلين — من بين هذا الرقم — ٥٥٢,٠٠٠ نسمة .

فى حادث ، استمرأ الحصول على إعانة التأمين ، والسيارة الجديدة، بدلا من المصابة ، وتعجب المهاجر حياة « التنطع » والنوم فى العسل ، ولا يفيق مادام « ضميره ميتاً » وكبرياؤه وكرامته فى حالة اختفاء !

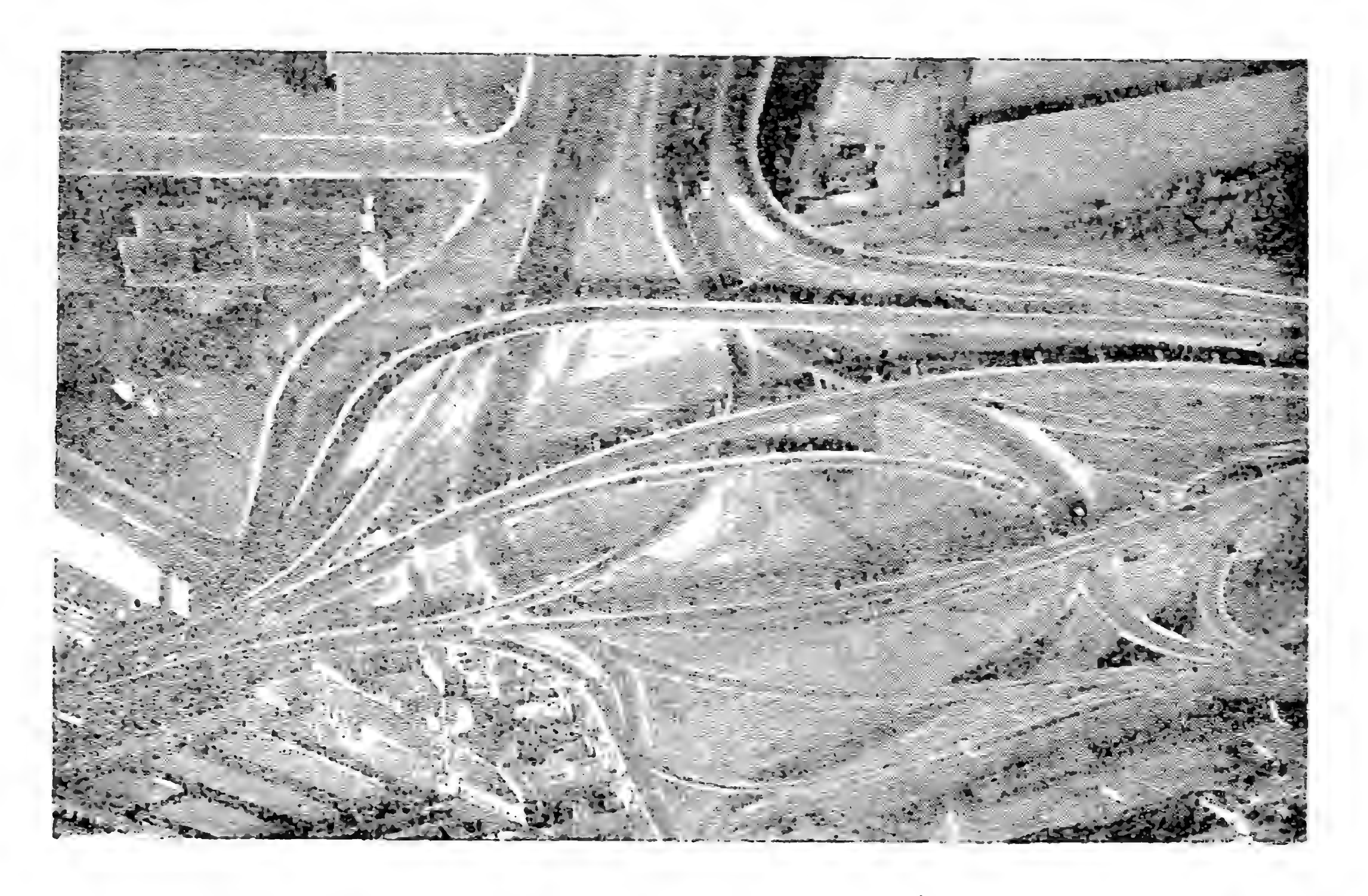
كنت أناقش فى « أونتاريو » ، بعض هذه الحالات الفاشلة، قالوا لى : « إنهم يعجبون بهذه الحياة السهلة . . » !

واكتشفت أنهم عاطلون من المواهب والكرامة . . فأشفقت عليهم ، ووفرت على نفسى مشقة إقناعهم بالبحث عن عمل . . هؤلاء المهاجرون المصريون — للأسف — لا يصنعون نجاحاً مشتركاً مثلما يفعل اللبنانيون أو السوريون ، لأنهم يدورون فى حلقات مفرغة من الفراغ والأنانية واستمراء إعانة الحكومة الكندية !

إن المهاجر الناجح يدفع ضرائب باهظة عن دخله الكبير . ومن هذه الضرائب ينفق على المهاجرين فى حالة البطالة والتراخى والكسل ! إن المهاجر المصرى الناجح هو الذى يتخلص من « عيوبه » الاجتماعية وهو فى طريقه إلى كندا . . أو أى بلد آخر. إن كندا ، كما قلت، مجتمع عمل جاد ، وراحة جادة أيضاً . وكندا تتيح للإنسان أن يعمل بطاقة ٧٥ ٪ ويحمى إنتاجه بطاقة ٢٥ ٪ وليس العكس !

والمهاجر الذى ينقل معه عيوبه ، يفاجأ بأن هذه العيوب تسللت إلى عمله وحياته وكيانه ، ونخرت فى مستقبله كالسوس !

قابلت عشرات المهاجرين ، وروى لى كل واحد منهم على حدة حلم حياته فى مشروع يدر عليه آلاف الدولارات . . ولما قلت لهم ،



معدة المدينة والأمعاء ، وهذه صورة من الجو للطرق فى المدينة الكندية !

لماذا لاتجتمعون أنتم العشرة ، وتدخلون برأسمال واحد ، لتبدءوا هذا المشروع فيدر عليكم جميعاً آلاف الدولارات ؟


خفضوا رءوسهم . . وتعلل كل واحد منهم بمنطق ذاتى .

وكل التعليلات لا تخرج عن معنى واحد : الأنانية وافتقاد الثقة !

وإذا كانت هذه الصورة غير الوردية قد فاجأتنى فى كندا ، فهناك صورة وردية أخرى لمهاجرين مصريين ، ربما فاقوا مهاجرى دول أخرى فى النجاح . على أنى لا بد أن أسجل أن المصرى عندما هاجر إلى كندا اشتغل موظفاً ! إن طموح المصرى لا يزيد على « الاستقرار » ،ولكنه لا يعرف كزميله السورى واللبنانى المغامرة والجرأة والنجاح التجارى الباهر!

لا بد من المضى فى الصراحة !

إن بعض المهاجرين « يزوِّرون » المعلومات التى يقدمونها للسفارة والسلطات الكندية ابتغاء العمل والسفر! يحكى لى الأستاذ رمزى ملطى، وهو يعمل مدرساً فى مدرسة باكنجهام القريبة من « أتاوا » : « أعرف مهاجراً مصرياً ، للأسف ، قام بعملية تزييف فى أوراقه . قدم شهادات لم يحصل عليها . قدم وثائق لا علاقة له بها . . قدم مستندات خيالية . كل هذا فى سبيل الموافقة على سفره ومنحه « الإشارة الخضراء » . . كمهاجر ! لقد كان نتيجة اكتشاف هذا التزوير ، تخفيض مرتبات المدرسين ، وسوء السمعة . صحيح أنه حادث فردى ، تكرر أحياناً على فترات ولكنه ليس قاعدة . فقط ينبغى على المهاجر الأمانة فى تقديم المعلومات .



العلاقات الكندية الأمريكية قديمة جداً . الأمريكى يزور كندا باعتبارها « أرض » أمريكية . وكان كيندى يحلو له زيارة كندا كل ويك اند !

إن السفارة الكندية في القاهرة ، تصدق « المعلومات » التى يقدمها المهاجر . ولا يجوز أن تتأكد السفارة من صحة المعلومات وسلامتها ، لأن عدم الأمانة ، يقع ضرره على المهاجر نفسه . إن المهاجر يغش نفسه فى نهاية الأمر ! .

هناك مهاجر ، قدم وثائق تثبت أنه « صيدلى » ، ثم اكتشف أمره فى كندا . اكتشف أنه « مجرد مساعد فنى بسيط ! » هذه الحالات ، تحيط المهاجر المصرى ، بنظرات الريبة والشك !

إن المهاجر المصرى يجد فى انتظاره . . كل شىء بالتقسيط : بيت . وأثاث . وسيارة !

يستطيع أن يدفع أى مبلغ كعربون ، ويشترى كل هذا بين يوم وليلة . . بلا أى مجهود أو عناء !

ويستطيع أن يستدين من البنك أى مبلغ ، بلا ضمان ، وعليه أن يسدد فى الموعد ، وإلا سحبوا منه البيت أو السيارة فوراً بلا رحمة !

ويستطيع — بمبلغ صغير يدفعه شهريا للتأمينات — أن يحتفظ بحقه فى الحصول على بوليصة تأمين ، تكون بمثابة غطاء له إذا تعرى ماديًّا . . أو أصيب فى حادث ، أو حتى حرق بيته ! هناك خمسون نوعاً من التأمين !

يستطيع أن يحصل على تعويضات لأية إصابة ، فى العمل أو خارج العمل . تعويضات تصل إلى آلاف الدولارات يتمناها المهاجر — أحياناً — لكى يحصل على مبلغ ، يبدأ به مشروعاً تجاريًّا ! . .

يستطيع أن يضمن أن الأطفال سيجدون حياة مريحة ، وأن الاعتداء عليهم بقسوة له غرامة . وتركهم بمفردهم فى البيت له غرامة .

كل هذه « المميزات » تجعل حياة المهاجر مريحة طبعاً . ولكن عليك مقابل هذا أن « تتأقلم » على الحياة الكندية وأن تكون فى الواقع مواطنا كنديًّا .

إن كندا تريد منك أن « تطيعها » ولا تعصى « أوامرها » . وكلمة أوامر ليست نكتة . إن القانون الكندى لا يعرف الرحمة . إنه يطبق على أصغر عامل وأكبر مسئول فى الدولة ،وإذا تصور المهاجرون أن القانون يمكن « استغفاله » مرة . . فلا يمكن أن « يستغفله » طول الوقت .

الغرامات فورية الدفع ،وسيارات البوليس الكندى تذرع الشوارع والطرقات . تمسحها مسحاً . والمهاجر الذكى هو الذى لا يصطدم بالقانون . أعرف « شابًّا مصريًّا » هاجر منذ ثمانى سنوات إلى كندا ويعيش الآن فى « تورنتو » . كان رياضيًّا ومصارعاً ،وكان يتغلب على جميع مشاكله بعضلاته . ومنذ اللحظة الأولى فى كندا أدرك أن أسلوبه «المصرى» فى حل المشاكل لن ينجح فى « كندا » . واسمعوه يحكى : « أثارت أعصابى مخالفات المرور . أترك سيارتى عشر دقائق وأعود لأجد ورقة مخالفة . لماذا ؟ لأنى وقفت فى المكان المخصص لمدير بنك ما فى الشارع ! أترك سيارتى فى الموقف وأتأخر عنها دقيقة فأكتشف أن خمسة دولارات تنتظرنى : كمخالفة . لأن الوقت المحدد لى انتهى منذ

٦٠ ثانية ! كدت مرة أن أعتدى على عسكرى مرور، ولكنى تمالكت أعصابى بأعجوبة . ولولا ذلك ، لاعتذرت كندا عن قبولى مهاجراً ، وطلبت منى الرحيل على أول طائرة . منذ ذلك اليوم ، نبذت أسلوب " القوة " فى التفاهم ، وأصبحت أستخدم العقل والمنطق . إننى أحياناً أكاد أنفجر من الغيظ ، ولكنى سأدفع الثمن غالياً لو طاوعت نفسى » !

وعن الصرامة الكندية ، اسمعوا « ن . النجار » وهو يحكى :

هنا فى « مونتريال » الحياة جميلة وظريفة ، ولكن الحريات مخنوقة . لا يمكن أن تتصوروا افتقادى للحرية الشخصية التى كنا نتمتع بها أنا وزوجتى . كنا فى الإسكندرية قبل أن نقرر الهجرة ، ندعو أصدقاءنا كل يوم خميس على العشاء وكنا نضحك ونمرح ونسمع أحدث الأسطوانات . كنا نمارس حريات شخصية بلا رقيب علينا . وقد حدث فى « مونتريال » شىء آخر . دعونا بعض الأصدقاء المصريين وسهرنا سهرة « سكندرية » . جاء البوليس الكندى يطلب إلغاء السهرة وإغلاق البيك أب لأن الجيران اشتكوا من الإزعاج ، وقال ضابط البوليس هذه المرة ننذركم ، وفى المرة القادمة ستدفعون غرامة . والتهمة إزعاج الآخرين ! إننا حين ندعو أحداً لزيارتنا نتوجس من ضحكة عالية أو بعض التهريج ، ونغلق النوافذ لنمنع تسرب الإزعاج » !

واسمعوا «سامح الألفى» وهو طبيب يعيش فى باكنجهام : « تصور

لمعلوماتك

- تبدأ فصول السنة فى كندا كالآتى :

الربيع من منتصف مارس إلى منتصف مايو .

الصيف من منتصف مايو إلى منتصف سبتمبر .

الخريف من منتصف سبتمبر إلى منتصف نوفبر .

الشتاء من منتصف نوفبر إلى منتصف مارس .

- نوعية الملابس ومواعيد استعمالها .

يناير وفبراير : ملابس ثقيلة ومعاطف (بلاطى) وقبعات وقفازات وأحذية كاوتش .

مارس : ملابس شتوية متوسطة الثقل إذ يبدأ الثلج فى الذوبان .

أبريل : ملابس متوسطة وبلاطى خفيفة ، إذ أن الجو يبدأ فى الاعتدال ، لكن يعود البرد مع الليل برغم اختفاء الثلوج .

مايو : ملابس متوسطة الثقل صيفية ، إذ أن الجو يكون دافئاً فى النهار ويظل الليل بارداً .

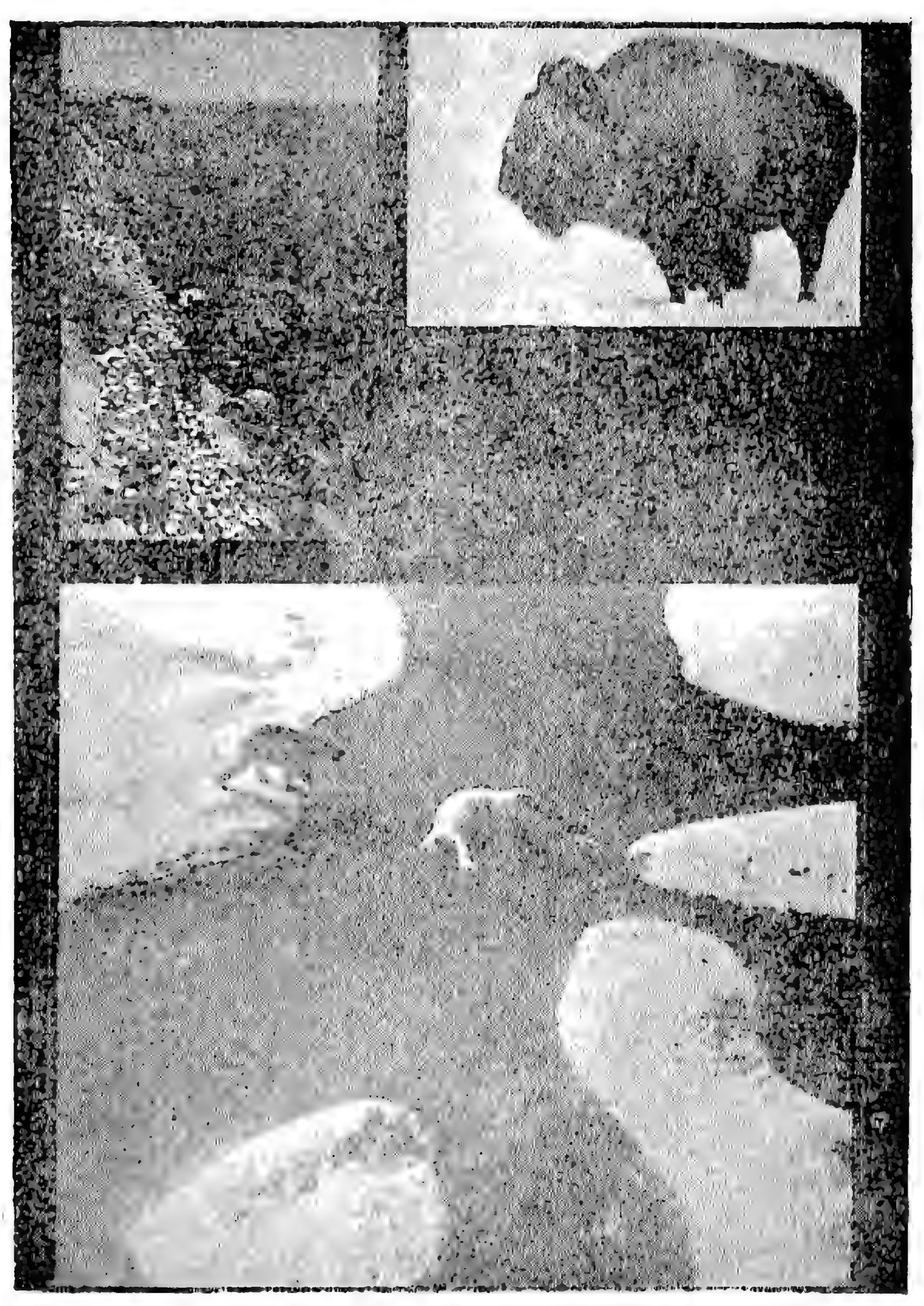
لمعلوماتك

يونية	: ملابس صيفية وبعض الملابس متوسطة الثقل وقاية من الأمسيات الباردة .
يولية	: ملابس صيفية إذ أن الجو حار .
أغسطس	: ملابس صيفية إذ أن هذا الشهر أدفأ شهر فى السنة .
سبتمبر	: ملابس صيفية مع بعض الملابس المتوسطة الثقل لبرودة بعض الليالى .
أكتوبر	: ملابس نصف ثقيلة بما فى ذلك بلاطى خفيفة للحماية من الجو البارد .
نوفبر	: ملابس نصف ثقيلة وبلاطى خفيفة إذ تزداد برودة الجو منذرة بقدوم الشتاء .
ديسمبر	: ملابس شهرى يناير وفبراير .

أن الاحتفاظ بكلب بدون إبلاغ السلطات يكلفك غرامة كبيرة . إن الدولة تشاركك أى تصرف . أية ملكية . . إنها تدخل بجهاز التأمينات وتجلس على مائدتك سواء أردت أولم ترد » !

واسمعوا « رضا . . ف » يدرس فى جامعة « واترلو » « بأونتاريو » : « شربت مرة على سبيل المرح زجاجة صغيرة من البيرة الكندية أمام باب البيت . بالتحديد على سلم خشبى . ولمحنى رجل البوليس ، ودفعت غرامة عشرين دولاراً ، أى ما يعادل عشرة جنيهات . القانون ينص على أن احتساء أى مواد كحولية يجب أن يكون تحت سقف بيتك ، حتى لو كنت تملك حديقة صغيرة ، فهذا محرم عليك أيضاً ، ولا داخل سيارتك » .

واسمعوا « دينا روفائيل » ، وهى تعمل سكرتيرة لمهندس كندى كبير منذ ٤ سنوات فى « أتاوا » . تقول دينا : « لنا طفلة واحدة أنا وزوجى منير ، وعندما هاجرنا إلى كندا ، تعب منير فى البحث عن عمل ، كانت صحته لا تساعده على الأعمال ذات المجهود البدنى . ولهذا لم أتردد فى قبول وظيفة سكرتيرة لمهندس كندى . كنت أنفق على البيت حتى يعثر منير على عمل . وكانت أكبر مشكلة فى حياتنا هى ابنتنا " منال " . فى البداية كان منير يلاعبها ويلاطفها حتى أعود فى الخامسة عصر كل يوم ، ولكنى اكتشفت أنه ضاق بها لأن هناك أموراً فى معاملة الأطفال لا تعرفها سوى الأم ، والأم فقط . بدأنا نبحث عن " بيبى سيتر " أى الدادة التى تتقاضى أجراً بالساعة . لم ننجح ، فقد كانت الدادة تمتص الدخل أولا بأول . وكنا نتحسر على



الحيوان فى كندا عرف كيف يحمى نفسه من غدر الطبيعة ، بالغريزة طبعاً !

أيام بهانة" وأم الخير وسعدية . . الشغالات اللواتى كنا نستبدلهن !
وجاءت " دادة" : قبلت العمل بـ ٢٥ دولاراً فى الأسبوع . وقبلنا
ونحن نكاد نجن ، فقد أحسست أنى أعمل وأشقى من أجل الدادة . . ! »

واسمعوا « أمانى الدياسطى » وهى زوجة لمهندس مصرى ، يعيش فى « مونتريال » منذ ٥ سنوات : «أنا مستعدة أن أعود إلى مصر فى أية لحظة ، فأنا مصابة بمرض الحنين إلى أمى . لم أتعود أن أعيش بعيداً عنها طويلا . أحياناً تأتينى فى أحلامى . أنغص حياتى وحياة زوجى أسبوعاً كاملا حتى نتسلم رسالة منها . أعتذر لزوجى عن هذا التصرف عشرات المرات ، ولكنى أعود إلى ارتكاب الجرم نفسه . أى خاطر ، أى حلم يزورنى فى أثناء النوم ، كفيل بأن يشقينى بشدة . هذا ثمن الهجرة فماذا أفعل ؟ ! » .

لا بد هنا من وقفة !

هذه الصورة التى أنقلها بأمانة تشير فى الواقع إلى « التغيرات النفسية » التى تطرأ على المهاجر عندما يواجه مجتمعاً جديداً . . يجهله . ومن هنا فإن الذى يعرف طبيعة المجتمع الذاهب إليه لا تفاجئه تقاليد كندا أو ظروفها أو مناخها !

إن الأستاذ رمزى ملطى ، وهو يعمل مدرساً فى كندا ، مهاجر ناجح ، لماذا ؟ اسمعوا ما يقوله : « درست كندا لمدة عام . قرأت عنها كل شىء . جلست مع مهاجرين هربوا منها ولم يحتملوها . وعندما جئت إلى هنا منذ عامين ، لم أشعر بأى قلق أو إرهاق ، كنت قد تعرفت على

المجتمع قبل أن تطأه أقدامى . وكنت صريحاً مع نفسى ، كنت أقول : هل أقبل كل صور الحرية لأولادى ؟ هل أقبل قسوة الطقس فى الشتاء ؟

هل أقبل الحياة الآلية ، الخالية تقريباً من العواطف ؟

هل أخضع للصرامة الكندية فى القوانين والمخالفات ؟

وجدت نفسى أجيب بكل هدوء : نعم !


ولهذا ، نجحنا أنا وزوجتى وأولادى ، ونعيش بلا خوف من الغد ».

إن حالة الأستاذ رمزى تجرنى إلى الحديث عن النجاح تحت سماء كندا . والنجاح – كما قلت – نتاج أشياء كثيرة فى تكوين المهاجر نفسه. فأى إنسان « قادر » على السفر ، وليس بالضرورة أن يكون « قادراً » على النجاح فى سفرته .

لقد قابلت مهاجرين ناجحين ، كثيرين ، وزاد فرحى بنجاحهم عندما سمعت قصص نجاحهم . إنها حكايات مثيرة ، فيها طموح . فيها قلق . فيها سهر . فيها جهد . فيها عذاب . فيها مرارة . وفيها أيضاً حلاوة !

إن هناك تصوراً ساذجاً للهجرة . أى شاب تخرج فى الجامعة ، يستطيع فى لحظة أن يهرش رأسه ويقول كأرشميدس : وجدتها .

إنه « يتصور » أن كندا هى الحل . ويتصور أن كندا ستفتح ذراعيها له وتحتضنه وتلثم جبينه وتقول له : أين أنت . لقد كنا ننتظرك !



للكلاب فى كندا ٢١ نوعاً من الطعام يعلن عنها التليفزيون خلال قنواته الثلاث عشرة !

أبداً . . هذا وهم . خيال .

هذا لا يحدث . إن كندا هى أرض الثلج والعذاب ثم الدولار !

وسأحكى لكم قصص النجاح تحت سماء كندا ، واسمحوا لى من خلال رؤيتى للمهاجرين ، أن أقدم عشر وصايا متواضعة للذين يفكرون فى السفر . . والهجرة !

لمعلوماتك

- تبلغ مساحة الأرض المنزرعة فى كندا ١٧٤ مليون أكر (الأكر يساوى أربعة آلاف متر مربع) .
- تقوم الزراعة فى معظمها على أساس « العائلات الزراعية » فتتولى كل أسرة أعمال الفلاحة بنفسها بدون الاستعانة بعمال من الخارج .
- التفاح هو أهم الفواكه التى تنتجها كندا من بين ٢٥ نوعاً من أنواع الفاكهة البالغ قيمتها الإنتاجية ٢٠٠ مليون دولار .
- بلغت التقديرات الأولية عام ١٩٧١ لقيمة الإنتاج الزراعى مبلغ ٤٤٦٧ مليون دولار منها ٢٦٦١ مليون دولار إنتاج حيوانى .

الفصل الثامن

أهلا بالصفر

ولهذا نجحوا !

« الهجرة تجربة . نجاحها يتوقف عليك . على استعدادك النفسى . على إجادتك اللغة . على طموحك . مثابرتك . على عدم يأسك . على مواجهتك الطقس !

أجمل ماسمعت من المهاجرين فى كندا أنها — أى كندا — كامرأة جميلة ذات كبرياء ، تعذبك ثم تعطيك . تؤرقك ثم تسخو عليك ! فإذا بذلت من أجلها كثيراً ، أحبتك كثيراً ، وإذا أهملتها نسيتك ، وضنت عليك حتى بالنظرة ! إنها تعرف أنها جميلة ، وعطاؤها يتطلب المعاناة والتضحية !

وهذه هى اعترافات المهاجرين الذين نجحوا . . معها . . بذلوا ، وضحوا . . فابتسمت لهم . . وسخت !

« اسمى : راجى عبد الملك . جاوزت الأربعين بعام واحد . كنت موظفاً فى البريد . قررت الهجرة منذ ٥ أعوام . لم أكن أشكو أى


ضيق مادى . كنت قد تخرجت فى كلية التجارة وأنا أعمل فى البريد .. وكنت أعرض خدماتى على أصدقائى .

قرأت عن كندا الكثير . سألت طبيبى . هل الثلج يضاعف الربو الذى أشكو منه ؟ .

قال : لا ! قررت خوض التجربة . أقول التجربة وليس المغامرة . بدأت أعد أوراقى . . وسافرت . فى كندا قيدت اسمى فى مقر المهاجرين وطلبت العمل فى الصيانة . أهملت تماماً شهادة الجامعة . . اكتشفت أنها « رخصة » فى مصر فقط . العرق هنا . يدوى .

درست الصيانة على الطريقة الكندية .

أتممت خبرتى الكندية فى عام واحد . خلال العام اشتغلت زبالا . . وحمالا فى محطة سكة حديد . . وسائق تاكسى (ومرمطوناً) فى فندق . . ومنظف نجف . وبعد عام كامل . . ذقت فيه المر . التحقت بمصنع آلات كهربائية . وأصبحت أتقاضى اليوم ، بعد مرور ٥ سنوات ، ٨ دولارات فى الساعة . أى ٣٢٠ دولاراً فى الأسبوع . يوم السبت أتقاضى ١٦ دولارا فى الساعة وأيام الآحاد أتقاضى ثلاثة أضعاف . . كنت أعرف أن كندا لا تبتسم طويلاللمهاجر . أودعت نقودى فى البنك . ابتعدت عن المغامرات . كان لى أصدقاء من المصريين يلعبون « القمار » على سبيل التسلية . رفضت أن أقامر بعرقى ! أتمرد على هذه النظرية الهدامة . أشتهى شراء أشياء كثيرة يسيل لها لعابى . . ولكنى « فرملت » نفسى بشدة ! لقد كانت الأعمال الصغيرة التى قمت بها تعذبنى . إن



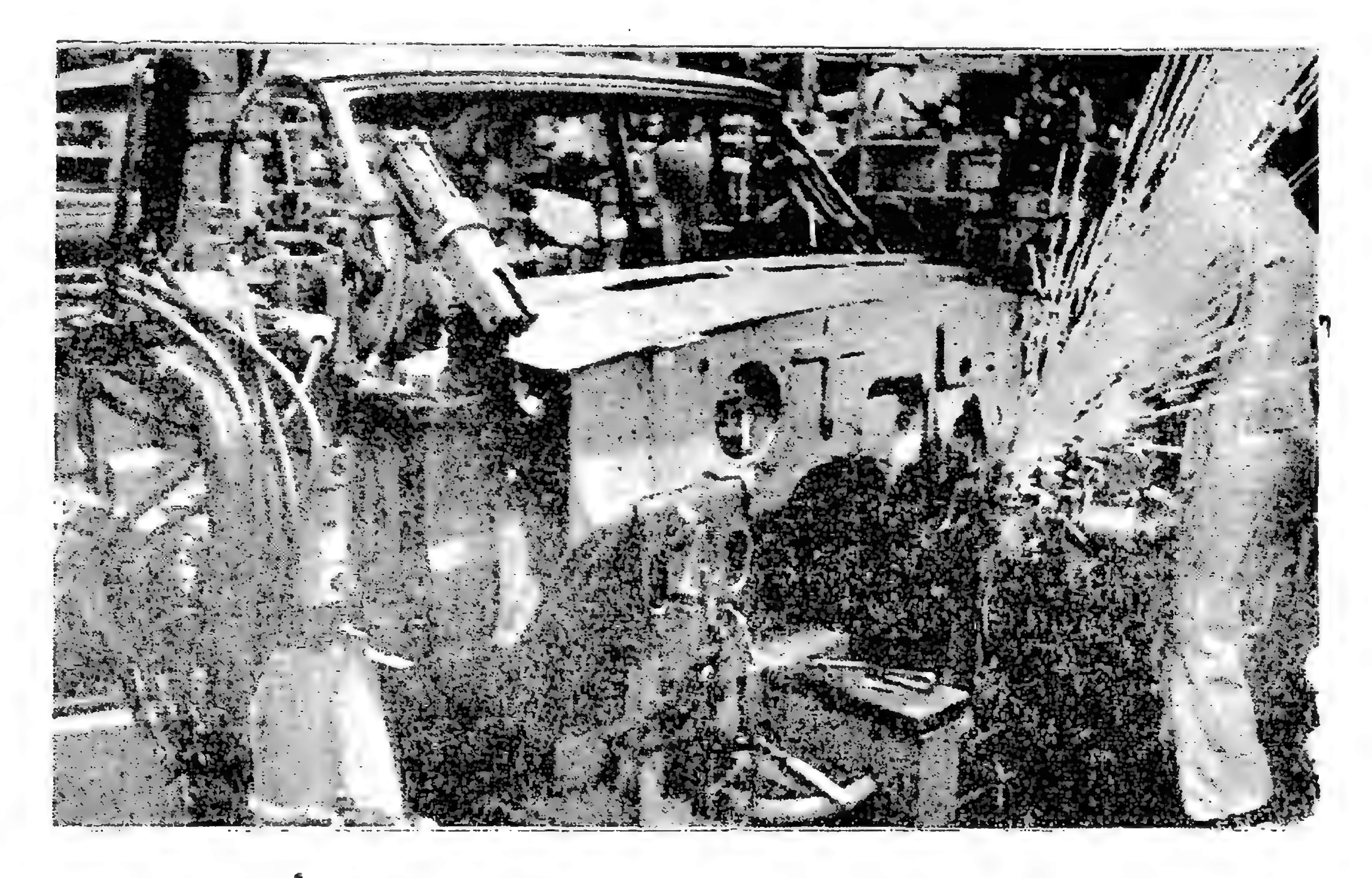
صناعة الدواء الكندى : التعقيم ، النظافة ، الدقة !.. ومعظم الأطباء أمريكيون . وهذه مشكلة كندا ، كيف تتخلص من « الاحتلال » الأمريكى فى الصناعة ؟

الانتقال من مرحلة إلى مرحلة يثير فى النفس أشياء كثيرة . . ولكنى فهمت — أو هكذا أدعى — فهمت سر هذه الأرض العملاقة . إنها تعذبك ثم تعطيك . إنها كامرأة جميلة ذات كبرياء . . عطاؤها ليس أمراً هيناً . إنك تبذل من أجلها الكثير ، حتى تبتسم لك . وقد ابتسمت لى كندا أخيراً . وتدرجت فى المناصب بسرعة . . أصبحت مسئول الصيانة فى المصنع . كسبت ثقة الكنديين بمهارتى . بمواظبتى . . بهدوئى . بكفايتى . بصبرى . بإيمانى العميق أن الجهد — هنا فى كندا — لن يضيع . لن يذهب هباء لأن المدير لا يستلطفنى . لن يذهب سدى . لأن ابن خالة المدير يطمع فى هذا المنصب . اعتبرنى سعيداً » .

عن أسنانهم عرفت

« اسمى منيب زكى . تخرجت فى كلية طب الأسنان فى القاهرة . كنت أشكو القلق . إنه ينخر فى النفوس كالسوس !

قبل أن أفكر فى الهجرة . درست طبيعة المجتمع الكندى . وموقع طبيب الأسنان على خريطته . اكتشفت معلومات هامة . خذ عندك ! أغنى الناس فى كندا يرسلون أبناءهم إلى كلية طب الأسنان . طبيب الأسنان له مكانة اجتماعية تفوق مكانة المهندس والطبيب البشرى ، يصل دخل طبيب الأسنان أحياناً أعلى من دخل رئيس وزراء كندا . طبيب الأسنان بعد عشر سنوات من مزاولة المهنة يعمل ٦ أشهر فقط ، أما ستة الأشهر الأخرى . فيقضيها فى أوربا . . لو قضاها فى كندا .



صناعة السيارات ، تجتذب آلاف العمال من كل بقاع العالم . ولا تزال السيارة الكندية « أمريكية » الصنع ! !

فسوف يذهب « دخله» إلى الضرائب . يفضل أن يستريح ليعود بعد ٦ أشهر ، نشيطاً . . أى طبيب أجنبى – مثلى مثلا – لا يدخل كلية طب الأسنان فى كندا إلا بعد أن يمتحن . ويدخل الكلية . . ويقضى ثلاث سنوات ، من خمسين طالباً تقدموا للكلية . نجح ٨ فقط ، أنا واحد منهم . بعد أن أتم الدراسة . أتقدم لامتحان آخر . إذا نجحت فيه منحونى « ترخيصاً » لمزاولة المهنة .

لمعلوماتك : رسوم الامتحان فى السنة النهائية قبل التخرج ، ألف دولار . أعمل الآن فى أول مصنع للأسنان فى كندا . أعمل مساعداً لطبيب يقوم بأبحاث حول هذا الشأن . المصنع متخصص فى مواد الأسنان . الأطقم والأسنان الصناعية وعظام الفك . . اخترعت كندا مادة حديثة للأسنان .

ولمعلوماتك أيضاً : مهنة طب الأسنان لاتدخل فى التأمين الصحى . وخلع الضرس يكلفك ٥٠ دولاراً . أى ٢٥ جنيها مصرياً . وأقل طقم أسنان يكلفك ٥٠٠ دولار . وقبل أن أقرر الهجرة كنت أعرف أن الناس فى شمال أمريكا يفقدون أسنانهم بعد سن الخامسة والعشرين برغم العناية بها .

كلما ازدادت المدنية ، هبطت الأسنان وتساقطت . الأكل السريع والمسلوق ، والعلب السهلة وقت الظهر . كل هذا لا يعطى الأسنان مناعتها . هذا الفهم لعلاقة الكنديين بطبيب الأسنان حفزنى للسفر والهجرة والدراسة الشاقة من جديد .

وهكذا وجدت نفسى «مت سماء . إبلاد الثلج والأهوال » !

بدايتى الصفر !

« اسمى نادية تادرس . تخرجت فى كلية طب قصر العينى . وسافرت مع زوجى إلى إنجلترا فى بعثة . ومن إنجلترا قررنا الهجرة إلى كندا . منذ اليوم الأول لوصولنا إلى كندا ، كان لا بد أن نلتحق بكلية الطب ، وندرس "الخبرة الكندية" . خلال ثلاثة أعوام كنت أعمل فى مهنة صغيرة لا تذكر . كان العمل شاقاً . كل يوم من السادسة صباحاً حتى الرابعة بعد الظهر . كنت أحلم باليوم الذى أتخرج فيه فى كلية الطب الكندية . هذا "الهدف" جعلنى أهون على نفسى أى عذاب وأى مشاق ، لقد كنت حديث الصحف الكندية مدة شهر كامل . . فقد اكتشفت "فيروساً" خاصاً يصيب الأطفال . . ويقتلهم خلال ساعات !

فى المستشفى الذى أعمل به . كانت الحالة : طفلا يشكو البرد . . بعد الكشف عليه أدركت أن الطفل لا يشكو البرد . لكن هناك "فيروس" أصابه . أصابتنى حيرة شديدة فى معرفة طبيعة هذه الجرثومة . كان الطفل يبكى ويتشنج ، وعمره لم يتعد عشرين شهراً . جاء أخصائى جراحة مخ ليقول كلمة . قال هذا نزيف مفاجئ ! مات الطفل فى اليوم الثالث . . أرسلت الجثة إلى المشرحة . ولكنى لم أنم اقررت تشريح الجثة . . وسألنى الطبيب الفرنسى « بتزلوف » : لماذا تريدين تشريح الجثة ؟

قلت : عندى شك لم يتأكد بعد . قال بسماحة صدر :



المرأة الكندية لا تعرف الخمول !

استمرى فى أبحاثك . . وجمعت ٥٠٠ شريحة من جثة الطفل حتى عثرت على "الفيروس" وصورته . وتأكدت من وجوده . . إن جرثومته تنتقل من روث الكلاب إلى الأطفال . فتتسرب إلى المخ . . وتؤدى إلى نزيف قاتل !

قالت صحف كندا "هذه هى الحالة الوحيدة فى كندا . التى اكتشفتها الطبيبة المصرية" . . كنت قد نبهت إلى عمل بحث عن الكلاب فى كندا لنعرف مدى إصابة الكلاب بهذا الفيروس . وجدنا أن ٨٠ ٪ من الكلاب مصابة بهذه الديدان . اهتمت كندا بالقضية وظهر على شاشة التليفزيون طبيب بيطرى كبير . قال "إن بحث الطبيبة المصرية نادية ما يكل (زوجة بشرى ميخائيل وهو طبيب) أضاف لنا الكثير" . أحس بسعادة . أفخر بأنى مصرية . رنين كلمة مصر فى أذنى كأحلى نغم . البحث المخلص لا يضيع .

هناك أشياء صغيرة لا بد أن أذكرها لك . مادمت تكتب قصتى لقرائك :

١ ــ الطبيب المشرف لم يسخر من رغبتى فى البحث . بالعكس عرض تقديم كل معونة لى . !

٢ ــ عندما كنت أسهر الليالى لأكمل بحثى ، كانت ابتسامة التشجيع من زملائى تدفعنى لمواصلة الجهد بلا كلل .

٣ ــ عندما ظهرت نتيجة البحث فرحوا واحتفلوا بنجاحى حتى بكيت من الفرح .

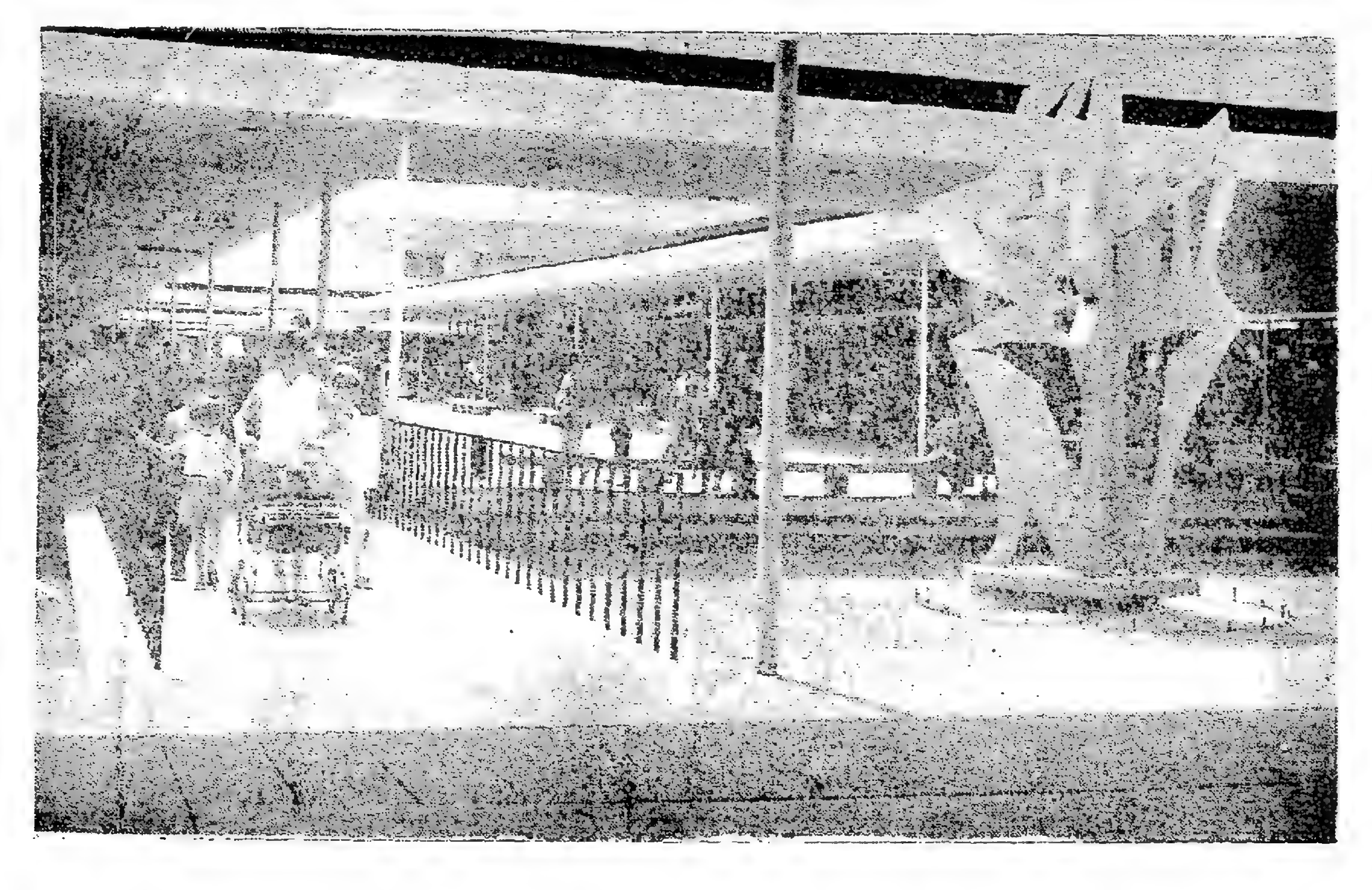
٤ ـ عندما طلبت إحدى الصحف الكندية أن تكتب عن البحث، قدمنى رئيسى للمحرر، وقال إنه يفخر بوجودى فى المستشفى ولم يزج باسمه فى المقال!

هذه تجربتى المتواضعة إذا كنت تعدنى مهاجرة ناجحة».

تكاتفنا معاً

«اسمى فوزى سيداروس التحقت بشركة أدوية . . مجرد موظف صغير، وظللت أعمل وأتفانى، حتى أصبحت الآن بعد ٤ سنوات مراجعاً للحسابات لكل فروع الشركة المترامية من فان كوفر إلى سان جونس. تسألنى ما سر نجاحى؟ أقول لك: صبرت وصبرت حتى نلت. إننى أقيم تمثالا للصبر.

هذه نقطة. والنقطة التالية أن البداية الصغيرة لم تزعجنى. بالعكس . . لقد كانت جسرى للعمل الذى أحلم به. إن تجربتى هنا فى كندا ـ أنا وزوجتى ـ ربطت بيننا عمقاً لا حدود له. لقد جعلتنا الحياة القاسية فى كندا نعيد النظر فى "حساباتنا"، لا بد للمهاجر من بعض «المرمطة» حتى يدعم نفسه. هذا ثمن النجاح . . تسألنى كيف استقبلت قسوة الجو. كان الشتاء الأول هو الامتحان الذى اجتزناه بنجاح. لا بأس من السقوط مرات فوق الثلج، لا بأس من نزلات البرد الحادة. لا بد من تجمد أطرافنا. لا بأس من حادثة بالسيارة. لكن الله ستر. هذا كله لم يفت فى عضدى . . إن عبور أى حاجز



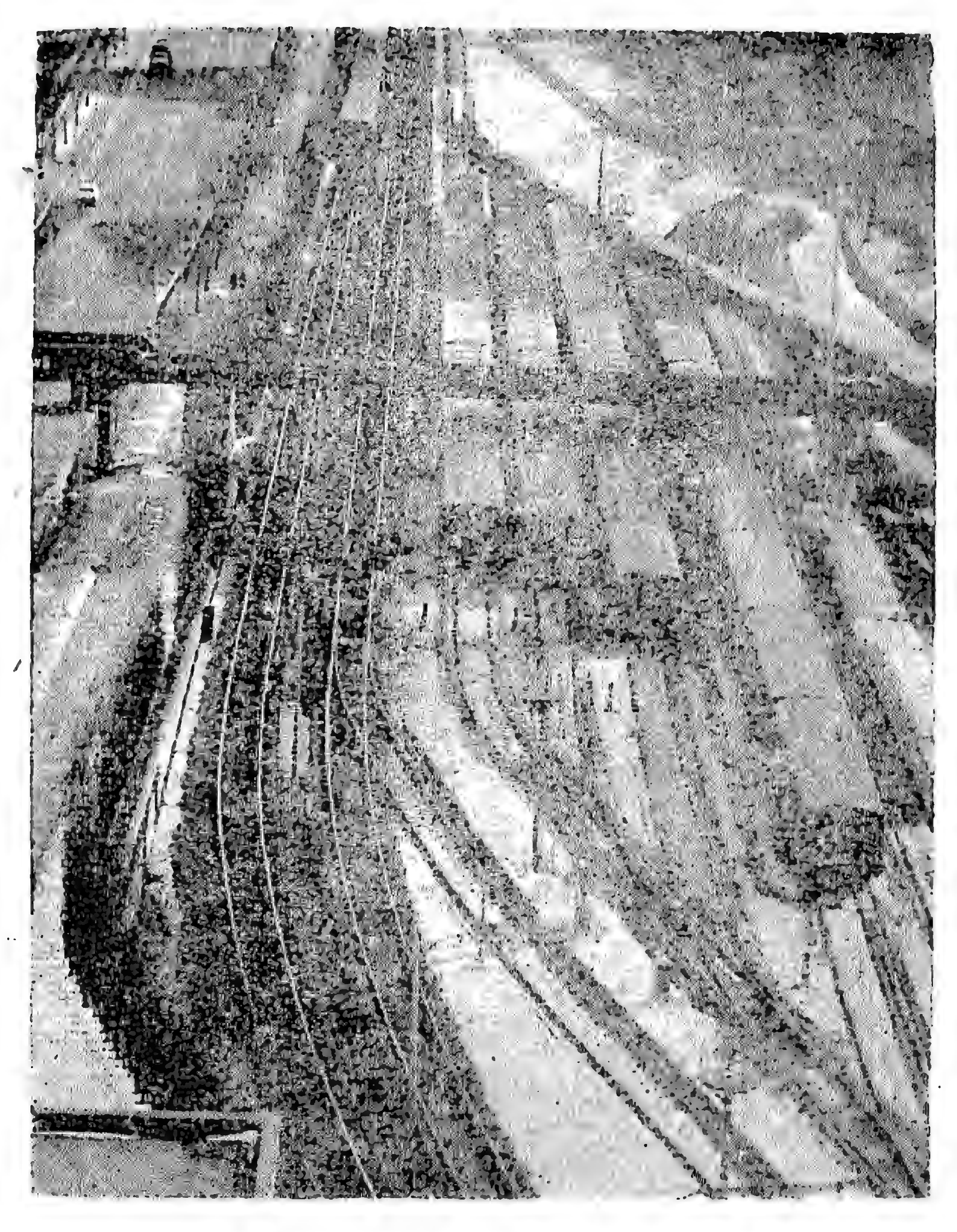
الطفل فى كندا له احترام .. له مكان .. يفكر فيه الكبار .. إنه ابن كندا القادم ..

ضرورى للمهاجر . إن الهجرة ليست "فسحة صيد" .. إنها تجربة شاقة . وتكاتفنا أنا ونادية ، ونجحنا ، وهذه الابتسامة التى تلمحها الآن انتزعناها من وسط العلقم » !

اللغات رصيدى

« اسمى أحمد خلف . كل موهبتى تتلخص فى أنى أعرف ثلاث لغات أجنبية جيداً : الإنجليزية والفرنسية والألمانية. وأصارحك أنى لم أتعب كثيراً منذ اليوم الأول لوصولى إلى كندا ، وجدت عملا يقتضى إجادة اللغة الفرنسية . وكان هذا العمل يبدأ فى السادسة صباحاً حتى الثانية عشرة ظهراً .

وقررت أن أستفيد من بقية الوقت فعرضت خدماتى على محطة بنزين . فوافقوا . كانوا محتاجين إلى شاب يجيد الإنجليزية ونجحت فى العمل . وكنت طماعاً . لقد أردت الاستفادة من اللغة الألمانية . فقدمت طلباً فى مطعم ألمانى لا يتعامل إلا مع الألمان . . وقبلونى ، وصرت أقضى السهرة فى المطعم الألمانى « بمونتريال » . إننى أكسب كثيراً . . . وهأنذا قد اشتريت بيتاً ، وسيارة . وسأتزوج من فتاة فرنسية . وأنا فى الواقع ، إذا كنت ناجحاً ، فنجاحى سره إجادتى اللغات الأجنبية . بعد ذلك فأنا تكيفت مع كندا . لم أرتكب مخالفة سيارة حتى الآن . لم أدفع دولاراً واحداً غرامة . وأنا سعيد بنجاحى وأفضل أن أسميه " كفاحى " !



انفاق تحت الأرض ، وقطارات تتحرك بالثانية .

وبعد . .

فإن عندى — بعد هذه الأمثلة — عشر وصايا متواضعة لمن يفكر فى الهجرة :

أولا : لاتفكر فى الهجرة ، لمجرد أنك تعبت فى مصر ماديًّا . فالهجرة لا تحل مشاكلك المادية كما تتصور ، بل بالعكس إنها تحملك فوق طاقتك !

ثانياً : إذا كنت ناجحاً فى عملك هنا فحاول أن تتمسك بهذا النجاح، ولا تفكر فى الهجرة إلا إذا كان لك أقارب يدعمون نجاحك هناك !

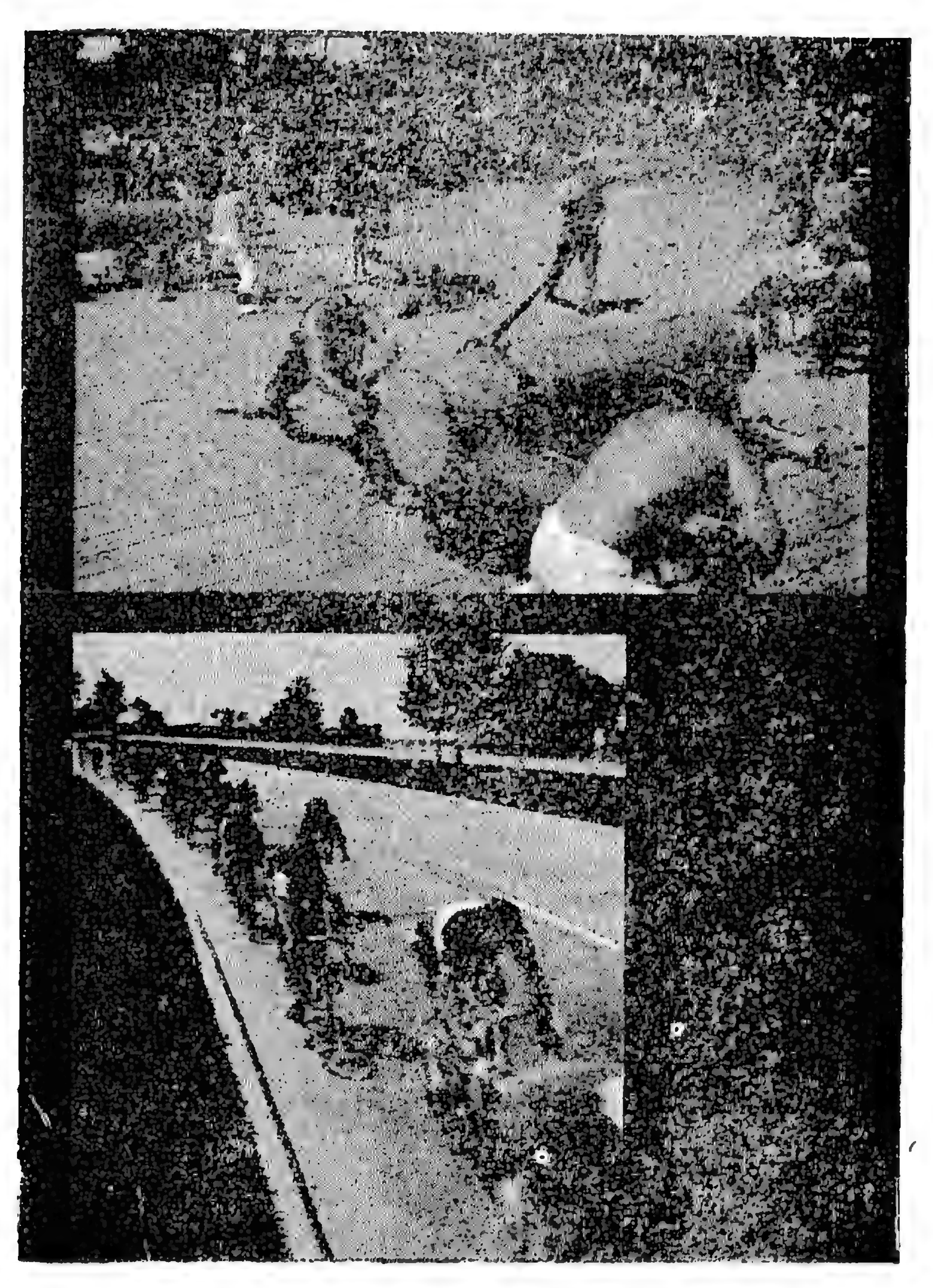
ثالثاً : كندا بلاد شابة . وتريد الأيدى الصناعية . صاحب الشهادة الجامعية يجب أن يتردد قليلا . صاحب المهنة حظه أوفر .

رابعاً : ادرس ظروفك قبل السفر، هل أنت قادر على الابتعاد عن أسرتك طويلا ؟ ألا تعطلك مشاعر الحنين للأهل ؟

خامساً : حاول أن تعرف أكبر قدر من المعلومات عن المجتمع الجديد الذى لن تزوره كسائح ؛ ولكن كإنسان سيعيش تحت سمائه .

سادساً: تأقلم على الحياة الكندية، لا تشك من الجو . لا تشك من صرامة القوانين . لا تشك من الآلية !

سابعاً : ابدأ من الصفر . ابدأ من الصفر . ابدأ من الصفر ، هذه نصيحة مهاجر مصرى نجح ، ونجاحه حديث كل الجاليات العربية الأخرى .



الرياضة .. فى الربيع فقط ، قبل العواصف الثلجية !!

ثامناً : لا تصطدم بالقانون الكندى، حاول التكيف معه . تصور نفسك بلا تاريخ . لا تتعال على المهن الصغيرة . فهى دائماً نقطة البداية فى مشوار النجاح .

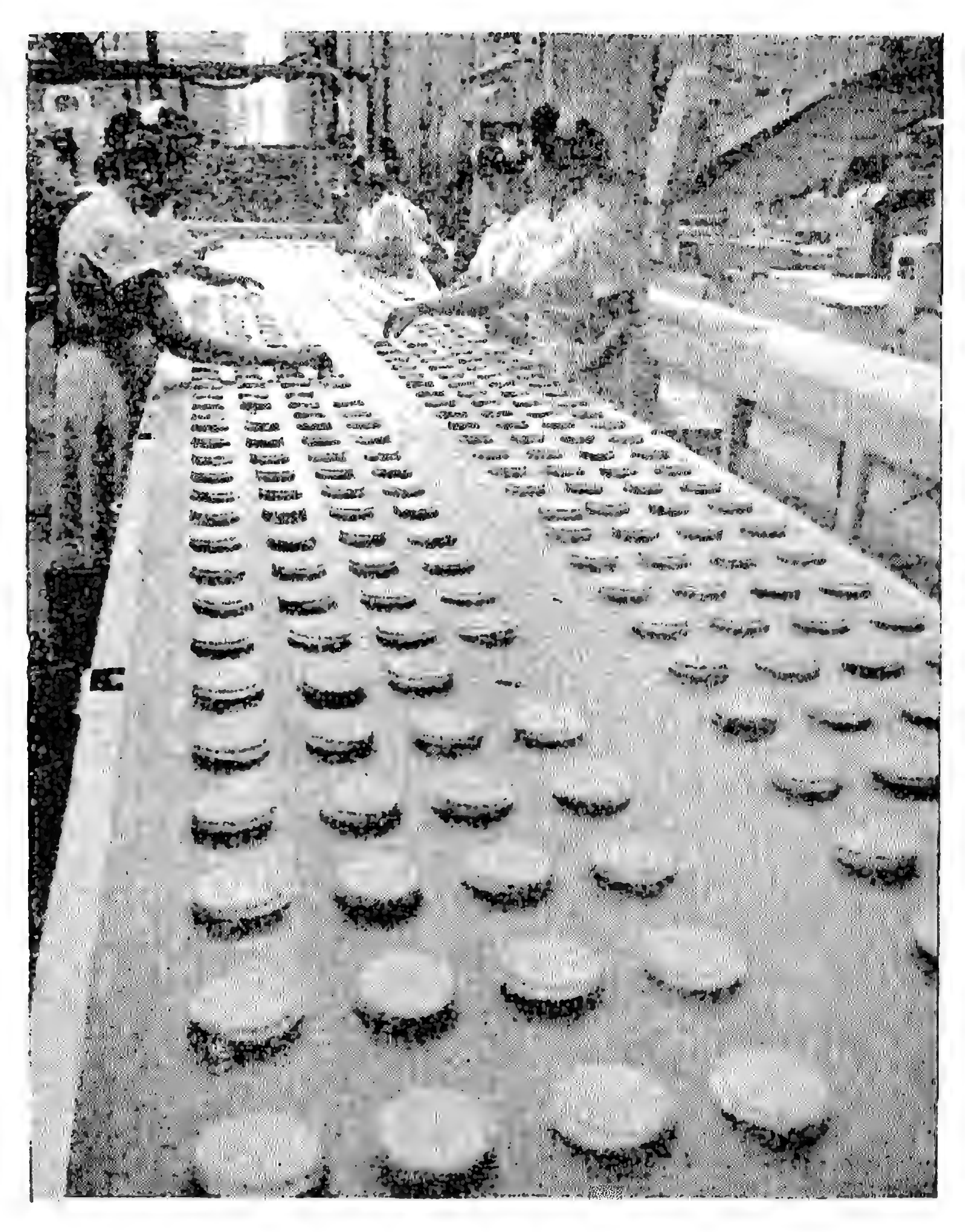
تاسعاً : إذا كان لك أولاد ، فلا تنس أن نظام التعليم الكندى مختلف عن النظام المصرى، ولا بد من « قبول » الحريات المخيفة بالعقل المجرد .

عاشراً : الهجرة تجربة . نجاحها متوقف عليك . على استعدادك النفسى، على إجادتك اللغة . على طموحك ومثابرتك، وصبرك ، وعدم يأسك .

وأتمنى لك إقامة طيبة فى كندا !

لمعلوماتك

- نظام الحكم فى كندا نظام برلمانى مكون من ملكة ومجلس الشيوخ ومجلس العموم .
- الملكة إليزابيث الثانية — ملكة المملكة المتحدة — هى نفسها ملكة كندا وأستراليا ونيوزيلاندا ، ويمثلها فى كندا الحاكم العام الذى تعينه بناء على توصيات رئيس الوزراء لمدة خمس سنوات .



الخبز ، كل أنواع الخبز ، على المائدة الكندية . هذا البسكوت الفرنسى ، للفرنسيين المهاجرين إلى كندا .

الفصل التاسع

الأسود خرجت من الأقفاص !

« غدا موعدنا فى العاشرة ، لنقضى فى الغابة يوماً مع « الأسود » !

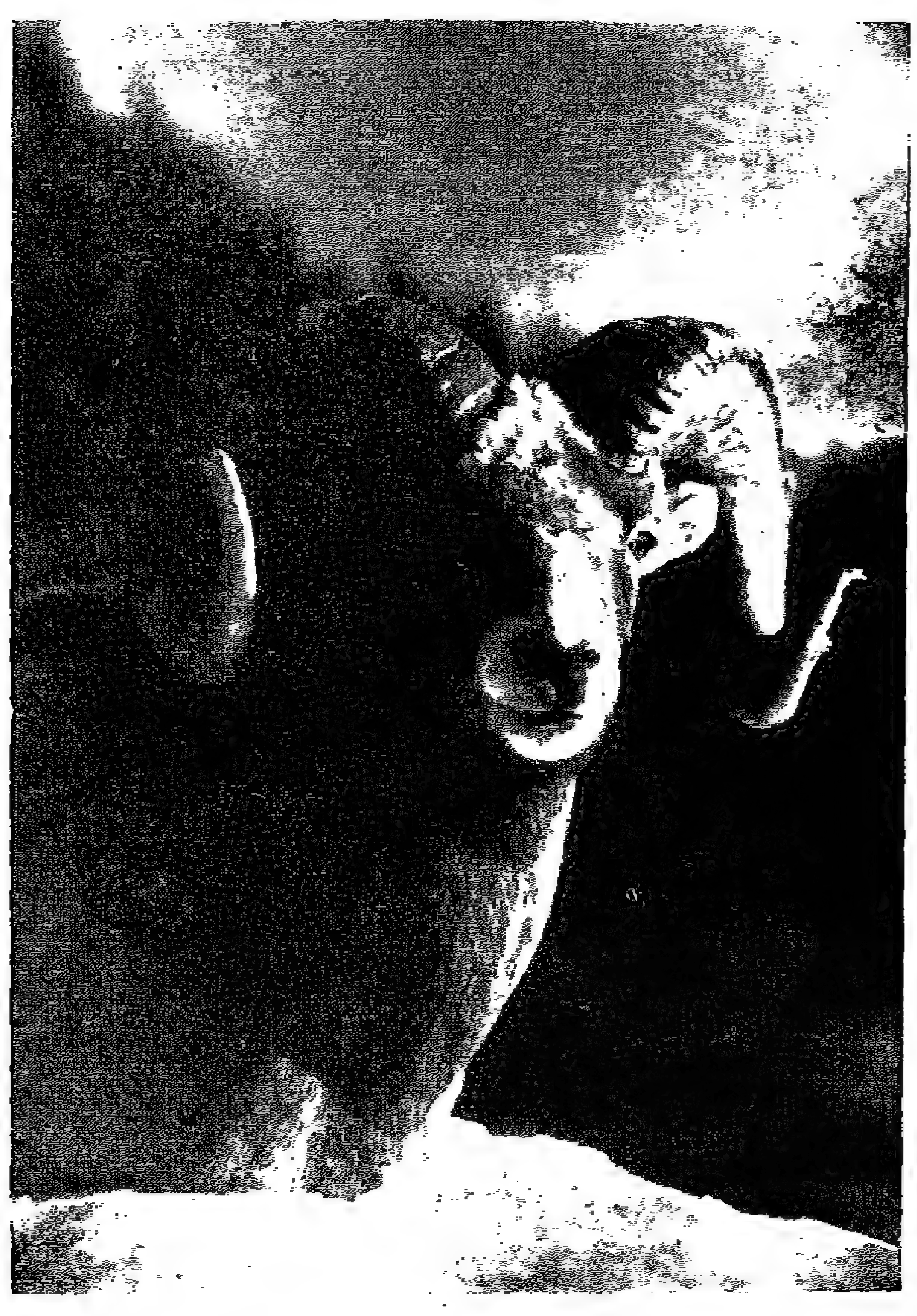
١

لا أدرى بالضبط . ماسر هذه المشاعر الغريبة التى تستولى علىّ فى تلك اللحظات .

إننى أحاول كثيراً أن أحللها ولكنى أخفق .

لا أحد سوى طبيب نفسى يستطيع أن يعرف حقيقتها !

أنا – مثلا – لا أحب ارتياد السيرك كثيراً ، وبخاصة إذا كانت الحيوانات تؤدى أغلب الأدوار . لقد رأيت السيرك العالمى الألمانى فى ميونخ منذ سنوات . خمس مرات على مدى شهر ، لأنه يخلو تماماً من الحيوانات ويعطى فرصة للبهلوانات الطائرة . الماهرة . حينما أشاهد الحيوانات يسيطر علىّ إحساس قوى أن أحدها سوف يحطم القفص ويهجم على عنق واحد . ربما عنقى بالذات ! ولا أذكر أنى توقفت كثيراً عند بيت الأسود أو النمور فى حديقة الحيوانات بالجيزة . بنفس الإحساس الغريب الذى يداهمنى ويفسد متعتى ، أتصور أن مدرب الأسود اقتطع لنفسه كمية من اللحوم المقدمة للأسود فهاج أحدها وماج ،



الحيوانات فى كندا أنواع وأشكال .. لقد تحالفت مع الجليد ..

وكسر القفص . وخرج ينتقم .

وبرغم هذا كله ، فقد قبلت اقتراحاً فى كندا ، بالذهاب إلى « غابة » صغيرة تعيش فيها الأسود طليقة حرة ، بلا أقفاص !

وحاولت أن أستدرج مرافقنا ، صاحب الاقتراح ، لأعرف أكبر قدر من المعلومات عن هذه « الغابة » ، ربما عن فضول، وأغلب الظن أنه عن خوف .

ودق قلبي بشدة ! وسألته : هل من الضرورى أن نذهب . كان صوتى وقتئذ ، كتلميذ خائب يهرب من واجبه المدرسى . أجاب مرافقنا :

غداً موعدنا فى العاشرة صباحاً ، لنرى الغابة ، ونقضى يوماً مع « الأسود » الطليقة !

٢

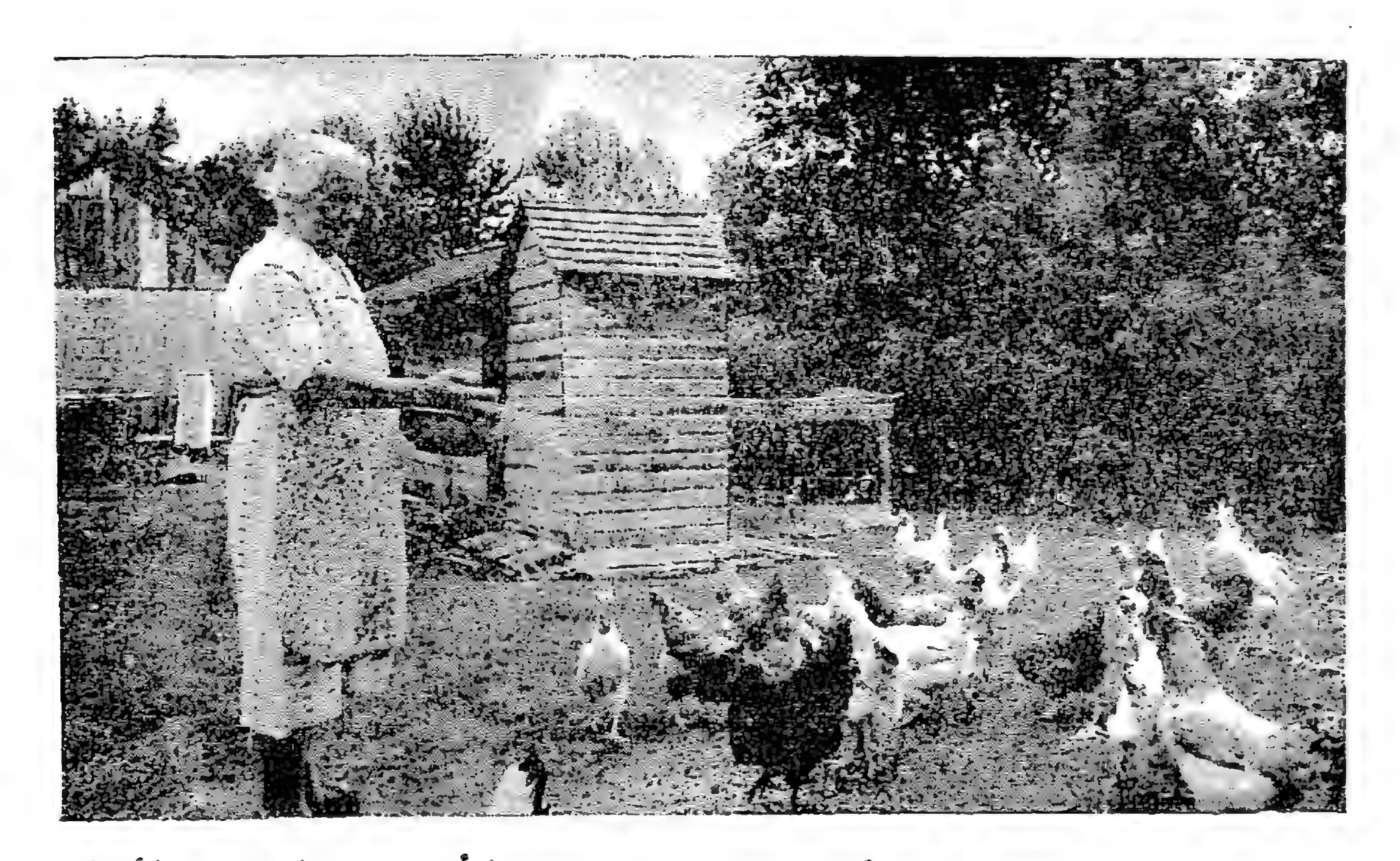
من مدينة « كتشنر أونتاريو » . تحركت سيارتنا وسرنا فى طريق طويل متعرج يتلوى أحياناً . وأنا أكثر الخمسة رغبة فى الوصول ومواجهة التجربة !

كان الحديث فى السيارة عن « التأمينات »، وكيف أن فلاناً حصل على مبلغ كبير بعد حريق بيته، وكيف أنه بدأ مشروعاً يدر عليه مائة دولار فى اليوم . (ملحوظة اعتراضية) : « الحديث عن التأمين ، والحصول على مبالغ باهظة نتيجة إصابة أو حادث أو حريق ، هو

الموضوع المفضل لدى المهاجرين المصريين بالذات » . كنت أفكر فى « ليلوش » أسطورة السينما الفرنسية ، وجدت نفسى أحلل « ليلوش » . إنه صحفى ومصور سينمائى و. . مخرج ! إن الجزء التسجيلى المذاب فى كل رواية من رواياته هو من إملاء « الصحفى » فيه . لقد بدأ « ليلوش » حياته بفيلم تسجيلى عن دورة طوكيو الأولمبية . لم يهتم بالألعاب نفسها . اهتم بالهزيمة والنصر على الوجوه ، وفى فيلمه رجل وامرأة ، قدم فيلماً تسجيلياً عن سباق السيارات عالمه المثير ، وحوادثه الأكثر إثارة . وفى فيلمه « الحياة للحياة » اصطحبنا إلى الأدغال ، ودنيا المرتزقة . وفى فيلمه « الحياة الحب الموت » أدخلنا برغم أنوفنا ، عتبة المشنقة . وشنقنا بالانتظار ، انتظار إعدام إنسان . وأفقت فجأة . لماذا أفكر فى « ليلوش » الآن . ربما لأنى ذاهب إلى « دراما تسجيلية » تستهوى فناناً مثله ! أسود طليقة بلا أقفاص . أية إثارة أكثر من هذا ؟ ! كان الرفاق المهاجرون لا يزالون يتحدثون عن فرص التأمين العظيمة ، على حين كنت أنا فى « واد » آخر ! . . ووصلنا . .

٣

فى رأيى دائماً أن المدينة هى البشر ، والنزهة هى الصحبة . وأجمل ما فى الطريق هو الرفيق . وأحفظ عن ظهر قلب مثلا عامياً يقول « جنة من غير ناس ماتنداس » .



فى كل بيت هادئ تقف ربة البيت ، تنثر القمح للطيور. هذه الصورة تجعلنى أحس بالريف المصرى ساعة الأصيل

كان لا بد أن أختار من الرفاق الخمسة « واحداً » أتفاهم معه ويبادلني مشاعري . ويكون مستعداً للحديث معي فى شيء غير التأمينات ! ـ كان لا بد أن أتقاسم أنا وواحد منهم الحوار الصامت وهذا أضعف الإيمان . ووجدته ، إنه شاب يدرس التصوير فى كندا . اسمه فاروق آذار ! إنه قادم معنا لكى يلتقط فيلماً كاملا لوجه الأسد . يريد أن يقترب منه كلية ويصوب عدساته فى عينى الأسد ! إن فاروق آذار فنان حساس . إن حديثاً عن الفن جمعنا ، وعزله فجأة عن موضوع التأمينات . إنه يقول لى إن الكاميرا هى « بندقية » المصور ، إنه يسددها فى المرى دائماً .

إذن ، ها هو ذا رفيقى فى التجربة !

نحن الآن أمام بوابة « الغابة »، صاحب الاقتراح يدفع ٥ دولارات ويحصل على بطاقة دخول وإعلان صغير المفروض أن نلصقه على زجاج السيارة الأمامى !

كنت أجلس فى المقعد الأمامى، باعتبارى ضيفاً، فقمت بعملية اللصق، حرصت — ولست أدرى لماذا — على قراءة السطور التى تطل من الاعلان .

توترت ، وأخفيت توترى بمهارة لاعب البوكر !

٤

قرأت التعليمات التى توجهها إدارة الغابة للرواد :

١ ــ منذ اللحظة الأولى أغلق زجاج سيارتك فوراً .

٢ ــ لا تشاغب الحيوانات ، فالأمر خطير ــ غير مأمون .

٣ ــ لا تطعم الحيوانات ، الغابة تتكفل بهذه المهمة .

٤ ــ لا تفتح زجاج السيارة حتى تجد لافتة تدعوك لهذا .

٥ ــ لا تستخدم عدسات تصوير لها فلاش .

٦ ــ لا توقظ أى حيوان من النوم . إيقاظه يكلفك حياتك .

٧ ــ لا تستخدم الكلاكسات ، لأنها تزعج سكان الغابة .

٨ ــ لا تغادر السيارة بأى حال مهما كانت الظروف .

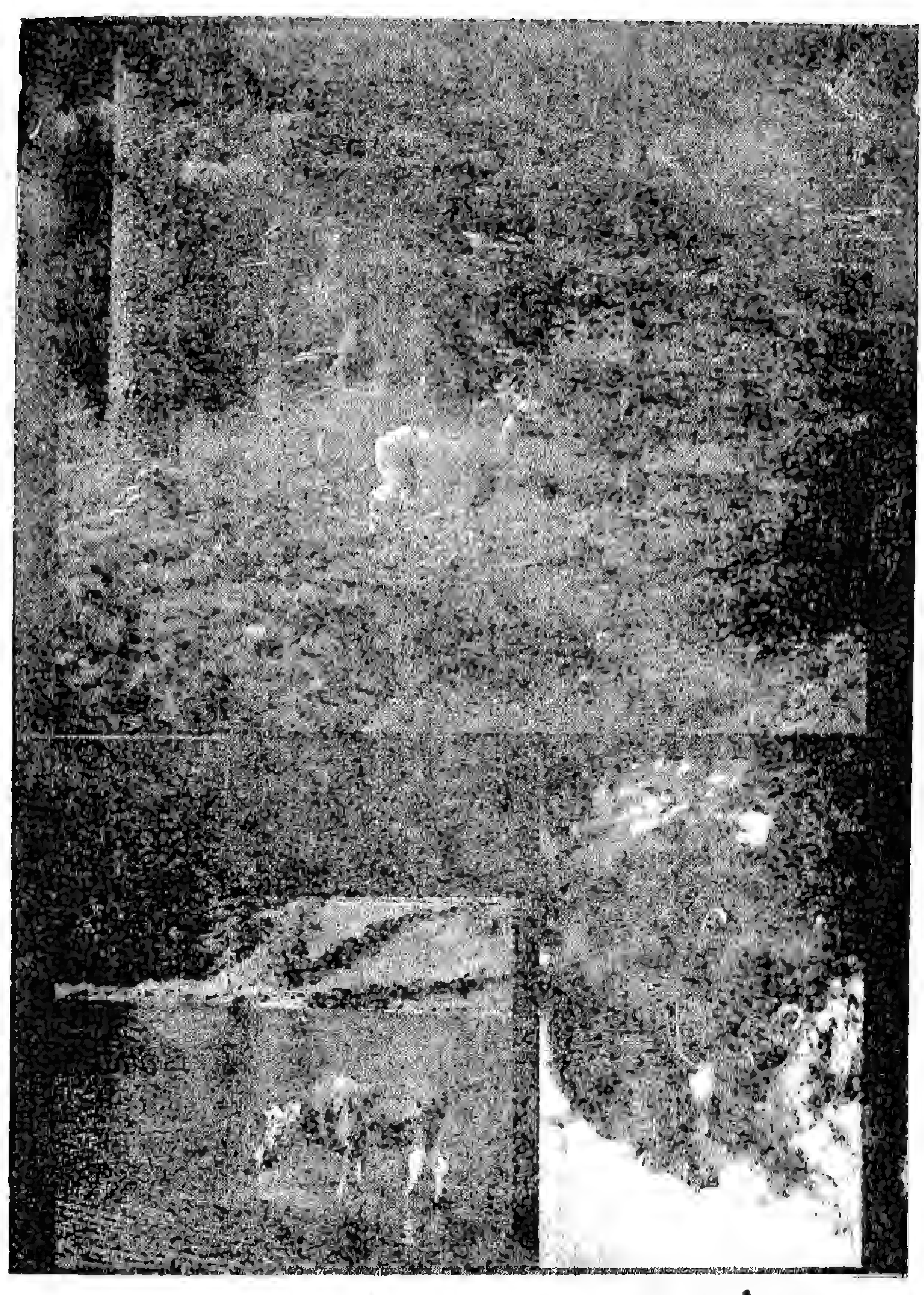
٩ ــ راقب جيداً حركة أطفالك .

١٠ ــ نتمنى لك إقامة طيبة .

وهمست لنفسى : إقامة طيبة ؟! بعد كل هذه التعليمات المخيفة سننعم بإقامة طيبة ؟ !

وقررت أن أواجه الأمر ، وليكن مايكون . إن هذه التجربة تكشف عن « قصور » روح المغامرة عندى ! كان « فرانز فانون » يقول : « إن الشجاعة ، هى شجاعة العقل قبل العضلات » .

المشاهد السريعة ، تقطع تأملاتى البطيئة ! دلفنا من باب الغابة



الطبيعة ، أجمل مشهد فى كندا . . إنها جزء من بانوراما الجمال !

ومعنا بطاقة ، وألصقنا الإعلان الذى تتصدره صورة « أسد » .

وقفنا أمام باب حديدى رهيب ، لم أر مثله في حياتى . طوله ١٠ أمتار ولا يوجد بجواره حارس أو بواب . السيارات تقف خلفنا فى طابور طويل ، حاستى الصحفية تعمل . معظم السيارات تحمل أرقاماً قادمة من أمريكا . الأمريكان تأسرهم بشدة هذه المغامرات . العجائز عددهم أكبر من الشبان، الأطفال خلف الزجاج يحملقون بعيونهم البريئة . لو كانت معى ابنتى حنان لفتحت الشباك . لأجرت حواراً مع الحيوانات لا يفهمه سواها !

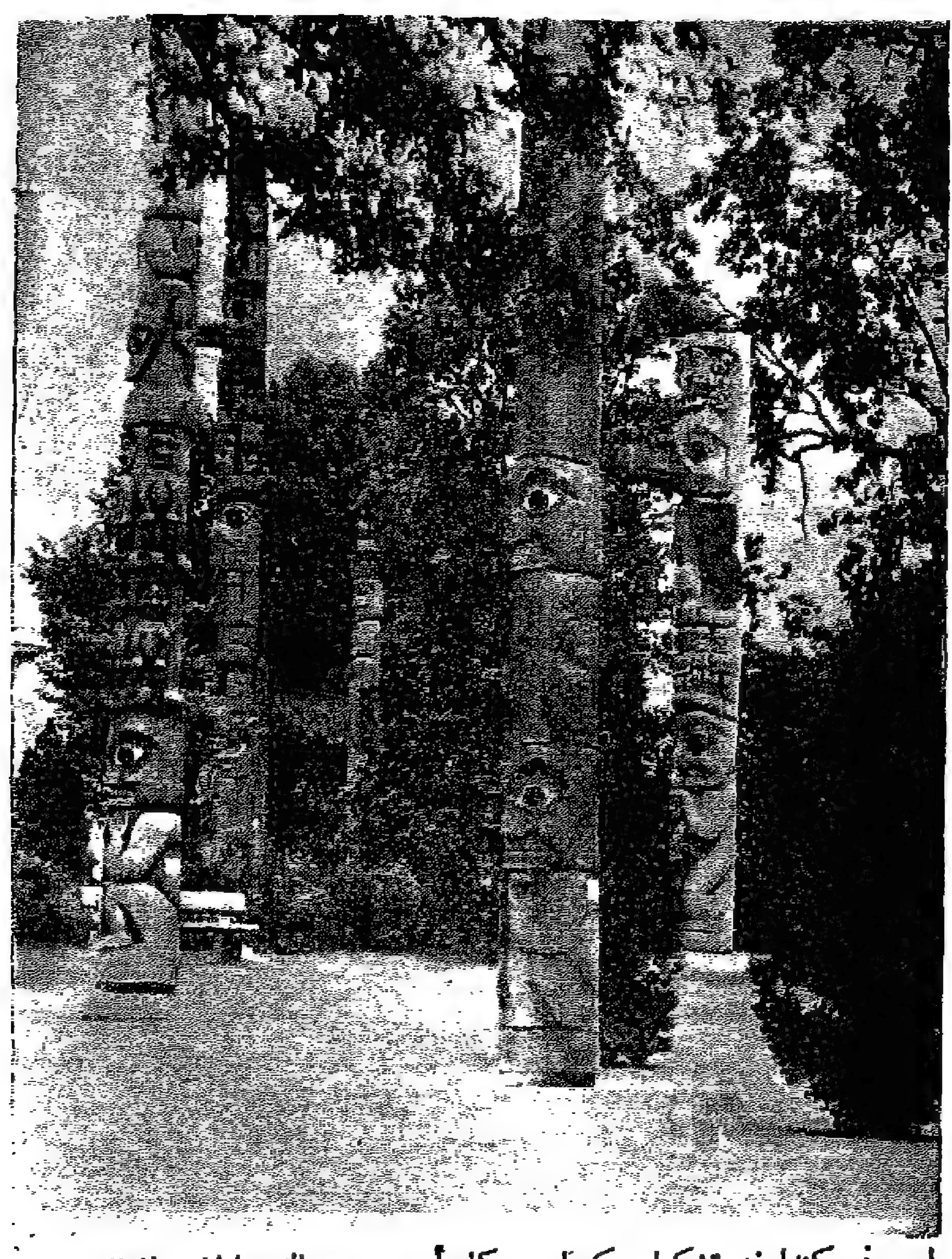
٥

الباب الحديدى انفتح !

تحرك طابور السيارات تقوده أسهم .

فاجأتنا لافتة ضخمة تقول بكل اللغات الممكنة (ماعدا العربية طبعاً) : أغلقوا الشبابيك .

تعودت فى كندا « اللهجة الرقيقة » فى المخاطبة ، لكن هذه اللافتة « تأمر » بإغلاق الزجاج فوراً وبلا إبطاء. إن المسألة لا تحتاج إلى تردد . شعرت أننا مقبلون على تجربة فيها عنصر خطر ! عاودنى الإحساس السيئ الذى سيطر علىّ . ماذا لو هجم أحد أسود الغابة الطليق على سيارتنا . من الممكن أن تعيش الغابة فى سلام طوال العام ، وربما يحدث شىء



ليس فى كندا فن تشكيلى مكتمل .. كما رأيته .. وهناك محاولات للإفلات من سيطرة الفن الأمريكى

مفاجئ ذلك النهار ! طردت الإحساس . انشغلت عنه بالحوار مع فاروق آذار . أخذت بلا مناسبة أسأله عن سر اسم « آذار » . قال لى إنه لا يعرف منبع التسمية ، لقد ولد والتصق الاسم باسمه شأن كل شىء فى حياتنا : الأب والدين والحياة !

نحن الآن فى منطقة الأسود . إن الغابة فسيحة جداً . صاحبها كان صياداً فى الأدغال ، ويقال إنه عقد معاهدة صداقة مع الحيوانات . عمر هذه الغابة خمس سنوات ، تدر يومياً آلاف الدولارات . فيها أسود وفيلة وقرود وزواحف ، وبقر وحشى ونعام وزراف ، لكن أهم فروعها على الإطلاق منطقة الأسود ، ٢١ أسداً تمرح فى الهواء الطلق وليس لها أقفاص .

يتحرك الطابور الطويل ببطء شديد . النوافذ مغلقة . الأبواب مغلقة بإحكام شديد . الجو داخل سيارتنا حار . خانق . لا يطاق !

٦

السيارة اقتربت من الأسود . الأسود بعضها نائم والآخر يحملق فينا . ساد صمت شديد داخل السيارة . اختفى حديث التأمينات تماماً . فى السيارات الأخرى العدسات مصوبة إلى الأسود . نحن على بعد متر واحد من أسدين طليقين . كلما دققت النظر فى عينى أحدهما وجدت عينيه خضراوين ، وشعراً كثيفاً يحيط بكل رأسه . إنى ألمح براءة . لا أجد شراسة ،

يبدو أن قمة الشراسة لا تصدر إلا من العيون البريئة !

الأسد يتمطى. يتثاءب . حين تثاءب، دققت النظر فى أنيابه . إنها ليست مخيفة . إنها الخوف نفسه . تمنيت لو أرى صاحب الغابة. إنه شخصية فريدة . فى يدى كتيب صغير يحمل رسالة منه إلينا ، نحن رواد غابته ! يقول فى الرسالة « إن الحيوانات محبة للسلام ، بيد أن الإنسان خاصم السلام . إن الأسد أشد الحيوانات شراسة ، بلا قفص مسجون داخله ، لا يؤذى أحداً ، ولكنه افترس رجلا شاغبه بعصا ، إن الأسود ملوك الغابات لأنها تملك القوة ولا تستخدمها . لقد علمنى الصيد أشياء كثيرة . أهمها أن الإنسان — فى عالمنا — أشد شراسة من الحيوانات ، إن الحيوان يستخدم أنيابه الظاهرية ، أما الإنسان فأنيابه ليست مرئية !

فجأة ، قام أسد وجرى بسرعة ، لا أدرى لماذا ؟

تحركت واحدة من السيارات المصفحة الرهيبة المتناثرة فى الغابة . تحركت صوب الأسد واستعدت !

فى كل سيارة أسلحة ، وجهاز لاسلكى ، وبوق نداء ورجل مجهز مدرب مستعد ، يملك قدراً من المغامرة يوزع على مدينة بأسرها . من حين لآخر ، يصيح فى البوق : ممنوع الشغب مع الحيوانات . راقبها بهدوء من وراء الزجاج . نرجوك !



الملكة فى مباريات الهوكى . . أشهر رياضة فى كندا

٧

حين لمح الأسد السيارة المصفحة التى يميزها لونها ، عاد إلى قواعده فى بطء وكبرياء ! أردت أن أفتح النافذة بدون أن يشعر أحد — رغبة طفولية والسلام — كنت أبحث عن نسمة هواء . مجرد نسمة فالجو صار فرناً ، والشمس تحرقنا وحركة السيارات لا تسمح بأية سرعة ، إن السيارات تقف ، نتأمل حياة ملوك الغابة . إن المتعة أننى أرى الأسد يتحرك أمامى بحرية . إنه قادر على الصمت ساعات . رجل السيارة المصفحة يعلن فى البوق « الأسود هادئة . لا نريد إزعاجها ، لا تستخدم الفلاش . لا تلق بأى شىء للأسود . الأطفال ممنوعون من فتح الشبابيك ، قد تدمر الأسود كل طابور السيارات بمن فيه لو أرادت ذلك . هذه الأسود ، حيوانات شرسة . ليست " ديكور " . إنها وديعة مادمت وديعاً ! » .

عقب كل عبارة ، كان قلبى يدق وعيناى تستقران . مرة على التعليمات الملصقة فى الزجاج أمامى ، ومرة على الأسد وهو يغط فى النوم . مرة على السيارة المصفحة . مرة على عدسة فاروق وهى تحاول أن تضبط تثاؤب الملك ! .

إن الأسد ، حنون جداً ، إنه يعامل « اللبؤة » بحنان شديد . إنها تتمسح فيه ، وهو يخلى لها المكان ، يهدهدها ، يمسح رأسها

(٦)



الأوتوبيس فى مقاطعات كندا متعة ، لقد كنت أركب الأتوبيس لأصافح الطبيعة بعينى ، إن المساحات الشاسعة تريح العين ، وتملأ النفس بهجة !

بكفه . وعندما فرت هاربة من بين يديه ، ظل فى أرضه بكبرياء شديد ينتظر عودتها . .فعادت وتمرغت أمامه كأنها تعتذر !

إن الأسود يعامل بعضها بعضاً بوداعة غريبة ، إن غزل الأسود بالذيول ! إن الأسد يستخدم ذيله فى العبث فى وجه أسد آخر ! والأسد يسلى نفسه بتنظيف مخالب قدميه . وحين ينام يغلق عينيه ويفتح فكه بانفراجة صغيرة ، لا تخفى الأنياب !

٨

فى أثناء هذا التأمل الفاحص الطويل ، هبت الأسود واقتربت من السيارات . . و . . . وشعرت أن أسنانى تصطك .

لا بد أن شيئاً أزعج الملوك والقياصرة فى غابتهم الفسيحة . إنها قادمة لتدمير السيارات بمن فيها .

ما أغربها من ميتة !

ومرت ثوان كأنها دهور . .

وسمعنا الأبواق تصيح . .

« الكاميرات تختفى فوراً . إن صوت بعض الكاميرات ، يبدو للأسود كأنه سلاح للهجوم عليها ! .. السيارات تسير .. بنفس البطء . لا أحد يعلق على النداء . تبادلنا النظرات . الأسود تسير هى الأخرى فى طابور . أكبر الأسود حجماً يمشى فى المقدمة !



حيوان يسكن المناطق القطبية ، ويختفى فى الشتاء ، وحين يأتى الدفء
يظهر ويتجول فى خيلاء !

أصبحت جميعها فى شبه حلقة مستديرة ، كأن أحدها سيدير ندوة ! الأطفال فى السيارات الخلفية تصيح مهللة . . العجائز صامتون . البعض يأكل .

فى بحر من العرق كنا نستحم !

فجأة ، وكنا قد ابتعدنا عن الأسود ، وتركناها فى دنياها ، فاجأتنا لافتة : تستطيع أن تفتح شباك سيارتك الآن ! تنفسنا الصعداء .

٩

بى رغبة شديدة أن أشرب . . بى رغبة شديدة أن أرتمى على النجيل الأخضر . . بى رغبة شديدة أن أنام . . بى رغبة شديدة أن أريح أعصابى من توتر دام ساعات . . كنا فيها نتنزه مع أسود طليقة ، وقد اكتشفت أن الأسود كانت « تتفرج » على آدميين ، محبوسين فى أقفاص ، أشبه بالسيارات ، وهى بالفعل سيارات !

الفصل العاشر

عارية يوم الأحد

« كندا تخلع ملابسها يوم الأحد

وتستحم عارية فى الراحة ! »

لا أسرار على القارئ ! ولا سر مهنة يحيط الكاتب بالألغاز! واسمحوا لى إذن أن أنقل لكم « مسودات » رسائل ، كتبتها لبعض أصدقائى . فبعد السلامات والطيبات والأشواق الزائدة سجلت رأيى فى سطور عن « يوم الأحد على الطريقة الكندية » حيث تتحرر كندا من هموم ٤٠ ساعة عمل متواصلة !

١

عزيزى الدكتور سيد عويس

المستشار بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية

أكتب لك من كندا ، ومهما كان فى هذا المجتمع من سلبيات ، ومهما كان فيه من آلية ، فهناك قيمة هامة وقفت عندها بإعجاب وودت لو أننا — فى مصر — تأملناها ملياً . إنهم هنا يعملون . يعملون ٤٠ ساعة كل أسبوع . اليوم ٨ ساعات جادة . نصف ساعة فى العاشرة



يوم الأحد تخرج كندا عارية !

للشاى والقهوة . وساعة وسط النهار للغداء . وحين يأتى يوم السبت يستعدون لحياة اللهو. يقضون السبت والأحد فى لهو جاد . وحينما أقول لك فى لهو جاد . . لا أمزح. إنهم فى كندا يتحررون من القيود. من الملابس . من كل شىء . فى فصل الصيف يخرجون إلى الحدائق .لقد بنت الدولة أرائك خاصة وموائد خشبية تغرى بقضاء اليوم وسط الطبيعة والخضرة، إن حدائق كندا لوحات سيريالية خرافية . والحدائق تقع على شواطئ البحيرات . لا أحد يبحلق فى الآخر . لا أحد يرمى فضلات على الحشائش . هناك احترام لحرية الآخرين . للأطفال مكان فى كل حديقة . الأراجيح يحرسها مشرف حنون يعمل بحب بلا « بقشيش » . دورات المياه نظيفة . لقد حرصت خلال الأسابيع التى قضيتها فى كندا أن أقضى « الويك إند » خارج المدينة . قضيته مرة فى حدائق « ترونتو» الشهيرة ، ومرة فى « نياجرا فولز » ومرة فى « حدائق مونتريال الجميلة » . وفى كل مرة كنت أشعر أن كندا بأسرها تخلع ملابسها وتستحم عارية ! إن كندا فى أيام السبت والأحد تتخلص من متاعبها طوال الأسبوع وتستحم فى بحر من الراحة لا مثيل له !

قال لى رئيس تحرير « أتواستار » : « إن الحكومة الكندية تبالغ فى الاهتمام بوسائل الترفيه عن الكنديين ، لأنها فى الواقع تجنى الثمار فى العمل » ! إذن فهناك فلسفة تحكم المسألة وليست عفوية .

عزيزى الدكتور سيد ، أكتب لك هذا الخطاب . وأتذكر أيام الجمعة عندنا . وكيف أنها أيام النكد فى حياة الأسرة المصرية .



الإنسان والكلاب .. صداقة عميقة بلا شروط !

كيف أن الناس صباح الجمعة تصحو متأخرة من النوم لأنها « إجازة » ، وكيف يتحول البيت المصرى بفضل وجود الديكتاتور إلى غم عظيم . وكيف أننا « نلهو » فى العمل ، وليس عندنا ضوابط ذاتية لاحترام العمل كقيمة . ولكن يبدو أن السبب أننا فى مصر لا نعمل ما نحب وهذا سر اللهو فى العمل . أما عن مرحنا الماسخ ، فحدث ولا حرج . . تحياتى لك .

٢

عزيزى كمال الملاخ — الأهرام .

كندا — كما سبق أن ذكرت لك — بلاد شابة احتفلت عام ١٩٦٧ بمرور مائة عام على إنشائها . وعند الكنديين رغبة فى تأصيل تاريخهم ، إنهم — كالأمريكان — مهووسون بكل قديم ! وأراهن أنك لو جئت إلى هنا وحدثتهم عن تاريخ الفراعنة وحكاياتهم بطريقتك الفريدة ، لأنصتوا لك ساعات بل أياماً كاملة بلا ملل ! أكتب لك من قرية قديمة تقع فى أطراف مدينة صناعية صغيرة هى « كتشنر أونتاريو» . يوم الأحد لا تستطيع أن تجد مكاناً لسيارتك، فالمدينة بأسرها تخرج لتقضى النهار فى القرية القديمة . والكنديون يشعرون بسعادة عندما يرددون كلمة « قديمة » لدرجة أن بعض المحلات التجارية تحمل أسماء غريبة منها على سبيل المثال « أقدم الأشياء » و « قديم جداً »

و « تاريخ بعيد » وكل هذه الأسماء الغريبة ، تعكس كما قلت لك رغبة كندا فى « تعميق » تاريخهم القصير ! وندخل القرية القديمة ويدفع كل فرد ٥ دولارات . إنها تقدم صورة للحياة فى « كتشنر » نفسها منذ ٥٠ عاماً فقط ! وبوصفى مصرياً ولى تاريخ موغل فى القدم ، فإنى أضحك فى سرى من كلمة قديم التى يذكرونها دائماً ! فى القرية القديمة نماذج للحياة فى الأثاث والملابس والعملة والسيارات والعجلات والموضة ، حتى دوار العمدة نفسه . إنها فى الواقع أشياء حديثة ، لكنهم يضعونها بحرص شديد داخل دواليب زجاجية مغلقة بإحكام وعليها تاريخها وهو يقع دائماً بين ١٨٦٧ و١٩٦٧ ! تاريخ عمره مائة عام ، إن الشىء الذى أثار دهشتى أن هذه القرى القديمة متكررة فى كل مدن كندا ، ليحرص الكندى على المقارنة بين « الأمس » و « اليوم » ، تصور لو كان هؤلاء الكنديون يملكون جزءاً على مائة من تماثيلنا وحضارتنا وآثارنا . . ماذا كانوا يفعلون به ؟ ! كانوا اجتذبوا العالم إليه . إن معرض كندا الدولى شد انتباه العالم ولا فضل لكندا فيه إلا البناء والطرق الممتدة إليه . فى القرية القديمة ، ترى سيدة كندية قديمة . . تمضى الوقت وبين أصابعها نول للنسج ، وهذا يشير إلى الأنوال اليدوية وكيف تطورت إلى الآلة ! مسألة لا تستحق الالتفات ، ومثلها فى مصر مئات بل ألوف الأنوال اليدوية .

وفى كل قرية قديمة رجل من الهنود الحمر بملابسه التقليدية الملونة . . إنه يشير أيضاً إلى سكان كندا الحقيقيين الذين يعيشون



الكلاب فى كندا صديقة الفلاح الكندى !

اليوم حياة بائسة ، وتحرمهم الحكومة الكندية من مميزات المواطن الكندى ، وهؤلاء يعيشون فى قرى نائية ، ولكن لا مانع من « استيراد » أحدهم للفرجة عليه باعتباره دلالة من دلالات التاريخ القديم لكندا ! ويسأل سائح أمريكى الرجل الهندى الذى يقيم فى بيت تقليدى : من يثبت لنا أنك أصل هذه الأرض ؟ ويرد الرجل الهندى بابتسامة ساخرة ، ومن يثبت لك أن حواء وآدم أول بشر على ظهر الأرض ، وتنتهى المناقشة إلى صورة تذكارية بين الأمريكى والهندى الأحمر ! إن الكنديين – يوم عطلتهم – يقصدون القرى القديمة للتعرف على تاريخ بلادهم . ولعلك تحس أنهم فى الواقع يحيطون أشياءهم الصغيرة بإطار جذاب . ذلك هو سر اللعبة كما يقولون . وأتحسر على آثار الأقصر . وعلى السرقات التى تكتشف بين يوم وآخر فى متاحفنا . وأتحسر على تاريخنا القديم بحق ، الذى لا نحس به . . ربما من شدة الجوار . . ربما لقربه منا ، قتل لهفتنا عليه ! أو عندك – ياعزيزى كمال – تفسير آخر .

٣

عزيزتى ليلى رستم . تليفزيون لبنان

إن التليفزيون الكندى يقدم لك دنيا بأسرها . إن الصورة الشائعة فى كل بيت كندى ، هى أن الأسرة تجلس حول الشاشة الصغيرة ، عينهم على الجهاز السحرى وأسنانهم تقضم أى شيء . سندوتشات . فشار . ذرة

مشوية . أى شىء ساخن أو بارد !

ما محتوى ماتقدمه القنوات الثلاث عشرة الملونة . ذلك هو السؤال !

إن التليفزيون الكندى يخصص قناة تعليمية لراغبى الثقافة . ميزة هذه القناة أن الإعلانات لا تقطعها . أما بقية البرامج ، فالإعلانات صاحبة الحق فيها وفى قطعها فى أية لحظة ، إنها تقدم جوائز تصل إلى مائة ألف دولار ! إن الإثارة هى الطابع الأساسى للتليفزيون الكندى . إنهم متحررون من الكراسى المذهبة والإيماءات المرسومة والرقاب المخشبة . يناقشون كل شىء من العجز الجنسى للبرود ، للشذوذ ! الهدف ليس التثقيف ولكن ترويج السلعة المعلن عنها !

الناس هنا فى كندا يلتقطون ثقافتهم من التليفزيون . فالكندى عموماً لا يعرف شيئاً خارج حدود مدينته الصغيرة ! الكنديون عشاق هوكى ، لا عشاق ثقافة . والقناة التعليمية تبدو يتيمة وسط القنوات الاثنتى عشرة !

إن عندنا « الفكر » التليفزيونى الناضج فى بلادنا ، ولكن تنقصنا الآلات . تنقصنا الإمكانيات الهائلة . تنقصنا الحرية فى التفكير والجرأة فى التناول . تنقصنا أن نمسك بتلابيب المشاهد .

لك تحياتى من بلاد الثلاث عشرة قناة الملونة !



الانتصار على الطبيعة إحدى سمات الإنسان الكندى . الطبيعة هنا الجبال والصخور !

٤

عزيزى بليغ حمدى — الزمالك

الناس فى كندا — يا بلبل — يفطرون هوكى ويتغدون هوكى . ويتعشون هوكى! حياتهم هوكى فى هوكى! الطفل قبل أن يشتد عوده الأخضر يؤهله والده ليلعب هوكى! النجم ، ذوالشهرة العريضة عند البنات ، هونجم الهوكى! لا أحد يعرف «موزار أو بيتهوفن» . كل الناس تعرف « بلفايو وبوبى هيل » . وكان « ديدرن . وفيابّى أسبوزيدو » . هؤلاء ألمع أسماء نجوم فريق الهوكى الكندى الذى انتصر على الفريق الروسى بفضل تشجيع الشعب الكندى واهتمامه ! تصور أن « بوبى هيل » أعلن ذات مرة اعتزاله اللعب بعد أن بلغ الخامسة والثلاثين . وقامت الدنيا وقعدت . وراحت الاحتجاجات لمنظمة اللعبة وضغطوا عليها لتعيد بوبى هيل إلى الملاعب ! نجم الهوكى يتقاضى فى العام مرتباً قدره ٢٠٠ ألف دولار . رقم يسيل له لعابك وقبل لعابك لعاب محمد حمزه !

تصور — يابلبل — لعبة الحكشة القديمة صار لها شأن تحت سماء كندا ! الشىء الوحيد — برغم حرارة المباريات وسخونتها — أن الأعصاب فى ثلاجة ، والمباريات لا تلغى ، والحكام لا يشتمون . ويقولون فى كندا « الناس اثنان واحد عاشق للهوكى ، والثانى عاشق لنفسه » ! ولك تحياتى من بلاد الهوكى !

٥

عزيزتى نادية لطفى — جاردن سيتى القاهرة

الذى لا يعرف كيف « يلهو » . لا يعرف كيف « يعمل » ، حكمة تعلمتها من كندا . حكمة آمنت بها ، وأيام الآحاد تتوالى أمامى والشعب الذى يعمل ويعرق يلقى بنفسه فى أحضان خضرة مساحتها ١٧٢ مليون فدان . ينام على ضفاف بحيرات عددها ٤٤١ ألف بحيرة . تحياتى من بلاد الـ ٢١ مليون نسمة والـ ٢٥ مليون سيارة .

لمعلوماتك

- إن سياسة الهجرة فى كندا ترفض الأخذ بأى تمييز عنصرى أو دينى .
- بلغ عدد المهاجرين لكندا من ١٩٤٦ إلى ١٩٧١ من جميع أنحاء العالم ٣،٥٣٦،٧٥٧ منهم ١،٨٦٤،٥٢٩ اختاروا الإقامة فى أونتاريو .
- افتتح مكتب الهجرة بسفارة كندا بالقاهرة عام ١٩٦٣ .
- كتب رئيس مكتب الهجرة بالقاهرة يقول « إن نوعية المهاجر المصرى كانت من أرفع مستويات المهاجرين إلى كندا » .



الحياة المادية والحضارية لا تحول بين الكنديين والصلاة !

الفصل الحادى عشر

عيون كندا ترانا هكذا

« كيف ترى كندا عاصمتنا ؟

اقرءوا ما يقوله كاتب زار القاهرة

وغاص فيها ، ونشر تحقيقاً عنها ! »

كان الموقف حرجاً للغاية !

فبينما كنت أقضى أمسية جميلة فى بيت رئيس تحرير جريدة « أتوانيوز » . والموسيقى تسبح فى المكان ، ورذاذ المطر يتساقط على زجاج النافذة فى إيقاع لذيذ ، لفت نظرى صورة لسوق الخضار فى روض الفرج بالقاهرة ! نقلتنى الصورة فى ثوان لروض الفرج وصراخ الباعة وزحام الناس والمشاجرات الدموية فى أغلب الأحيان ! وأعترف أنى شعرت بغيظ شديد . دققت النظر فى الصورة ، فاكتشفت أنها واحدة ضمن تحقيق مثير فى مجلة كندية أنيقة الطباعة وملونة !

كان التحقيق عن « العاصمة » : القاهرة . أكثر مدن العالم العربى زحاماً واضطراباً كما تقول المجلة !


كان الموقف حرجاً فى الحقيقة . ذلك أن أحد المدعوين فى السهرة قدم لى نفسه « ديورانت أسكى » الناشر الكندى ! وكانت

هناك مفاجأة أخرى تنتظرنى . لقد قال لى الناشر الكندى وهو يرشف كأساً من نبيذ فرنسى معتق : « أنا ناشر المجلة التى بين يديك الآن ! هذا تحقيق عن القاهرة ، وافانا به مراسلنا المتجول فى عواصم العالم ، لم أكن أتصور أن مدينة كالقاهرة تشكو التخمة . وتكاد تنفجر سكانياً . على أى حال هذا شأن العواصم فى كل بلاد الدنيا . ولكن القاهرة مدينة متناقضات لا حد لها » والوصف للمهندس المصرى حسن فتحى ! »

قلت بسرعة : فى طوكيو يتصارع الشرق والغرب . لكن الحضارة اليابانية قاومت « التأمرك » وانتصرت . فى اليونان حدث الشيء نفسه . فى استانبول حيث آلاف الجنود الأمريكان يرابطون فى قاعدة أمريكية لا تزال الحياة « تركية » لغة وعادات ومشارب ! مصر – مثلا – مر عليها صنوف من الاستعمار ، وإنك لو توغلت فى أعماقها لصدمتك رائحة « مصر » النفاذة . فالتناقضات أمر بديهى فى العواصم . والنظرة السطحية تجهض الواقع !

قال الناشر بابتسامة خبيثة : لا تستطيع أن تكذب الصور ، إنها حقائق محفورة . قلت : أنا لا أنكر هذا ، وكصحفى أفهم جيداً أن الصورة تساوى مائة مقال ، ولكن ما أريد الوصول إليه هو : ليست هذه « الصور » هى القاهرة . القاهرة مدينة تنمو وتكبر ، ونحن نعانى من مشكلة . . هجرة الريف والمدن إلى القاهرة . ونحاول أن نجعل فى المدن حياة ترضى الطبقات الطموحة للاجئ إلى العاصمة .

لمعت عينا الناشر وقال : ليس فى المقال شيء عن هذه المشكلة .



فن الباليه فى كندا .. هناك قناة فى التلفزيون الكندى تقدم ساعات طويلة من فن الباليه للمتذوقين

كيف فاتت على الكاتب ؟ !

قلت : إن « ديزمونت » أديب إنجليزى له وزنه ، كتب عن القاهرة بمعايشة دقيقة ، ذكر جمالها ولم ينس قبحها ،تعرض للورد والشوك معاً .

وكل عواصم العالم لا تخلو من قبح شديد ، ولكن القبح هو أحد أبعاد الصورة .

قال الناشر الكندى : هذا التحقيق محايد ، إنه وجهة نظر كندية بحتة !

ضقت ذرعاً « باللت والعجن » فى هذا الموضوع وقلت سوف أقرأ الموضوع بنفسى ، ولكن لا بد من ذكر حقيقة .

وقلت : هل يبدو حديثى مجافياً للذوق ، إذا قلت إن كندا هى اسم « مستعار » للولايات المتحدة الأمريكية ؟ هذه حقيقة يجب ألا تغيب عن الأذهان . والكندى فى اعتقادى رجل أمريكى « الطبعة » مزاجاً ومشاعر ورغبات ونظرات . كل شىء ماعدا جواز سفره . هل يبدو كلامى غريباً ؟ !

قال رئيس تحرير « أتوانيوز : « لقد أصبت الحقيقة بهدف » .

قال الناشر الكندى : « إن رأسمال شركتى أمريكى » . وكان هذا كافياً ، فانفردت بنفسى ، وأخذت أقرأ التحقيق !

التحقيق يقول أشياء كثيرة . إنه مجرد حكايات وانطباعات أكثر منها دراسة . ولكن المجلة، واسمها « دوكيومنت » يقرؤها أكثر من ٩ ملايين كندى . انتشارها هذا جعلنى أتوقف وأتأمل « كمية » المعلومات التى

المعلومات

- التنظيف بالبخار للبدل والمعاطف والفساتين بثمن رخيص وبسرعة .
- السيارات والتسهيلات النقدية تشجع غالبية الكنديين على شرائها .
- الشراء بالتقسيط الشهري لكل شيء تحتاج إليه .
- يحتاج المهاجر إلى الخدمات التالية التي تقدمها له الحكومة الكندية :

تقوم إدارة الهجرة باستقباله عند وصوله لكندا .

يمنح تسهيلات سكنية .

يبحث له عن عمل .

الرعاية الطارئة والخدمات الطبية .

تدريب اللغة .

خدمات في الترجمة .

إعلام وتوجيه .

استشارات فردية وعائلية .

تدريب مهني .

لمعلوماتك

برامج تعليمية خاصة ومساعدة للأطفال والأمهات .

المشاركة الاجتماعية .

حماية الحقوق الإنسانية الفردية .

- ينتج المجلس القومى الكندى للأفلام التسجيلية حوالى مائة فيلم جديد كل عام ، بالإضافة إلى الشرائح العلمية والتربوية والاجتماعية .
- يحتل سكان كندا البالغ عددهم ٢١,٥٧٠,٠٠٠ نسمة، نسبة ٧,٣ ٪ من مساحة العالم كله .
- بلغ عدد الطلبة فى العام الدراسى ١٩٧٠ /١٩٧١ ٦,٥ ملايين وعدد المدرسين ٣٠٠,٠٠٠ .
- تبلغ ميزانية التعليم فى كندا ٧٣٠٠ مليون دولار .
- بدأت كندا تنشئ مدارس بدون صفوف وفيها يسمح للطلاب بالتقدم فى دراستهم حسب قدراتهم بدون امتحانات .
- فى كندا ٨ جامعات تمنح درجات فى علوم المكتبات إلى درجة الدكتوراه .

يطرحها التحقيق ! ولابد من وقفة عند أسلوب المقال نفسه . إنه أسلوب ملتو : ملفوف !

إنه يقول مثلا : العاصمة من شباك الطائرة جميلة رائعة خلابة . هاهو ذا سحر الشرق . هاهى ذى قاهرة المعز . هاهى ذى لؤلؤة العالم العربى . ثم يقول بعد قليل : لكن النظر من الطائرة شىء ، والسير على الأقدام شىء آخر . القاهرة بعد ذلك ، خرابات . قمامة . أشياء مقززة !

إنه يقول مثلا : فى مصر جامعات .. البنات يذهبن كل صباح جماعات ملونة زاهية . الأزياء آخر صيحة . الماكياج وارد باريس . وبعد قليل يقول ، ولكن الحجاب ما زال . والبيوت فى الطبقات الوسطى لا نشاط لها إلا الإنجاب . والمرأة ربة البيت ، تشبه زير المياه الذى يستخدمه الناس فى الأحياء الشعبية !

هذه الطريقة « المسمومة » فى الكتابة ، هى طريقة علمية تكتيكية . تماماً مثل أفلامهم التى تروج لشىء معين يخدم الصهيونية وسط إطار فنى جميل .

ماذا يقول التحقيق الملون عن القاهرة . .

يقول : إن الزحام فى القاهرة لا يطاق ، إن مصالح الناس فى الأقاليم لا تجد حلها الطبيعى إلا فى العاصمة . فبرغم أن هناك تجربة « حكم محلى » فى مصر ، فما زالت القاهرة هى « مركز » كل شىء .

يقول : إن خطط وقف أمواج النسل تكلف الدولة الكثير ، ولكن الأمل فى نجاحها ضعيف . إن الانفجار السكانى وشيك الحدوث . إن



المهاجر الذى نجح فى امتحان قسوة الطبيعة شتاء . يحقق ذاته !

الأغلبية الساحقة لا تتصور كيف تحرمها الحكومة من الإنجاب ؛ بيد أن الطبقات المثقفة ــ وهى قليلة ــ تؤمن بالنظرية .

يقول التحقيق : إن القاهرة تأكل جيداً . تأكل كميات هائلة من الطعام . ولقد رأيت بنفسى كيف يهجمون على الخضراوات والفواكه التى بلا غسيل أو تنظيف . رأيتهم يأكلون الفاكهة وهم فى السوق ، هذه الكميات الرهيبة تصيبهم بأمراض كثيرة ، إذ أن الحقيقة التى صدمتنى هى . . كيف تلتقى كميات الأكل الكبيرة مع الأمراض الوفيرة . إنه لغز محير !

يقول التحقيق : إن القاهرة كسائر مدن مصر ، تنام نوماً عميقاً ما بين الثالثة والسادسة . لا تستطيع أن تطلب أحداً فى التليفون وتجده فى حالة استيقاظ . الكل نائم . والنوم ساعة الظهر بلسم راحة من عذاب المواصلات التى يمكن أن توصف أنها « غير آدمية » بالمرة !

يقول التحقيق : إن القاهرة تسهر مع الراقصات الشرقيات فى ملاهى شارع الهرم ، وتصيبك الدهشة عندما ترى الوجهاء وصغار المسئولين فى الدوائر الحكومية يأكلون بنهم جسد الراقصة التى تضاعف تثنيها لترضيهم !

يقول التحقيق : إن القاهرة ضائعة بين مهندسى التخطيط . بعضهم يرى أن القاهرة الكبرى يجب أن تلقى بالمصانع خارج المدينة ، وبعضهم يرى أن التوسع فى العمران يلتهم الأرض الزراعية ، ولا تزال القاهرة المسكينة تتضخم ، وتصاب بكل أمراض التضخم !

لمعلوماتك

- إدارة شئون المستهلك تهدف أساساً إلى حماية حقوقه على النحو التالى :

١ – حقه فى الأمان وتحرره من أى أضرار جسدية أو اقتصادية ، نتيجة لما يأكله ، ويلبسه ، ويقوده وما يستعمله حول منزله .

٢ – حقه فى الحصول على المعلومات الصحيحة الكاملة فى معرفة ما يشتريه وثمنه وما يحتويه . . إلخ .

٣ – حقه فى المعاملة الأمينة العادلة من ناحية المصنفين وتجار التجزئة والسماسرة والمعلنين وتحرره من احتمالات التزوير والغش .

٤ – حقه فى حرية الاختيار .

- إن الزراعة فى كندا تعتبر الصناعة الثانية فى البلاد، برغم أنها لا تستخدم إلا أقل من ٧ من القوى العاملة الكندية ، وأهم الزراعات هى الحبوب والفواكه والخضراوات والطباق، كما يهتم المزارعون بتربية المواشى ومنتجات الألبان والدواجن والفراء ومستخرجات شجرة الإسفندان .

يقول التحقيق : إن العاصمة (القاهرة) نموذج للضوضاء التى لا تنقطع ليل نهار .

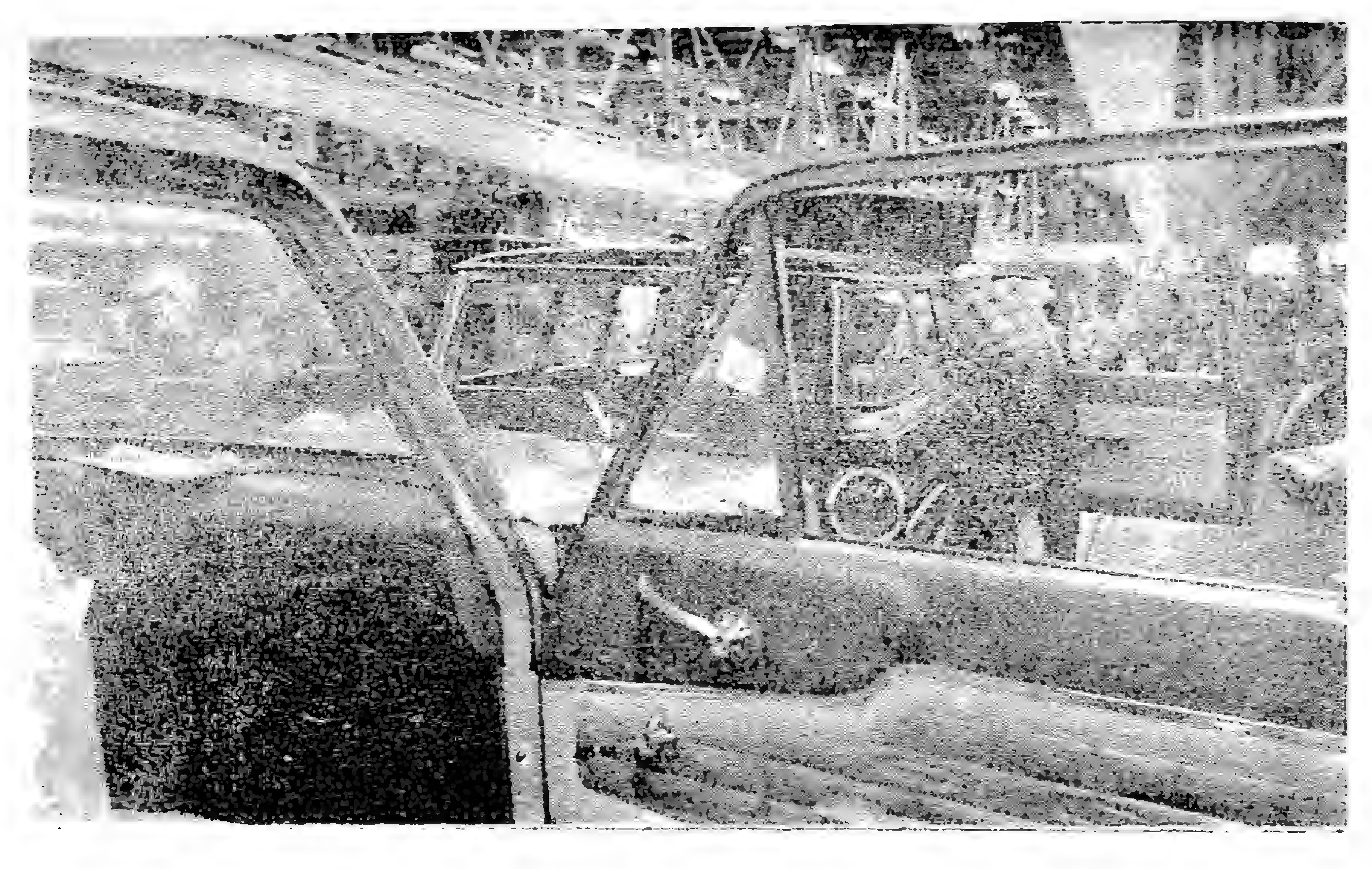
يقول التحقيق : إن مستشفيات القاهرة تحتاج إلى علاج لأنها مستشفيات ذات أبنية ضخمة وينقصها الدواء والممرضة والطبيب المتفرغ !

يقول التحقيق : إن السائح — أى سائح — يقضى فى القاهرة ثلاث ليال سياحية على الأكثر لأنه لا يستطيع أن يسير بعد منتصف الليل فوق أحد الكبارى ، فسوف تقبض عليه السلطات . إن السياحة فى مصر ، فنادق ، وليست عملية « إرضاء السائح » . . ولا بد من الاعتراف أن فنجان القهوة المصرى لا مثيل له فى العالم ! (ياسلام) !

كنت قد انتهيت من التحقيق واحتفظت بنسخة من المجلة معى وأخذت أفكر فى كل ما أثاره التحقيق .

إنه — بالتأكيد — لم ير غير الشوك . ولم يشم غير رائحة القبح . إنه بالتأكيد غفل تماماً عن الوجه المضيء للقاهرة . غفل وتناسى ! إن بعض ماذكره التحقيق صحيح . وهى وجهة نظر فى نهاية الأمر ولا بد أن نعرف كيف ترانا العيون . عيون العالم وآذانه .

ولكن ليس من المعقول أن تقوم مجلة — ينفق عليها رأسمال أمريكى وناشرها كندى يطير كل أسبوع إلى تل أبيب ليقضى « الويك إند » — بإنصاف « القاهرة » العاصمة العربية !



تحاول كندا أن تسرق الكاميرا من أمريكا فى صناعة السيارات .. وبالفعل نجحت !

لمعلوماتك

- فى كندا أكثر من ٦٠ جامعة تمنح الدرجات الجامعية . قارن هذا العدد بعدد السكان البالغ عددهم ٢١ مليوناً تقريباً ! !

- برغم ضآلة عدد السكان فى كندا بالنسبة لمساحتها ومواردها الطبيعية فقد وجدت الحكومة أنه من الضرورى إنشاء جهاز تنظيم الأسرة ، وكانت ميزانيته عام ١٩٧١ /١٩٧٢ مبلغ ٦٨٥,٠٠٠ دولار ومهمة الجهاز العمل على تخفيض عدد الأطفال غير المرغوب فيهم .

- تحتل مشكلة تلوث الجو المركز الأول لاهتمام الحكومة الكندية والشعب الكندى إلى الدرجة التى جعلت الحكومة تفكر فى فرض « ضريبة التلوث » حتى تفرد لهذه المشكلة ميزانية ضخمة تعالج بها هذا الموضوع الذى يمس الاقتصاد الكندى مسا مباشراً .

- المشكلة الثانية بعد التلوث هى مشكلة التضخم والبطالة والارتباط الوثيق بين الاثنين .



هكذا يعاملون الأطفال . غابات فسيحة ، ينطلق فيها الطفل الكندى ،
والأمهات يخرجن إلى الطبيعة أيام الآحاد !

الفصل الثانى عشر

كيف نحترم طفلا !

« إن للطفل — فى كندا — كلمة مسموعة ، إنه دنيا قائمة بأسرها . إن كل سلعة تتعلق به معفاة من الضرائب ! »

لحظة ميلاد طفل جديد ؛ تلتقط العدسات صورته ؛ وفى اليوم التالى تنشرها الصحف ! وهو ما زال فى اللفة « يوأوأ » يتقاضى مرتباً من الدولة : ٨ دولارات شهريًّا ، نفقات اللبن !

إذا كان الطفل غير شرعى ، سئلت أمه : هل تضمينه إليك . إذا وافقت منحتها الدولة إعانة ، وإذا رفضت تبنته الدولة ، وانقطعت صلة أمه به ، مدى الحياة !

قد تتبنى الطفل أسرة كندية ثرية يحمل الطفل اسمها . وله حقوق فى الميراث تتساوى تماماً مع الأبناء الشرعيين . إن الدولة لاتفرط فى « مواليدها » بسبب آباء جبناء يرفضون الاعتراف بثمراتهم ، الدولة تحتضن هؤلاء الذين لاذنب لهم !

هذا يحدث فى كندا .

يستطيع الطفل أن يشكو للبوليس من قسوة أبيه . إن ضابط البوليس لن يهمل شكوى الطفل باعتباره « عيل » ، سوف يتوجه الضابط إلى

لمعلوماتك

- بلغت قيمة الإنتاج القومى فى كندا عام ١٩٧١ مبلغ ٩٣,١٠٠ مليون دولار .
- استوردت كندا من السيارات وقطع الغيار عام ١٩٧٢ ما قيمته ٤,٤٤٩ مليون دولار وهذا الرقم يمثل ٢٦٪ من مجموع قيمة الاستيراد الكندى .
- إن ما يحكم الهجرة إلى كندا وجعل بابها مفتوحا هو :
- الجغرافية الكندية والموارد الطبيعية الضخمة التى تنتظر الأيدى العاملة .
- التطور السريع الخطير فى الصناعة .
- الانفجار السكانى العالمى وصلته بالمساحات الشاسعة فى كندا التى يمكن أن يسكنها فائض السكان فى بلاد أخرى من العالم .
- بينما تقبل الولايات المتحدة الأمريكية مهاجرين جدداً من جميع أنحاء العالم ، فإن عدد الأمريكيين الذين يهاجرون إلى كندا أصبح يشكل المورد الأول للمهاجرين لكندا بعد أن كانت المملكة المتحدة هى المورد الأول .



حتى أطفال المهاجرين والسياح وزوار كندا يعانقون بعيونهم الشواطىء الكندية . طفلة مصرية هى ابنتى أحبت كندا بدون أن تعرف أى بلاد هذه !

بيت الطفل ويسأل الجيران عن قسوة الأب ، فإذا أيدوا رواية الطفل ، أنذر الضابط الأب فإذا عاد لقسوته ، دفع غرامة لا تقل عن خمسين دولاراً ، فإذا تكررت القسوة ، اضطر البوليس آسفاً أن يسحب الطفل من يدى أبيه . وإذا بلغ الجيرانَ البوليس أن أباً وأماً تركا ابنهما فى البيت ، وهو دائم البكاء ، ذهبت سيارة البوليس وأفرجت عن الطفل وانتدبت له – على نفقتها – دادة تتقاضى أجراً بالساعة من أجل سواد عيون الطفل ، حتى لا يبكى . هذا ينطبق على الطفل الكندى والطفل المهاجر !

هذا يحدث فى كندا

فى أى ملهى مكان للأطفال ، فى دور السينما حفلات خاصة للأطفال . فى المتاحف يوم مخصص للأطفال . يذهب الأطفال للمتحف يقضون فيه ساعتين . يتجولون بلا آباء أو أمهات . مرشدة حنون فقط ، هى الأب والأم معاً . قبل الظهر يقدم لهم « بوفيه » المتحف المشروبات و « السندوتشات » والحلوى . يتصرف الصغار كالكبار . ويحصلون على مايريدون . المرشدة الحنون صدرها واسع . تجيب عن كل سؤال يخطر أو لا يخطر على البال ! أول درس يتعلمه التربويون هو : لا تهمل سؤالا لطفل . لا تعبر سؤالا وجهه طفل . أجب عن أى سؤال يخرج من شفتى طفل .

هذا يحدث فى كندا .

لمعلوماتك

- للحصول على الجنسية الكندية يجب توافر الشروط التالية :

الحصول على تأشيرة إقامة دائمة على أساس الهجرة النهائية .

الحياة فى كندا مدة خمس سنوات .

التحدث بالفرنسية أو الإنجليزية .

حسن السير والسلوك .

معرفة بعض المعلومات عن كندا وواجبات وحقوق المواطن الكندى .

نية الحياة الدائمة فى كندا .

- حلف يمين الولاء لكندا .

- تتمتع كندا بأعلى مستويات المعيشة فى العالم، لكن لا تتوقع أن تتمتع بكل شىء فى البداية . وبقدر ما تبذل من وقت ومجهود وعمل شاق بقدر ما تأخذ فى مقابل هذا الكثير .

٢٠٪ من الأفلام التسجيلية فى كندا . . كعبة الفيلم التسجيلى فى العالم ، مخصصة للأطفال . نشاطهم . لعبهم . شقاوتهم .. كاتب برامج الأطفال فى التليفزيون يتقاضى أعلى الأجور . مخرج الأطفال له « سمعة اجتماعية » مرموقة. ناشر قصص الأطفال يتصدر حفلات الأدب والفن . كاتب قصص الأطفال يتسلم أجره كاملا قبل أن يخط حرفاً واحداً فى قصة جديدة . فى برنامج يوم واحد على شاشة التليفزيون أكثر من ٥ برامج مشوقة للأطفال . واحد « كارتون » والثانى حى والثالث رياضة والرابع ألغاز والخامس غناء وهوايات . آخر برنامج يذاع فى الثامنة . . وتظهر المذيعة لتقول لأطفالها الحلوين : « الآن إلى السرير . قبلوا بابا وماما . . تصحبكم السلامة » .

هذا يحدث فى كندا .

اللعب . . يشتهيها الكبار قبل الصغار . سال لعابى أكثر من مرة أمام قطار يتحرك بالكهرباء ويجرى فوق قضبان . . ويقف على محطة ويصعد الركاب ويطلق صفارته ويمضى . سال لعابى أمام أرجوحة مبتكرة . سال لعابى أمام عروسة تتكلم وتغنى وتبكى وترقص . . ثمنها ٢٠ دولاراً . . هذه اللعب بعضها كندى والبعض الآخر مصنوع فى اليابان لحساب كندا . . كل أنواع اللعب التى يتصورها العقل تغمر الأسواق . مصانع لعب الأطفال معفاة من الضرائب . أى شىء يباع للأطفال معفى من الضرائب وهى ٥٪ . أى بيت كندى لا تستطيع أن تحصى عدد اللعب فيه . يراعى تماماً فى اللعب دقة الصنع والبساطة

لمعلوماتك

- قد يتمكن الطالب الجامعى من اقتراض ما يصل إلى ٥٠٠ دولار فى أثناء دراسته الجامعية على أن يردها عند التخرج .
- تنال حركة الفنون والعلوم الإنسانية تشجيعاً كبيراً ، لذلك قام المجلس الكندى عام ١٩٦٨ /١٩٦٩ بصرف مبلغ ثمانية ملايين دولار فى أوجه متعددة للمساعدات فى حقل الفنون فقط .
- حدد القانون إجازه الولادة بمدة طولها ١٧ أسبوعاً ، كما يمنع القانون فصل المرأة العاملة بحجة أنها حامل .
- للمرأة العاملة الحق فى المعاش على قدم المساواة مع الرجل ، ويرث زوجها وأولادها هذا المعاش فى حالة الوفاة ، تماماً كما ترث هى وأولادها معاش الزوج فى حالة وفاته .
- تستخدم الحكومة الفدرالية الكندية ٦٣,٤٠٠ امرأة .
- تستنفد الأعمال الإدارية ما يقرب من ٨٣ ٪ من مجموع النساء العاملات .

وعدم الإيذاء . اللعب تعيش فترة طويلة . والألوان بهيجة . لا كآبة مطلقاً . محلات اللعب منتشرة فى كل زقاق . مهرجانات ملونة للأطفال تدخل الفرحة على قلوبهم .

هذا يحدث فى كندا .

الطفل فى سن الثامنة والتاسعة يحلم ببطولة الهوكى . والده يشترى له كل « عدة » الهوكى . يعرف أسماء اللاعبين . وأحياناً يراسلهم إذا التقط العنوان من صحيفة أو مجلة . . بالمناسبة فى كل مجلة أو جريدة « مساحة مناسبة » للحديث عن الأطفال . . وفى الإذاعة برنامج يومى فى العاشرة موجه للكبار وموضوعه « حقوق الصغار» !

عندما يلعب الفريق القوى الكندى للهوكى خارج حدود بلاده فإن كندا تطبع « كارت بوستال للتشجيع » فقط . تضع اسمك وعنوانك وتوجه الكارت للاعبك المفضل وتلصق ورقة بوستة . . وتصل ملايين الكروت إلى الفريق . . حيثما كان . . الغريب أن الأطفال يشتركون فى التحية والتشجيع . . بخطوطهم الركيكة . . ولكنها حتما تحية صادقة . إن الأطفال لهم أيضاً حق التشجيع . وقد اعترف الفريق الكندى بأن تشجيع الأطفال لهم فى أثناء مباراتهم مع الفريق الروسى ، كان له أبلغ الأثر فى الفوز . لقد تأثرت بالحب الغض البرىء .

هذا يحدث فى كندا . .

عند مدارس الأطفال تتوقف السيارات تماماً أو تهدئ السير . وأمام الأطفال عسكرى مرور يتولى المساعدة فى عبور الشارع . وفى خلف

لمعلوماتك

- قال رئيس وزراء كندا مستر بيير ترودو فى ٣ مارس ١٩٧١ :أعتقدأنه من الممكن أن يقال بثقة إن مجتمعنا ما كان وصل إلى ما هوعليه خلال نصف القرن الأخير لو أن جهود المرأة التى شغلت مناصب حكومية وصناعية كانت أكثر مما هى الآن . وعلى سبيل المثال : فهل كنا نعانى اليوم نفس التهديد من تلوث البيئة الأمر الذى يعود إلى حد كبير للتكنولوجيا التى يسيطر عليها الرجل ؟

- قامت وزارة العدل الكندية بتعيين النساء فى مناصب القضاة ورؤساء المحاكم .

- تتعلم المرأة الهندية « المهاجرة » والإسكيمو اللغتين الإنجليزية والفرنسية مجاناً .

- أقبلت المرأة الهندية « المهاجرة » على التعليم ، وهناك ما يقرب من ٤٧،٠٠٠ امرأة ما بين سن ١٦ ، و ٦٤ يشتركن فى برامج تعليمية .

أى أتوبيس أطفال كتبت هذه العبارة « نرجوك، لا تسرع . ليعبر كل الأطفال فى أمان » . عند أى إشارة مرور تتوقف السيارات إذا عبرت أم حامل ، أو طفل أو عجوز . لا يهم أن تكون الإشارة حمراء . . فى الحفلات أو المباريات الأولوية للأطفال ، فالسيدات .

هذا يحدث فى كندا .

ملابس الإسكيمو للكبار التى يشترونها لاتقاء أخطار العواصف الثلجية فى الشتاء . . مثلها أيضاً للصغار . أى شىء يباع للكبار : يستطيع الأطفال الحصول عليه فى أحجام مصغرة . داخل أى مخزن ملابس أو مطعم ضخم عربات صغيرة للأولاد . وفى أى مكان توزع هدايا للصغار ليجبروا الأهل على العودة إلى المحل التجارى نفسه . : ذكاء إعلانى !

بالمناسبة . . الإعلانات الكندية توجه « الدعاية للسلع » للأطفال .: تعاملهم على أنهم كبار . الأطفال يضغطون على الآباء والآباء يستسلمون ويشترون اللعب أو الحلوى أو أى شىء يتعلق بالأطفال : هذا يحدث فى كندا .

حدائق الصغار . . جنات خضرة وملاعب ولعب أراجيح وحديقة حيوانات صغيرة تشد انتباه الأطفال .

قال ترودو ذات مرة لأحد المسئولين فى وزارة البناء . حدائق الأطفال لا تهدم ، إنها فى قداسة الكنائس وبيوت الله .

هذا يحدث فى كندا . .

لمعلوماتك

- تقف كندا فى المركز الثانى عشر بين دول العالم فى إنتاج الصلب .
- يبلغ طول الطرق والشوارع المرصوفة فى كندا ٥٢٥,٠٠٠ ميل وهناك ما يقرب من ١٠ ملايين سيارة مرخصة، ويبلغ طول الطريق عبر كندا من الأطلسى للهادى ٤٨٦٠ ميلا ، تسير عليه جميع أنواع السيارات .
- فى كندا ٢٥ ميناء كبير كل منها يتعامل فى مليونى طن بضاعة سنوياً .
- يبلغ عدد طائرات النقل المدنى حوالى ١١,٠٠٠ طائرة نفاثة، تنتقل بين ١٦١٠ مطارات داخل كندا ، وتنقل هذه الطائرات ما يزيد على ١٠ ملايين راكب ، وأكثر من ٢٠٠,٠٠٠ طن بضائع سنوياً .
- يبلغ طول خط أنابيب البترول فى كندا ٣٢,٠٠٠ ميل ، وتنقل هذه الأنابيب ما يقرب من ١,٨ مليون برميل من البترول يوميا بالإضافة إلى ٤,٢ ملايين قدم مكعب من الغاز الطبيعى سنوياً .

قال لى المدرسون المصريون المهاجرون إلى كندا . إن الطفل الكندى لا يتمتع بمهارة المصرى أو شطارته أو ذكائه . يبدو أن أطفال الدول النامية ليسوا أسعد حالا . . ولكنهم أكثر ذكاء . . يبدو أن المعاناة تصنع ذكاء ومهارة . سمعتهم يقولون أيضاً إن الطفل الكندى سعيد جداً . . ولكنها سعادة بلا معاناة ، سعادة معلبة وليست طازجة .

هذا يحدث فى كندا .

لا أظن أن طفلا فى العالم يشعر بالسعادة مثلما يحس الطفل الكندى . لقد رأيت أطفال العالم فى أكثر من دولة ، إنهم جميعاً ينالون الحب والعطف والحنان والاهتمام ولكن الكندى ينال كل هذا بجرعات كبيرة من الأب إلى الدولة — فضلا عن شىء آخر هو الاحترام .

إن للطفل كلمه مسموعة . إنه دنيا لها وزنها وكيانها .

هذا يحدث فى كندا . .

يوم سافرت من كندا عائداً إلى مصر ، بكت ابنتى حنان وكانت تصحبنى فى الرحلة . بكت بشدة كأنها تبكى مجتمعاً احترمها ، واهتم بها وخصها بحنانه واهتمامه . فقد كانت تقضى وقتها بين الحدائق واللعب والمتاحف والأكل . وحينما حان وقت السفر تشبثت بالبقاء ولا تدرى هى لماذا تريد البقاء ! ولهذا ظلت تبكى وتطل من شباك الطائرة بحسرة غامضة ، ولهذا جعلت عنوان مقالى : كيف تحترم طفلا !

لمعلوماتك

- يبلغ عدد الحكومات المحلية فى كندا ١٠ يرأسها نائب الحاكم العام ولها مجلس تشريعى ، وهذه الحكومات مسئولة عن التعليم والعمل والصحة والعدل ، كما أن لكل مقاطعة من هذه المقاطعات العشر رئيس وزراء ووزراء ومجالس بلدية .
- شاركت كندا فى قوات الطوارئ الدولية التى أنشأتها الأمم المتحدة عام ١٩٤٨ وساهمت فى حفظ السلام فى كشمير وفلسطين وكوريا والكونجو وإريان الغربية واليمن وقبرص ، وهى كذلك عضو فى لجنة نزع السلاح بجنيف .
- إن تعداد كندا يجعلها تحتل الترتيب الثامن ، لكنها تعتبر سادس دولة من ناحية التجارة الدولية .
- تؤيد كندا التطبيق الكامل لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ فى نوفمبر ١٩٦٧ وترى فيه أنسب وسيلة لاستقرار السلام القائم على العدل فى الشرق الأوسط .



الصيد فى كندا متعة شخصية تعلم الصبر وسط مجتمع يجرى ويلهث !

الفصل الثالث عشر

أنا أحب سماء بلادى أكثر

« حضارة كندا ، كالنحلة ، ترشف رحيق كل الحضارات . . . تمتص خلاصتها وتذيبها فى وعاء (صنع فى كندا) » .

هأنذا أرحل من كندا . أتسلل إلى أمريكا وأنا فى طريقى إلى مصر .

ولم يبق فى « الجعبة » أو « الجراب » سوى قصاصات ورق دونتها فى كندا واحتفظت بها . لعلها تجيب عن أسئلة تراود عقلا يسأل ويبحث وينقب !

هل حضارة كندا تتجه إلى الانهيار أو إلى البناء .. أو أنها مجرد صدى لحضارتين متعارضتين ؟ ! الحضارة الفرنسية والحضارة الأمريكية ؟

حضارة كندا كالنحلة . ترشف رحيق كل الحضارات . . تمتص خلاصتها . تذيبها فى وعاء « صنع فى كندا » . ترفض العنف الأمريكى برغم أن أمريكا جارتها المجاورة ، حضارة كندا مزيج غريب

لمعلوماتك

- ساهمت كندا عام ١٩٧٢ بمبلغ مليون ونصف مليون دولار لوكالة الأمم المتحدة للاجئين الفلسطينيين .
- بلغت قيمة المساعدات الدولية عام ١٩٧١ /١٩٧٢ مبلغ ٤٢٦,٤ مليون دولار وكانت عام ١٩٦٣ /١٩٦٤ فى حدود مبلغ ٦٤,٤ مليون دولار .
- إذا تورطت كندا فى كارثة حربية بين القوى الكبرى فإنها بذلك تكون ضحية موقعها الجغرافى بين روسيا والولايات المتحدة .
- بلغت ميزانية الدفاع الوطنى فى كندا عام ١٩٧٢ ١,٨٦٣ مليون دولار .
- تبلغ القوى العاملة فى كندا ٨ ملايين شخص ، ونسبة المرأة العاملة تبلغ ٣٢٪ من هذا العدد ، وتبلغ نسبة المتزوجات ٥٤ ٪ .
- إن المهاجر المتعلم الطموح صاحب المهارة أو المهنة المطلوبة يمكنه الاستقرار فى كندا بسرعة معقولة .
- ٦٠ ٪ من الكنديين يمتلكون منازلهم .

متآلف، الدستور « إنجليزى» ،وأسلوب الحياة « فرنسى » والنظام الصارم « ألمانى » . والأرض والميراث « هندى » والنقود « أمريكية » والمستقبل لكندا برغم المشاكل الحضارية التى تواجهها . ولكن يبدو أن القرن القادم محسوب لكندا . . لأنها تنتزع نفسها من أنياب أمريكا . تحاول أن تقاوم الضياع فى المتاهات الأمريكية ، تحاول كندا أن تجعل دماء عروقها « كندية »،إن شعوراً عميقاً يسيطر عليها ، إنها تعيش بعقل إنجليزى ، وقلب فرنسى ، وعينين أمريكيتين . وتقاليد ألمانية . إن الكندى ، ابن الأرض ، يحلم بأغنية ترددها كل الشفاه الكندية . كلماتها الإنجليزية تتعانق مع الفرنسية ، وتراقص اللغة الألمانية !

* علاقة الألفة بين الجيران فى كندا ، هل هى موجودة ؟

الألفة بين الناس هناك هى طقوس « دين » اسمه المصالح !

الجيران يأتلفون إذا كانوا أصحاب مصالح مشتركة . غير ذلك لا يربطهم سوى احترام حريات بعضهم ، لا مكان للمجاملات ، للعواطف السيالة . قد يمضى قرن من الزمان بدون أن يتزاور جاران ، المسافة فى كندا تقاس بالمصلحة !



بواخر تعبر من شاطئ إلى شاطئ ، الفرحة على الوجوه .. فالراحة جزء من نسيج الشخصية الكندية ...

*** هل رأيت على ابتسامة أى كندى ، طعم ابتسامة الإنسان ؟**

فوق ابتسامة أى كندى رأيت ملامح الدولار .

*** الإرهاق ، هناك ، مانوعه ؟**

انتظار للدولار . الحب للدولار . المضاجعة أحياناً للدولار . الإرهاق مادى . فلا شىء اسمه « هموم الروح » فى كندا . إنها هموم الدولار .

*** الإنسان ، هل هو جزيرة منفصلة أو متصلة مع الآخرين ؟**

الإنسان الكندى جزيرة منفصلة تسمح لنفسها أحياناً أن تتصل بالآخرين ، ولكنها لا تذوب فيهم !

الإنسان الكندى . واحد من أعضاء معسكر عمل دولى ينطق بكل لغات العالم . قلت ذات مرة لكندى من أصل ألمانى : لماذا لا تنام يوم الأحد وتستريح ؟ قال ساخراً : الذى ينام فى « البورصة » يخسر !

*** الموضة فى كندا ، ماحجمها ؟**

الكندى يلبس أى شىء . . الكندية لا تحلم بموديل جديد . بل لا تعرف ملوك الموضة .

لمعلوماتك

- يتاح للمرأة العاملة الحرية فى أن تعمل نصف الوقت بنصف الأجر ونصف الامتيازات المترتبة على عملها .

- تتساوى المرأة مع الرجل فى حق دخولها كلية الدفاع الوطنى وتخرجها ضابطاً بالقوات المسلحة .

- اقتصاد كندا : إن صناعة الحديد والصلب وصناعة بناء السفن وصناعة الطائرات وشبكة المواصلات الشاسعة بدأت كلها تلعب دورها الكامل لتدفع بكندا إلى مجال التصنيع الحديث .

- النمو الداخلى : إن كندا هى قصة النمو الرائع للصناعات الأولية والثانوية ، وللاكتشافات البترولية والغاز الطبيعى والمواد المعدنية الجديدة الكثيرة ، وهى قصة التقدم العلمى والثقافى والتعليمى ، كما أنها قصة التحدى المستمر لبلوغ الوحدة القومية بدون إغراق لثقافات الشعوب التى ساعدت على بناء الأمة .

* الدين، هل هو وسيلة الاعتذار عن الخطأ أو العبادة ؟

الدين فى كندا تجارة . ثمن إشعال الشمعة فى أكبر كنائس « مونتريال » الجميلة يتراوح بين دولار و٣ دولارات : بحثت عن « الله » فى كندا . . فتعبت .

* هل فى بيت الكندى ، مكتبة ؟

المكتبة عند الكندى ديكور جميل ورفوف تحتضن الكتب ! لكن الساعة التى يقضيها الكندى مع كتاب قد تساوى كذا دولاراً لو استغلها . إن ثقافة الكندى — عموماً — يتلقاها من التليفزيون الملون الساحر الجذاب .

* هل يرضخ الكنديون للإعلانات ، وإلى أى مدى ؟

الإعلان الكندى ، كالأمريكى ، فن قائم بذاته . فن يعتمد على استغلال الضعف البشرى . فن يعتمد على مخاطبة الغرائز . فن يرتبط بالجنس ! . . أى إعلان حتى لو كان عن « اللبان » يخاطب الرجولة والأنوثة !

إن المحلات الكبرى تطبع مجلات مذهلة الألوان وتنشر صوراً للسلع مقرونة بأسعارها واستعداد المحل « لتوريد » البضاعة حتى باب البيت ! هذه المجلات يجدها الكنديون فى صناديق بريدهم كل صباح ، فتثير فيهم عشق الاقتناء !



الظهر العاري ، آخر موضة ، وصلت إلى كندا عن طريق الكنديين من أصل فرنسي !

* الفن هناك .. هل هناك فن كندى ؟

الفن فى كندا لا وجود له . لا توجد « هوم » إنسان توحى بأى فن . هناك فقط الفيلم التسجيلى وكندا بحق هى كعبة العالم فى هذا المجال والفيلم التسجيلى الكندى ، مصوره أمريكى . . ومخرجه فرنسى . . وكاتب السيناريو إنجليزى .

وبرغم أن فى كندا إمكانيات آلية كبيرة ، فقد رفضت كندا أن تدخل ميدان الرواية الطويلة واكتفت بفيلمها التسجيلى . إن الفن الكندى ابن غير شرعى ، لفنون أخرى ليست كندية !

* هل يهاجر الكندى وأين يذهب ؟

أصحاب الملايين يطيرون فى الشتاء لأوربا هرباً من الثلوج ، الكادح الكندى ربما لا يرى غير مدينته طوال الحياة !

* هل المصرى الموجود فى كندا له رأى فى أى سلوك يصدر عن الحكومة الكندية ؟

يستطيع المصرى أن يكون صاحب رأى فى تصرفات السلطات لكندية حين يصبح مواطناً « كندياً » يتجنس بالجنسية الكندية ويحمل جواز سفر كندياً .

ذلك لا يتم قبل خمس سنوات . يقدم أى مهاجر طلباً لنيل الجنسية . تجيب السلطات على طلبه بعد ثلاثة أشهر . يذهب

لمعلوماتك

- يعنى المتحف القومى للإنسان بالحفاظ على التراث الثقافى لكندا عن طريق البحث والجمع والتعليم .
- المتحف القومى للعلوم الطبيعية يجرى دراسات فى علوم الحيوان والنبات والتعدين .
- يبلغ عدد المكتبات الخاصة بالشركات والحكومة والجمعيات والمعاهد والمستشفيات حوالى ألف مكتبة ، وبالإضافة إلى هذا العدد فهناك دار الكتب القومية ومكتبة العلوم الطبيعية ومكتبة البرلمان ومكتبة وزارة الزراعة والمكتبة القومية للعلوم .
- التعليم إجبارى وبالمجان حتى المرحلة الثانوية ، وأغلب المدارس مشتركة .
- فى كندا حوالى ٢١٩ جامعة وكلية ويبلغ عدد الطلبة حوالى ٣٥٠,٠٠٠ يسددون مصروفاتهم عن طريق دخلهم من عملهم فى أثناء العطلة الصيفية .

ويقابل قاضى الأحوال الشخصية . بعد شهر رابع يدعى لحفل الجنسية ويقسم الولاء: « أقسم أن أطيع القوانين الكندية وأن أكون مواطناً صالحاً وأن أطيع الملكة إليزابيث الثانية وخلفاءها » .

فى تلك اللحظة يصبح من حق المصرى أو غيره أن يكون له رأى فى تصرفات الحكومة الكندية .

* السفارة المصرية فى كندا كيف وجدتها ؟

إن الحياة فى كندا تسير كالساعة . كل شىء مريح . ترسل رسالة للبنك فيردون عليك فى اليوم التالى . تطلب ورقة من وزارة فتصلك خلال يومين على أكثر تقدير . تطلب تأشيرة خروج لبلد ما بالتليفون . لا تشعر بأى إرهاق . لكن السفارة المصرية تتخلف عن هذا « الانضباط » وتتفنن فى تعذيب المهاجرين الذين يلجأون إليها أحياناً بقصد استيفاء أوراق أو بيانات .

سمعت عشرات القصص من مهاجرين مصريين ، كلها تدين السفارة بالروتين المصرى الذى سافر وعبر المحيط . . ووصل إلى كندا .

* قصيدة شعر ، سمعتها أو قرأتها فى كندا .

نـ قصيدة لشاعرة مولودة عام ٣٩ فى تورنتو ، اسمها مارجريت تود . تقول :



المسئولون فى كندا يودعون الملكة !

« لا أدرى إذا كان العالم يكذب أوأنا أكذب!

« لا أدرى إذا كان العالم يتآمر ضد الحب أو أنى أتآمر ضد الحب .

« العذاب غير محتمل وأنا معذبة . . حتى بغير القنبلة الذرية

« أرفض أن أجعل الكذب ، شريعة !

« كلنا يكذب . .

« كلنا نختار لأكاذيبنا حزام عفة من الصدق !

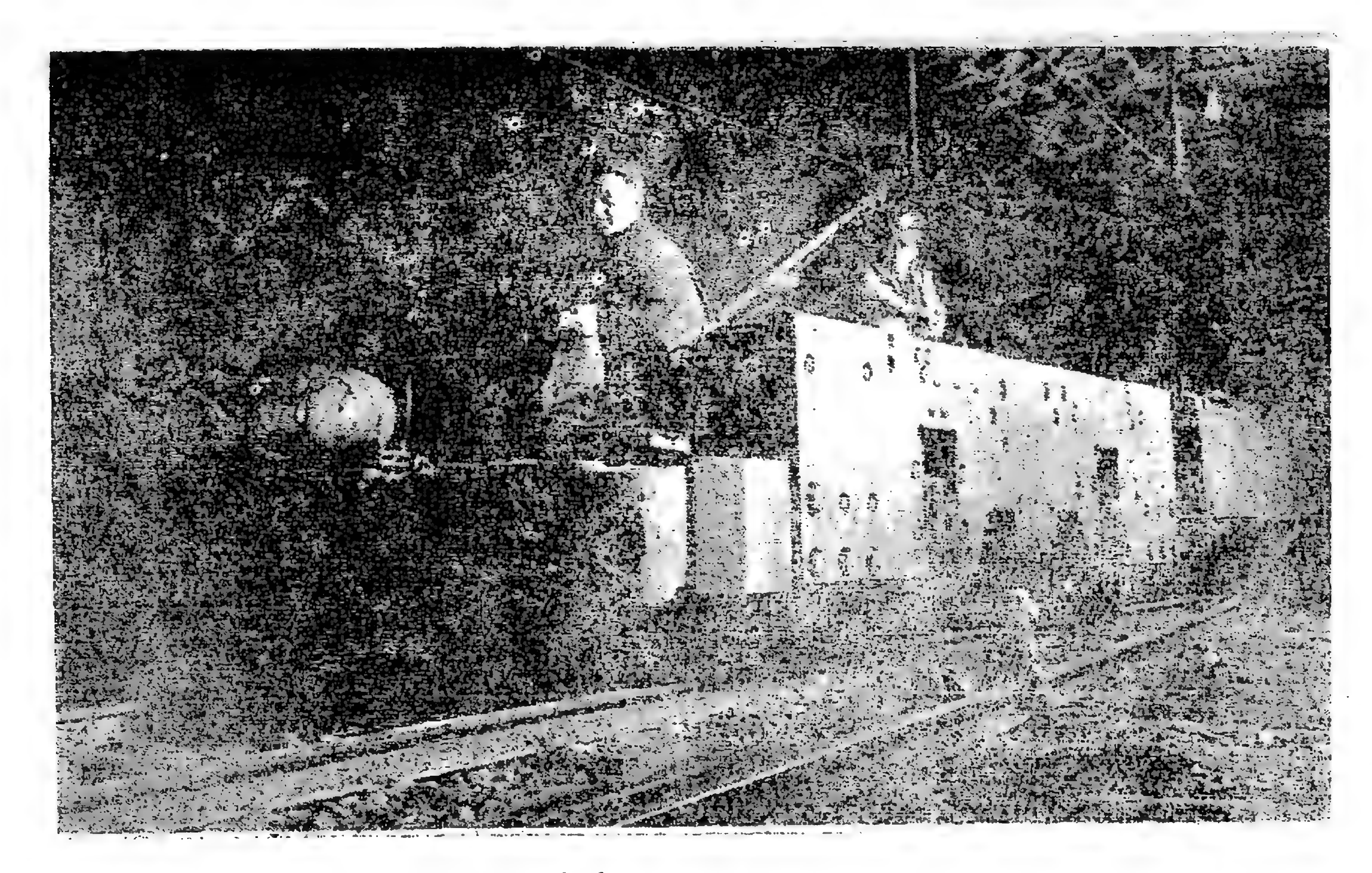
« صدقونى . .

* هل فى كندا « أدب كندى » ؟

هناك روائى اسمه « هيوما كملان » . مولود فى مقاطعة نوفاسكوتيا . هناك شاعر فى الخامسة والثلاثين من عمره اسمه ليونار كوهين ، مولود فى مونتريال . هناك إرفنج ليتون ، شاعر ، مولود فى رومانيا . . وشب فى مونتريال . . محور الرواية الكندية ، أحاسيس المهاجرين الأوربيين وحنينهم ، وذكرياتهم للأرض الأم ! محور قصائد الشعر تعرية الزيف ! وهذه المؤلفات ليس لها « الانتشار » الكبير . إنها « أعمال » محلية . ربما لا تعرفها أو تسمع عنها المقاطعات الكندية الأخرى !

* المحامى الكندى ، ما نوعية قضاياه ؟

إن طبيب الأسنان فى كندا مليونير . والمحامى أيضاً مليونير خرافى . إن كل كندى يلقى بمتاعبه إلى محام فهو لسان حاله !



فى كندا مناجم غنية ، وعامل المنجم الكندى يتقاضى أجراً مرتفعاً ، ويملك سيارة ،
وله زوجة جميلة وطفل يحلم بالمناجم !

أية صغيرة أو كبيرة ، تلجأ إلى المحامى وتسأله ! والمحامى يحسب وقت مكالمتك معه فى أمورك بالدقيقة ! إنه كالعداد يحسب عدد الدقائق التى استغرقها لمناقشة مشاكلك . . ثم يرسل لك الفاتورة آخر الشهر مثلا . مطلوب منك ٨٠٠ دولار لأنك أخذت من وقتى كذا دقيقة . وكل محام له تسعيرة ! وأقل محام دقيقته بـ١٠ دولارات ! وأهم قضايا المهاجر هى علاقته بالتأمينات ؛ فالتأمين يدفع لك مصاباً ، أو مصيباً !

* هل فى كندا « دعارة » ؟

الجنس فى كندا ، ليس مشكلة . والدعارة فى المدن الكبرى ، من ملامح الجاذبية السياحية . وأخطر ألوان « الدعارة » ، هى التى تسود صفقات رجال الأعمال ، حيث يلوح بالزوجات والشقيقات الجميلات ! إن القيم تنام فى حضور « الدولار » !

* النكتة ، هل سمعت نكتة لها طعم كندى ؟

فى كندا يقولون لك : « كن مبتسما دائماً » عبارة تصافح عينك فى أى بنك . . فى مستشفى ، فى مكتبة . . فى أى مكان . ولا توجد « نكتة كندية » طعمها كندى . لأنه لا توجد متناقضات إنسانية تفرض السخرية !

من النكت التى سمعتها على لسان كندى . . أن المرأة الكندية تحب الغزل الفرنسى ، وتموت فى الثقل الإنجليزى ، وتعبد الدعابة الأمريكية ، وتعجب بالصرامة الألمانية . ولكنها لا تفضل الرجل الكندى !

لمعلوماتك

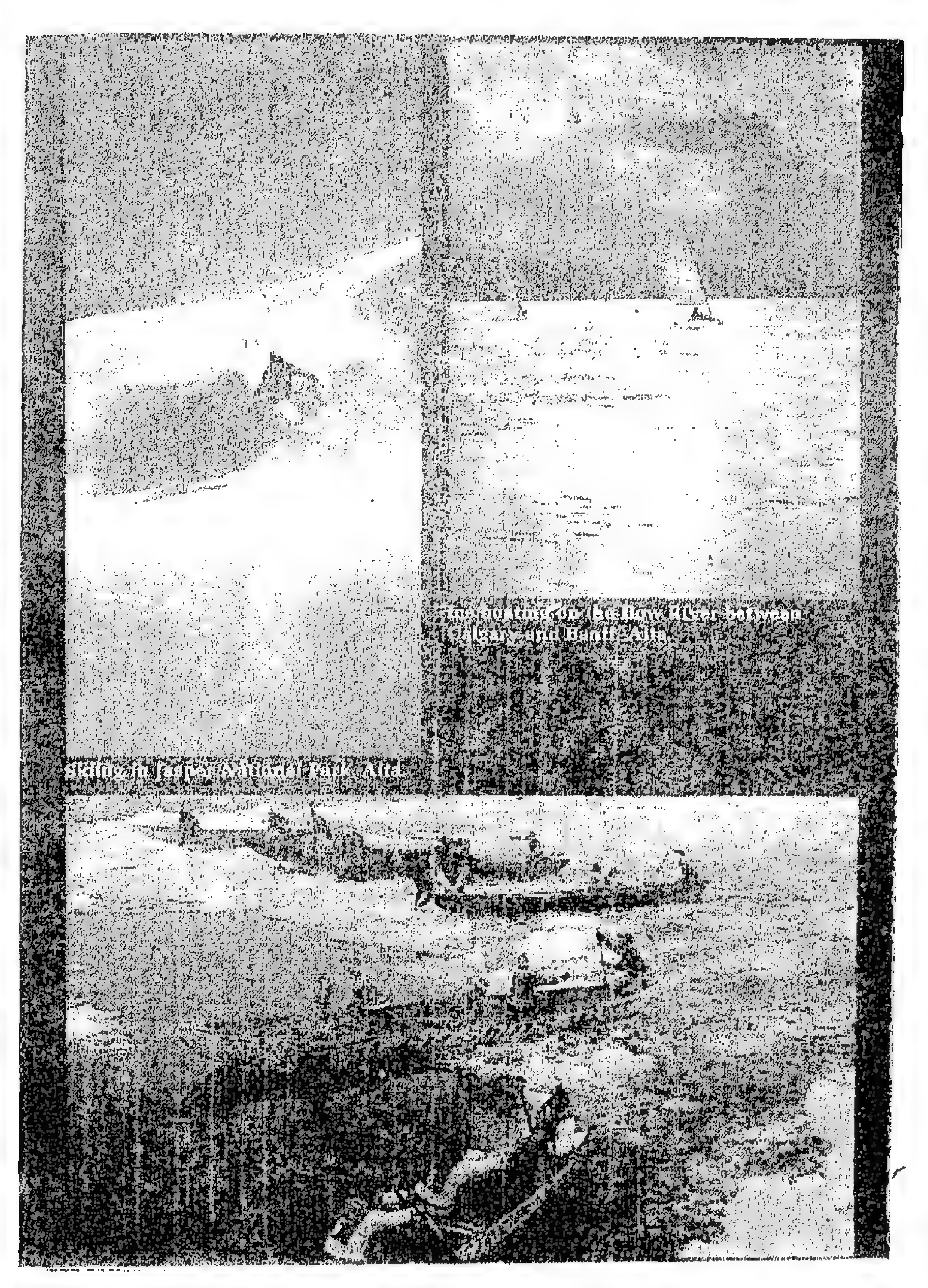
- يبلغ عدد الحدائق العامة فى كندا ٧٨ ، هذا بخلاف مئات الأمكنة الطبيعية التى يلجأ إليها الكنديون لتمضية عطلة نهاية الأسبوع .

- المعسكرات الصيفية أصبحت من التقاليد السارية فى كندا ، يلجأ إليها الكنديون للاستمتاع بالهدوء الذى يسود الريف والغابات .

- فى كندا ١٠٠ جريدة إنجليزية و ١٢ فرنسية يبلغ أرقام توزيعها ٤,٥ ملايين نسخة يومياً لكن عدد قرائها يبلغ ثلاثة أرباع عائلات كندا .

- فى كندا يبلغ عدد المجلات الأسبوعية ٩٠٠ مجلة وتوزيعها يصل إلى ٣ ملايين نسخة .

- أقامت كندا عام ١٩٦٧ أحدث متاحفها ، وهو متحف العلوم والتكنولوجيا ، وقد زاره أكثر من نصف مليون زائر عام ١٩٧١ . وأقدم المتاحف هو الصالة القومية للفنون التى أنشئت منذ ٩٢ عاماً .


on the Bow River between Calgary and Banff, Alta.

Skiing in Jasper National Park, Alta.

فوق صفحة المياه الكندية تولد حياة ، مادامت الطبيعة تصالح الكنديين !

* هل فى كندا أغان يرددها كل الكنديين ؟

الأغنية أمريكية . الكلمات ، والألحان ، والصوت ، والمطربون فى كندا . محاولات « محلية » فقط !

* هل هناك « يسار» فى كندا ؟

اليسار فى كندا محور نشاطه التخلص من سيطرة أمريكا . وعبودية الارتماء فى حضن اقتصادها . وهو بيساريته « سقف » ولا يحلم بأى عقائديات خارج حدود القارة الأمريكية . إنه يمين متطرف ، يريد أن يجعل لكندا « شخصية » ليس إلا !

* الكنديون ، كيف ينفقون الفلوس ؟

أصحاب الملايين يشترون بحيرات بأكلها بالمسافات ويصبح الماء واليابس ملكاً لهم . الأثرياء فقط يشترون اليخوت والطائرات الصغيرة ، المهاجرون الناجحون ، يرسلون أموالهم إلى بلادهم البعيدة . الكندى العادى ينفق ثلثى دخله على الأكل .

* الحذاء الكندى ماعمره ؟

كل شى ء فى كندا له عمر : الحذاء . . اللمبة . . اللعبة . . ماكينة الحلاقة . أسلوب رأسمالى . يجبرك على شراء « الجديد » !

لمعلوماتك

- يعمل الكنديون خمسة أيام فى الأسبوع على أساس ٨ ساعات يومياً .
- طلبات الهجرة يجب أن تستوفى الشروط التالية :

لا تقل سن الطالب عن ١٨ عاماً .

- قبول الطلب يتوقف على :

السن .

التعليم .

المهارة .

حاجة كندا من الوظائف .

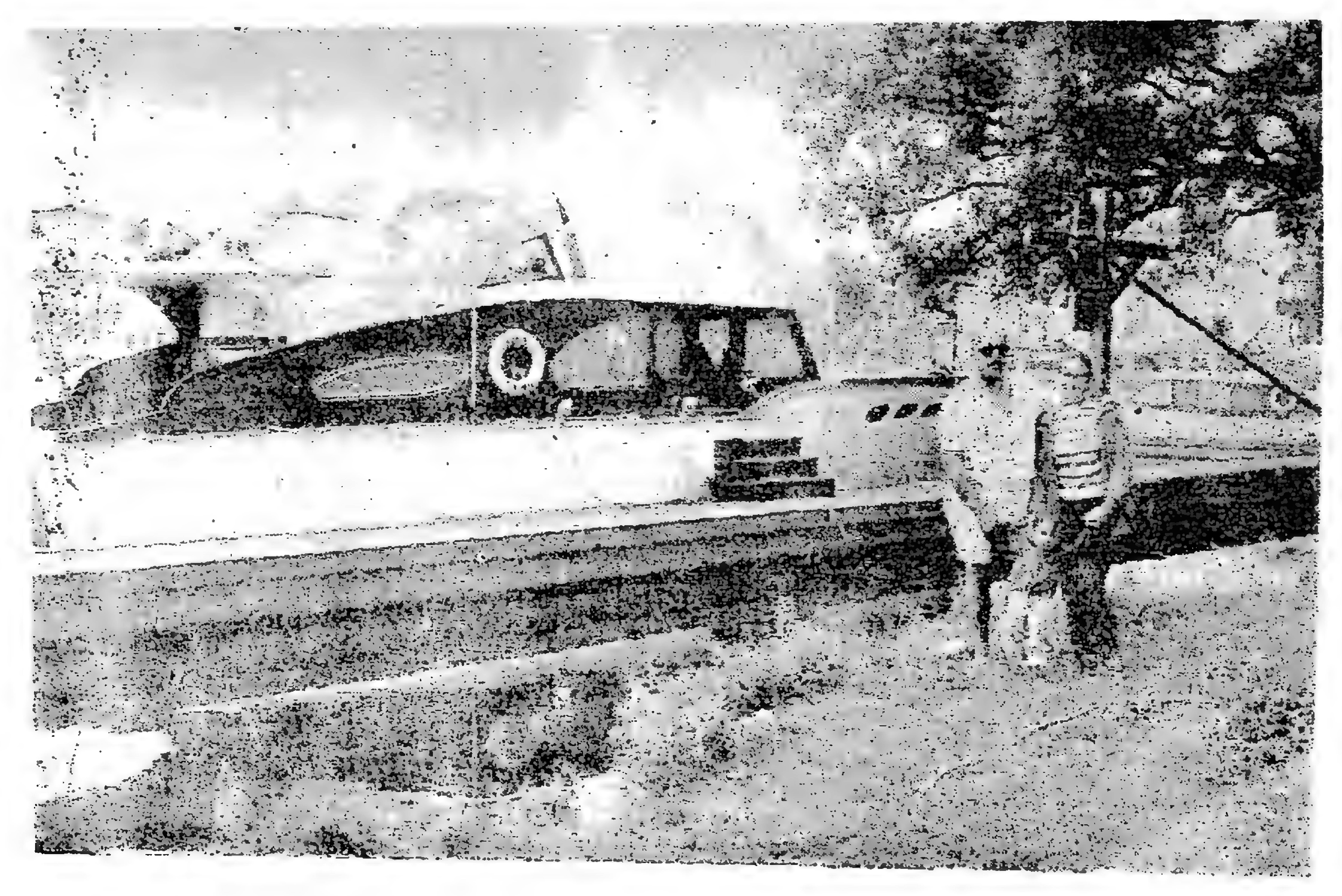
معرفة الإنجليزية أو الفرنسية .

اللياقة الشخصية .

الحصول على عقد عمل مقدماً .

وجود بعض الأقارب فى كندا .

- يقبل الهجرة الطلبات المقدمة ممن هم أقارب فى كندا من الدرجة الأولى بشرط ألا تقل سنهم عن ٢١ سنة وبشرط أن يقوم هؤلاء الأقارب بضمانتهم وتحمل مسئوليتهم المادية حتى يوجد لهم عمل مناسب .



حلم المهاجرين أن يملكوا لنشات .. مصرى : هو كمال توفيق وزوجته الكندية وابنهما « بيتر » !

* الفلاح الكندى ، هل هو سعيد بعالم الزراعة الميكانيكى؟

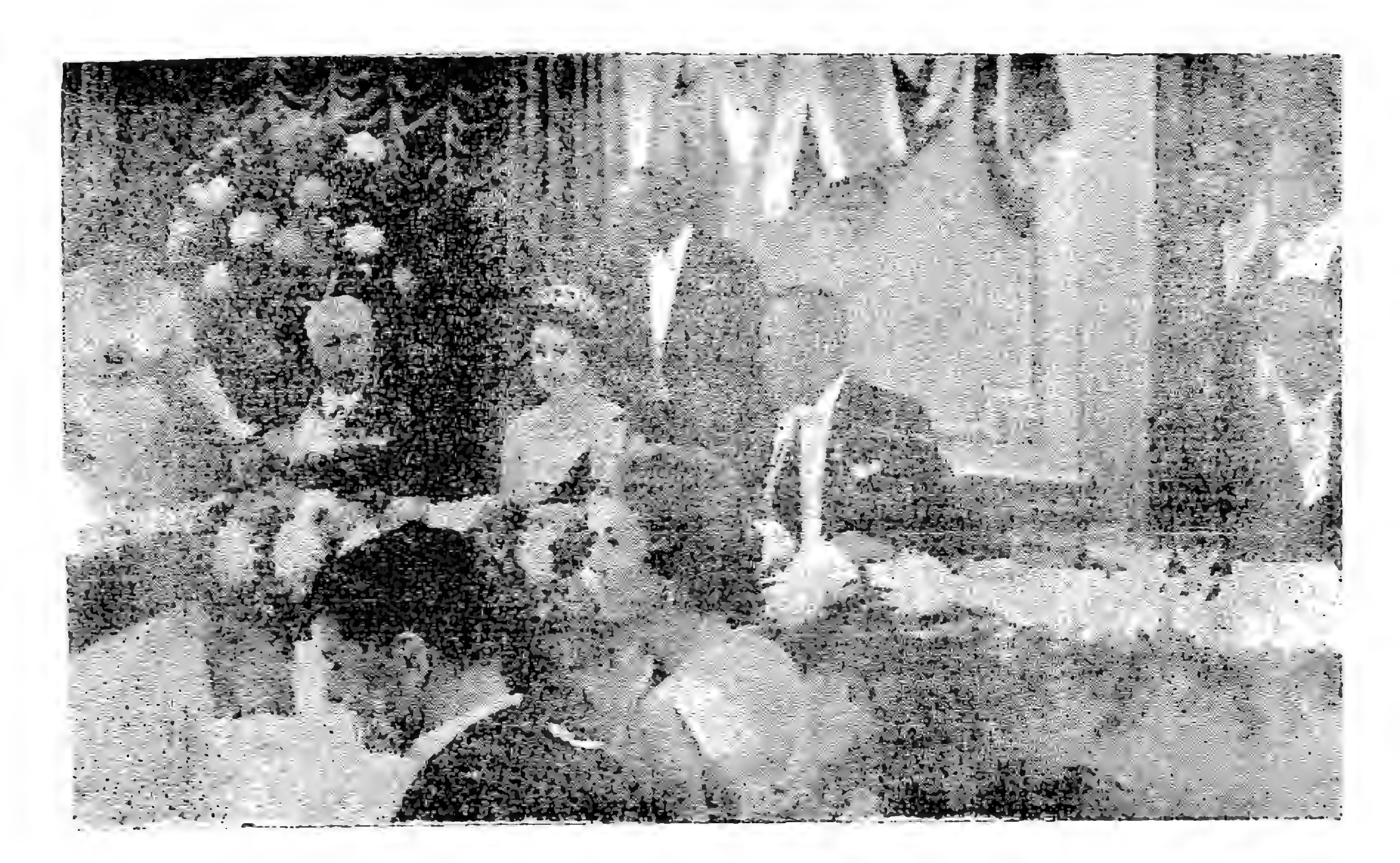
فلاح كندا ، سلة خبز العالم ، من أنجح وأمهر فلاحى العالم إنه يستخدم الماكينة بذكاء . إنه يروضها ، ويطورها . وإذا كان القمح هو المحصول الأول فى كندا ، فالفضل للقادمين من أوكرانيا . . زراع القمح فى روسيا .

* هل فى كندا « رشوة » ؟

لا رشوة صغيرة يدفعها كندى ليحصل على مكاسب تافهة . . الرشوة تبدأ من مائة ألف دولا ر ! !

* علم النفس ، هل له مكان تحت سماء كندا ؟

علم النفس الأمريكى تسلل إلى كندا . . لكن النفس الكندية ليست فى حاجة إلى طبيب نفسى مثل قلب وعقل الأمريكى القح . الكندى يعرف « بوصلة » حياته واتجاهاتها . يعمل جيداً ، ويريح نفسه جيداً . ينحنى للدلاور باحترام . يعطى جسده وجبات الجنس بانتظام . الحب لا يهم .



الملكة إليزابيث ملكة إنجلترا ، فى مدينة كويبك .. صورة فى بيت كل كندى من أصل إنجليزى !

* لو أتيح لك أن تقترح إرسال بعثات تدريبية من مصر تسافر إلى كندا .. وتتعلم شيئا .. فماذا تقترح ؟

أقترح ذهاب الموظفين الذين « يتعاملون مع الجمهور » أى موظفى الخدمات ، ليتعلموا كيف « يخدمون » الناس بلا استعلاء . بحب . بإخلاص . بضمير .

* لو جاءتك فرصة لتهاجر إلى كندا ، فهل تفعلها ؟

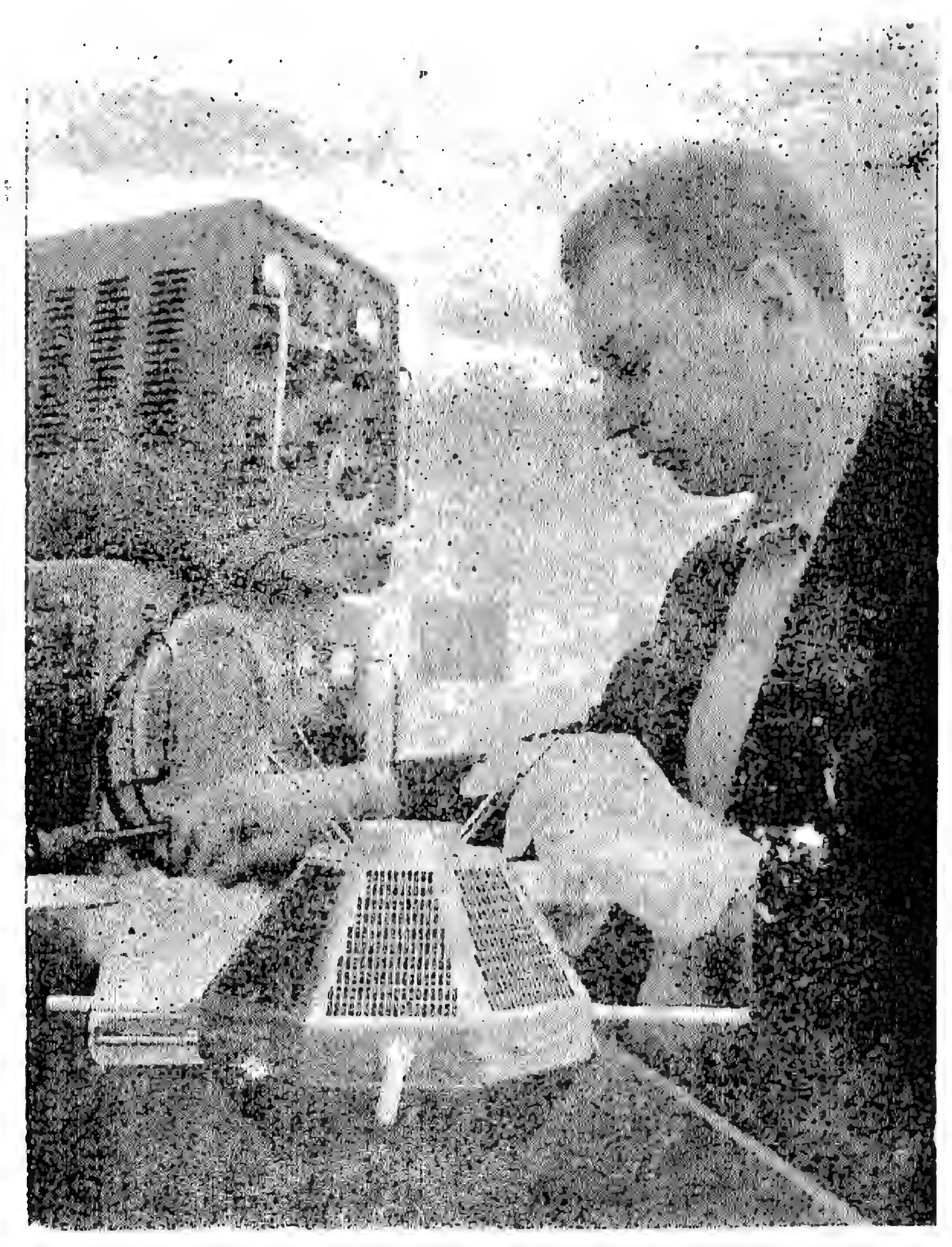
لقد احترمت فى كندا أشياء كثيرة . . وانحنيت للحضارة التى تريح الإنسان . صاحب أرض . أو مهاجر . لكنى والحق يقال أحب سماء بلادى أكثر . فزرقتها حلمى ، وصفاؤها قدرى . وحتى أمطارها الكثيرة أو الشحيحة . سخاء وعطاء .

لمعلوماتك

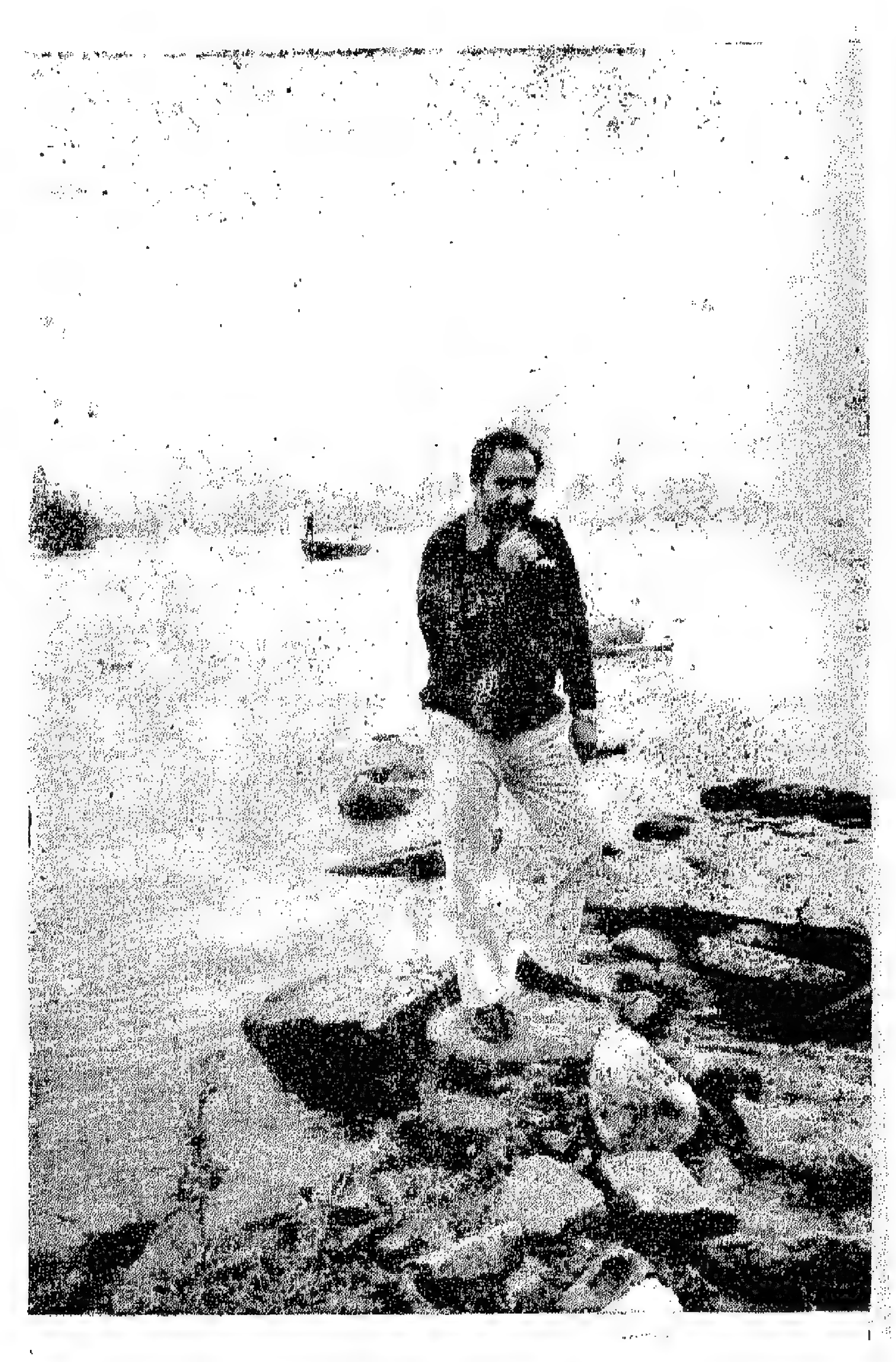
- فى كندا أكثر من ٢,٥٠٠ مزرعة للفراء حيث تربى الحيوانات ذات الفراء وتعطى إنتاجاً للدخل القومى يبلغ ٣٧ مليون دولار .
- تغطى الغابات مساحة ١,٧ مليون ميل مربع تحتوى على ١٥٠ نوعاً من الأشجار الكندية .

وتمثل الغابات ما يزيد على ٢٠ ٪ من جميع صادرات كندا .

من "ألبوم" الرحلة



العلم ، يسخره العلماء لرفاهية الإنسان فى كندا . .



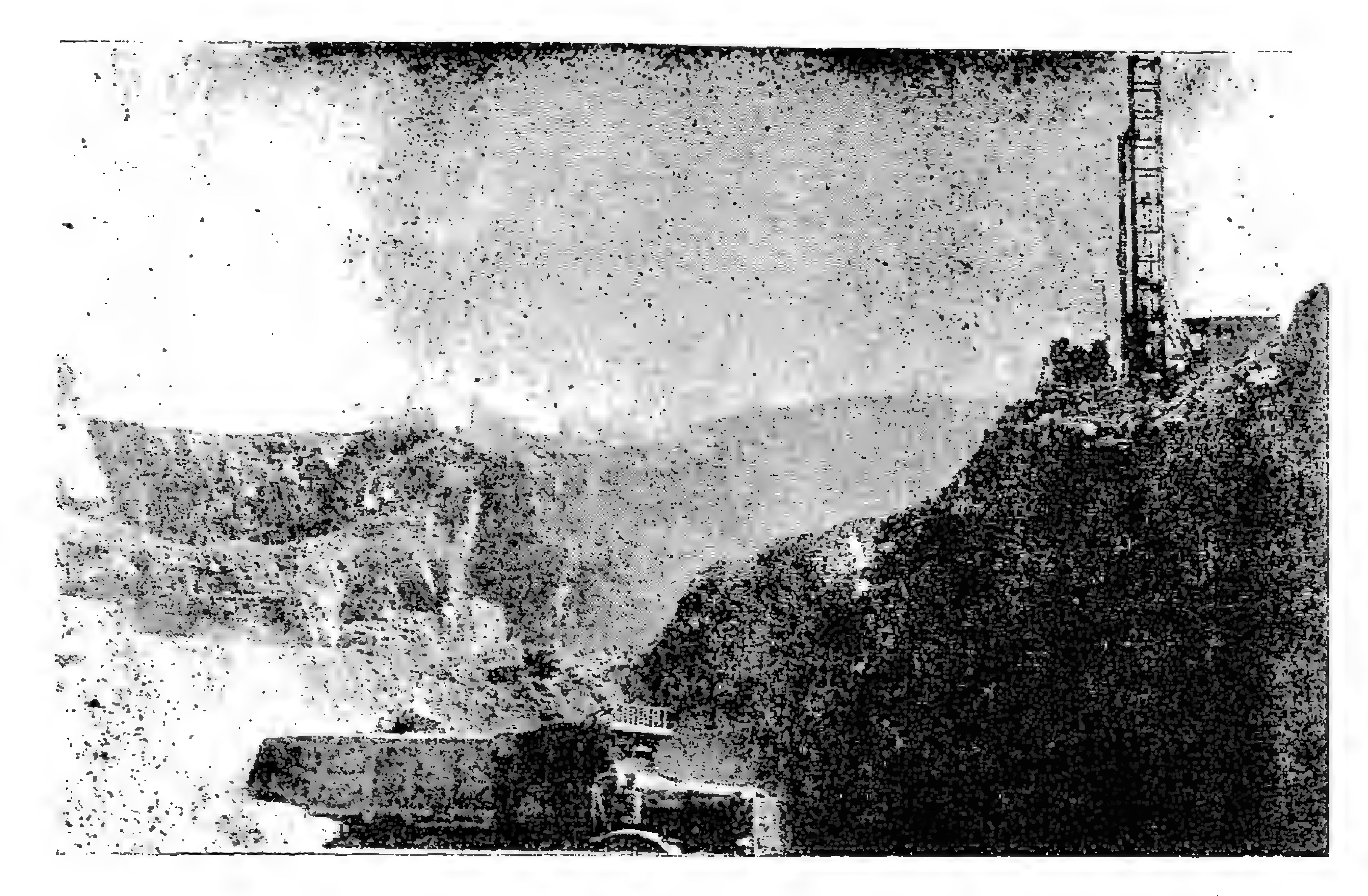
فى تورنتو وقفت أفكر .. واكتشفت أنى أحب سماء بلادى أكثر !



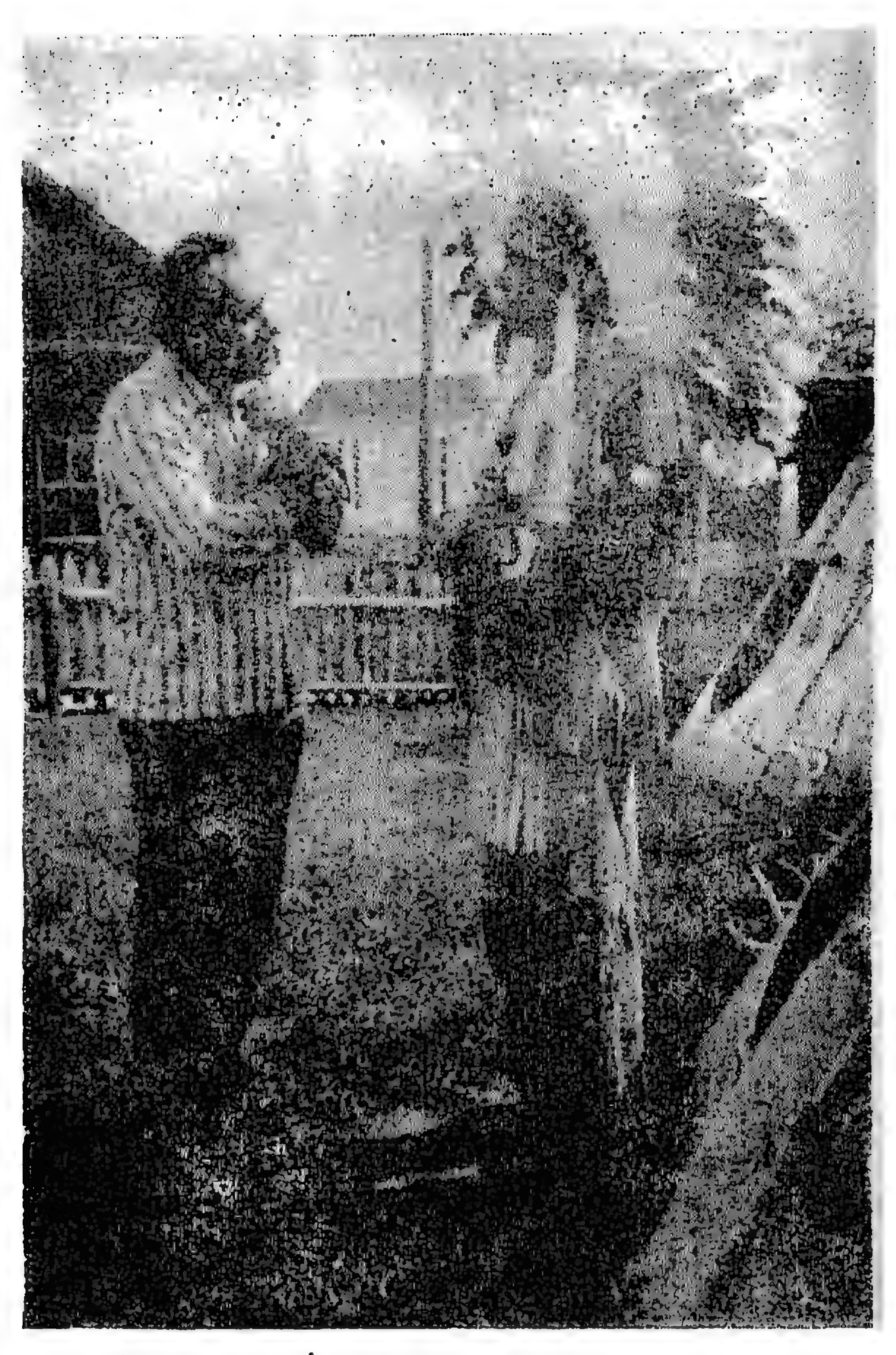
البوليس الكندى فى حالة تأهب دائماً، لكنه صديق للإنسان الكندى . .
وهو مدرب على أحدث الوسائل العالمية فى كشف الجريمة . .



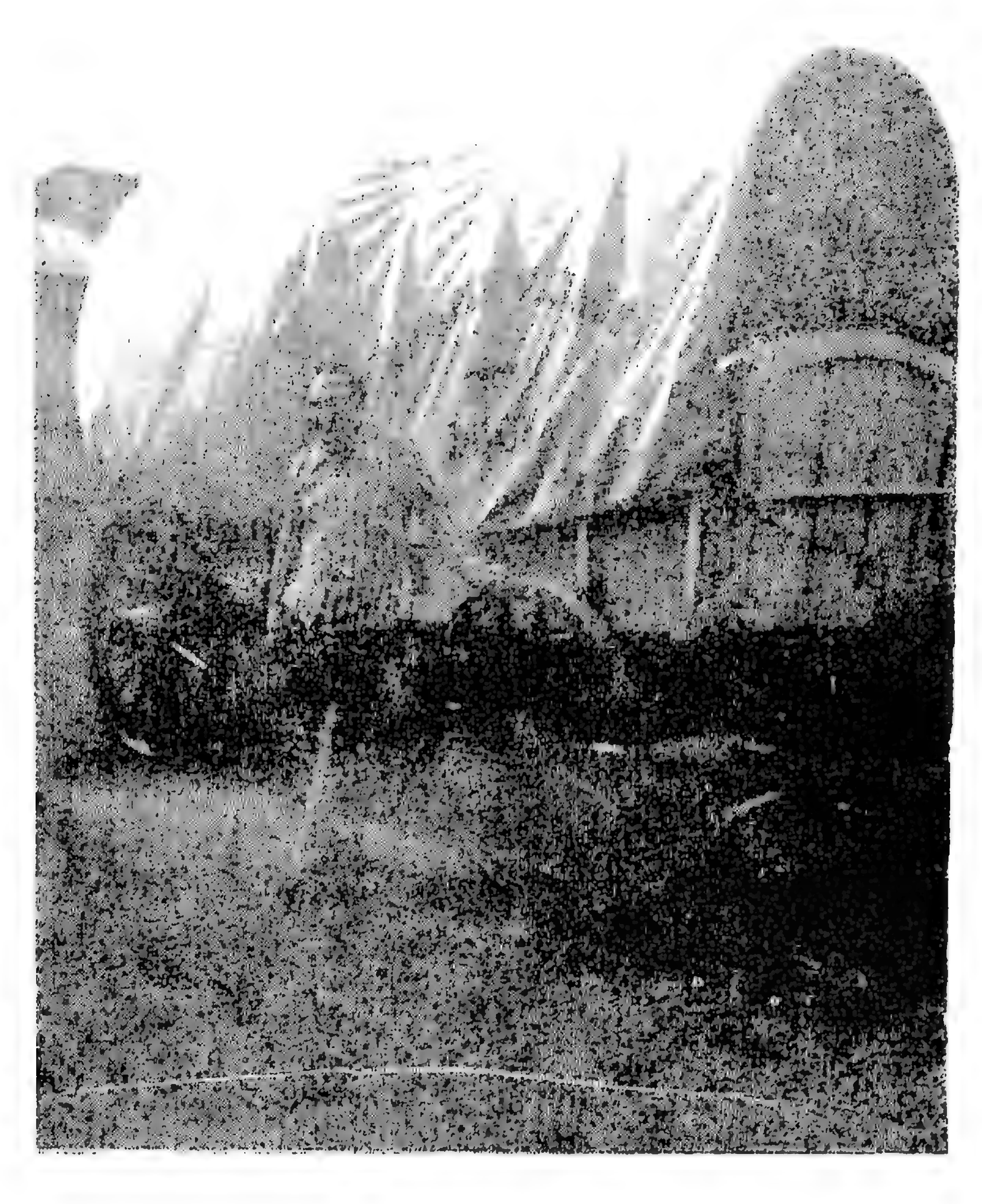
الفتاة الكندية ، أيام الأحد ، لاتعرف الهموم . تعرف الراحة والمتعة فقط ...



فى مدة قصيرة قفزت كندا إلى دول التقدم بفضل الخبرات القادمة من كل بلاد الدنيا ، وبفضل الإصرار والإرادة والعمل الجبار بلا كلل !



هذا الرجل الهندى بملابسه التقليدية ، دلالة على « أصل » الإنسان الكندى
سألته ماعمرك ؟ ... قال : بل اسأل ما عمر هذا الزى ! !

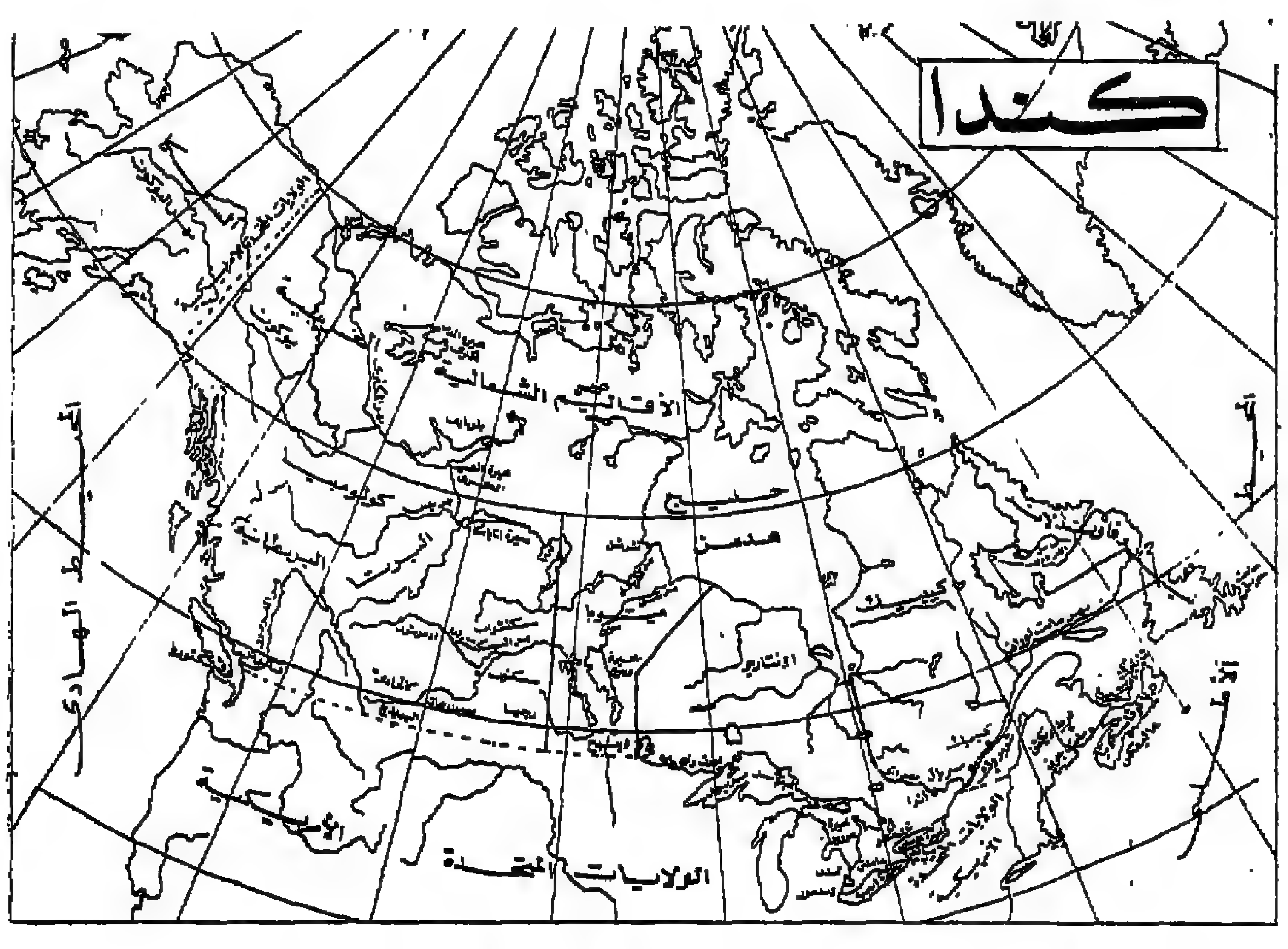


قرية عمرها ٥٠ عاماً ، ومع ذلك يطلقون عليها قرية الرواد . إنهم يحلمون بالقدم والأصالة، لقد أصر مصور القرية أن يلتقط لى هذه الصورة كتذكار !



يوم الأحد كنت أركب « الفيرى بوت » وأتسكع من شاطىء إلى شاطىء فى بحيرات كندا الفسيحة ..
إنها متعة لا حدود لها !





هذه هى كندا : بلاد شاسعة المساحة ، وهى الجار المجاور للولايات المتحدة الأمريكية . .

محتويات الكتاب

إهداء ٤
كلمة ٥
كندا حلم المهاجرين ٦
شبابها يغرى الرجال ١٧
الحياة الساخنة فوق أفدنة من الثلج ٣٤
الأحضان الدافئة أمام الناظر! ٥٥
بشرا . . صناعة أمريكية ٧٢
لا تنزعجوا ٩٠
لا تهاجر قبل أن تروضها ١١١
أهلا بالصفر ١٣٠
الأسود خرجت من الأقفاص ١٤٧
عارية يوم الأحد ١٦٥
عيون كندا ترانا هكذا ١٧٨
كيف نحترم طفلا ١٩٢
أنا أحب سماء بلادى أكثر ٢٠٦
من ألبوم الرحلة ٢٢٩
خريطة كندا ٢٣٩

تم إيداع هذا المصنف بدار الكتب والوثائق القومية تحت رقم ٣٨٩١ / ١٩٧٣
مطابع دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٣

١٥

